

دار جاد

في هذا العدد

أبحاث

الآداب

الدكتور غرة النص
نازل الملائكة
الدكتور سهيل ادريس
مطاع صفدي
محيي الدين اسماعيل
صديقي اسماعيل
محيي الدين صحي
غالب هلسا
علي بنور
ايليا حاوي
شريف الراس

سلاح الآداب

قرات العدد الماضي
المعطين في الاعالي العراقية
كاسو الميزقي
الشعر الانثوي الحديث
نموذج الجديد
المنساء في مقصورة ابن خلدون
الخير والكتابة
الهاربون من الحرية
تطور الشعر العربي
الصورة في الشعر العربي
ابو زيد الهلالي

قصائد

عبدان الراوي
فدوى طوقان
امين نخلة
رفيق الخوري
نجيب طالب
فاروق شوشه

انتصار بور سعيد
وفد حدثني ذات ليلة
حامد
زهرة الي فروز
الجليد الذي انصهر
اليك يا مسافرة

قصص

فتحي زكي
الفقه الادبي
الدكتور سلمان قطاية

الفقه والفقه
ومضة برقي
الجواب الاخير لا



العودة من السبع الحالم

مجموعة شعر

للشاعرة المبدعة

سلمى الخضراء الجيوسي

دار الآداب - بيروت

صدر حديثاً

نظاير وارما

«شعر»

سأزك الملائكة

في أجمل شعرها، تلتقي فيه
العاطفة بالفكر والتجديد
بالأزمنة

الشمس
للطباعة

نشر: المكتب التجاري
توزيع: الشركة العربية للتوزيع

صدر حديثاً

قرارة الموجة

شعر نازك الملائكة

وحدى مع الأيام

شعر - فدوى طوقان

وجدتها

شعر - فدوى طوقان

الحب والنفس

قصص - عبد السلام العجيلي

منشورات دار الآداب - بيروت

العدد الثاني
فبراير (شباط)
السنة الثامنة

8ème ANNEE

No. 2 Fev. 1960

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

رئيس التحرير
والمدبر المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Rédacteur en chef et
directeur

SOUHEIL IDRIS

بيروت
ص.ب. ١٢٢ - تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH, LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

سلاح الأدب !

في محادثة السيد محمد جميل شلش ، حاولت محكمة المهداوي ، أعجب محكمة في التاريخ ، أن نحدد مجته « الآداب » سذجا ضد المههم ، وأن نجعلها من الأدلة التبتية على تجريمه ، بدعوى أنه بن يفتيها ، وأنها كانت تشير له بعض قصائده . و ذلك لأن الأمر مع السيد ماهر سعيد وصلي ، وقد وصفت هذه المجلة بأنها عدوه « الجمهورية العراقية الخالدة » وازالته في تحريرها يعتبر جريما يعاقب عليه القانون . وهذا يعني ، آخر الأمر ، أن جميع الأدباء العراقيين الاحرار مجرمون ينبغي اذنتهم واعدائهم ، اما ستقا حتى الموت ، او « سحلا » في استوارع :

وليس هذا ما يهمنا معرفته ، وإنما يعني أن نعرف رأي محكمة التزييف في فئتين آخرين من ادباء العراق : فئة متذبذبة انتهائية كانت تتظاهر بالقومية العربية ، فتواقي « الآداب » ببعض مقالات او قصائد تنشرها المجلة بدافع من نية حسنة ، حتى اذا انحرفت الثورة العراقية عن اهدافها ، كشفت هذه الفئة عن وجهها الحقيقي الاحمر ، وراحت تهاجم القومية العربية وتكيل لاقطابها الشتم والسباب . .

وفئة اخرى كانت تؤمن حقا وصدقا باهداف القومية العربية ، ثم جرفها تيار التضليل ، فانقلبت على اهدافها ، وراحت تهاجم المجلة التي فتحت لاقطابها صدرها ! ما رأي محكمة التهريج بهاتين الفئتين اللتين شاركتا في تحرير « الآداب » ؟ اننا لا نتهمهما بالاجرام ، بل بالنفاق الفكري ، لأن افرادهما خانوا الرسالة التي نذروا نفوسهم لها ، فحق عليهم أن يافظهم الفكر وتلعنهم الكلمة !

اما « الآداب » فانها لم تناهض الجمهورية العراقية ، بل هتفت لها من اعماق صفحاتها ، واصدرت عددا خاصا بثورتها مع شقيقتها الثورة اللبنانية . وانما هي تهاجم قادتها الذين يرفون حقيقتها ويضمرون لها غير ما رصدت نفسها له . ونحن نؤمن بأن المفكرين العراقيين الحقيقيين الاحرار لا يمكن ان يؤيدوا هذا الانحراف ، وانهم قد يضطرون الى التزام الصمت فترة من الزمن لانهم ، من جهة ، لا يسمح لهم بمغادرة البلاد ، ويخشون من جهة اخرى القتل والتعذيب والاهانة . . ولكنهم في اعماق اعماقهم يعانون مأساة العراق العزيز الذي يخيم عليه اليوم شبح الارهاب الشيوعي الاحمر .

ان هؤلاء المفكرين سيظلون محط املنا في الحفاظ على شرف الكلمة وقيمة الحرف ، كما سيظلون الممثلين الحقيقيين للفكر العربي الثائر في العراق .

فالى هؤلاء جميعا ، سواء اكانوا مشردين ام مضطهدين ام مائلين امام محكمة التزييف المهداوية ، ام صامتين مؤقنا خلف الابواب المرصودة والنوافذ المغلقة ، اليهم جميعا تحيات اخوانهم في سائر اجزاء الوطن العربي . انهم يحملون سلاح الفكر الحقيقي ، ولن يكون النصر ، في آخر المطاف ، الا لهذا السلاح الشريف !

((الآداب))

بقلم الدكتور عزة النص

العدد الثائر

لولا واحة نزار القباني لكان العدد الممتاز من « الاداب » لهباً في لهب .. يتواكب فيه الادب الثائر مع الحديث عن الادب الثائر ، ولا يكاد القاريء يجوز كومة نار ، وهو يتحسس اضلاعه ، حتى تقتحمه كومة نار اخرى ، تظلي فيها التضحيات والمروءات ، واحسب ان هذا القاريء كان يود لو ان المغارة كلها كانت جمرًا وضراماً ... ، فلا مكان لـ (قديسة) نزار في ذلك الجحيم البطولي ، الا اذا اعتبرنا من الادب الثوري ثورة الجنس لدى الفحل المكتمل على (قديسة) متأبئة .. تجردت على خطوات منه وحسرت عن قباب اليااسمين ، ثم استرخت على سريها الزاهي ، تنلهى بلفافة لوكي سترايك ..

ولي عودة الى (البتول) المولعة بالتدخين .. وقبل ذلك لا بد لي من التأكيد بان الادب القومي في زادنا العربي قد ولد ، الادب الفاضل المتحرك الذي يخفق مع رايات النصر ويسير مع الزحف في المقدمة . وعدد (الاداب) في مستهل عامها الثامن هو شهادة ميلاد .

كان لنا حقاً ادياء ثوار في نصف القرن الماضي ، ولكنهم لم يخلقوا مدرسة ، ولم يطعموا اداب عصرهم بطابعهم المميز ، وهم ، بعد ، نفر قليل اذا قيسوا بجيش الادياء والمتأبئين الذين كانوا يعيشون ليالي (موسى) ويتغنون ببجيرة (لامارتين) ويتعذبون مع (غوته) لآلام فيتر ، او ينظمون في الزهر والنهر وعيون الما وغصن البان ... بينما كانت مدن العرب تطوى ببنيران المستعمرين ، وامة العرب ترسف في اغلال الدخلاء .

الادب القومي الذي انتزع الغلبة في محصول الادب العربي الجديد يتمثل في ابواب عدد (الاداب) التي سنعرض لها الان .

الثورة والفكر

يعتقد الدكتور سهيل ان (الثورية) ستكون السمة الرئيسية لانتاجنا الادبي الحديث ، وانا اطمئن بان « الثورية » هي سمة انتاجنا الادبي الحديث ، بالفعل لا بالقوة ..

والقول بان الادب لا يزال يتبع الاحداث ولا يسبقها ، ويتأثر بها ثم يؤثر في مسيرها ، لعل فيه بعض الاقتتات .. وليذكر الدكتور سهيل ما نشر في (الاداب) بالذات عن ثورة ١٤ تموز في العراق قبل ان ينهض بها جيش العراق ! وليذكر كل ما ينشر اليوم - وفي مجلة «الاداب» ايضا - عن ثورة العراق الآتية ، التي يعيها لها ادياء العروبة ويمهدون الدروب ويلمون العزائم .

وقد تولى الدكتور مندور ، في هذا العدد من الاداب ، الاستشهاد ببعض من استشاروا ثورة مصر ، وفتحوا اعين الضباط الاحرار ، وشدوا اناملهم على ازانة البنادق ، وجاءت بامثلة اخرى الاستاذة ملك عبيد العزيز في مقالها (الشعر الثوري في الادب المعاصر) .

قلت قبل اسطر اننا كنا نفتقد الادب القومي المتمرد ، الى سنوات خلت ، او بالاحرى ، كنا نجد قليلا عدد الادياء الذين يخططون الهبة القومية ، ويرسمون طريق الانطلاق في وعي المجتمع السادر . هذا اذا تواضعنا على ان الادب قصة وشعور فحسب ، اما اذا اخذنا بالمعنى الشمولي للادب ، وعرفناه بأنه حصاد الفكر الحر الخلاق ، فالامر يختلف تماما ، وزاوية الرؤية تتبدل .

نحن لا نشك اقل الشك في ان الانتفاضات التي حركت اجواءنا الراكدة ، والوفيات التي خرجنا بها عن السكون المتبدل ، والانتصارات التي توجت هامنا ، كانت كلها من صنع المفكرين .

مجتمعتما الدنف ، من كشف عن علله ، ووصف له سبيل العافية ؟ وتراث العرب المشترك ، المتضخم عبر الزمان ، من الذي للمه ووصل خيوطه ونقله الى عقول الناشئين ؟

والوحدة العربية من الذي عرف بمآثراتها الماضية ، ووضع الاصبع على مآسي انفصامها الحاضر ، واهاب بنبش امجادها وبعث تكاملها وتكافؤها؟ ومن عجن خميرة الوجدان الجماعي للانعتاق من الاستعمار السارق؟ كل ذلك اضطلع به اساتذة الجيل ومؤلفو الكتب المدرسية وغير المدرسية في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والاخلاق والاداب وعلم الاجتماع والاصلاح الاجتماعي .. وهؤلاء كلهم ادياء بالمفهوم الاوسع للادب .

استدل صديقنا الدكتور مندور على فعل الادب في التمهيد للثورات بروايتي (بومارشيه) : حلاق اشبيلية وزواج فيغارو . وميزة هذين الاثرين المخلدتين انهما وضعا المجتمع والحكومة في فرانس قبيل الثورة موضع الهزء بأسلوب غير مباشر . واطن ان ادينا الكواكبي، الذي مجدنا ذكره في الشهر الماضي ، لم يكن اقل فعلا في نفوس معاصرين بكتابه (ام القرى) و (طبائع الاستبداد) ، رغم انه التزم اسلوب الجد الصارم فيما كتب .

والذي اريد ان اخلص اليه هو الوطن العربي كانت له ايضا قيادة فكرية مخلصه ، ايقظت وعي ابنائه ونسجت بنية تفكيرهم وشقت لهم الاقنية الموصلة الى التمهض الحاضر .

واني في هذا التأكيد اتمركز في قطب معاكس للقطب الذي وقف عنده الاستاذ علي بدور حين كتب في مقاله (المثقفون والمجتمع العربي) : « اما القيادة الفكرية فقد كانت بعيدة عن تفهم روح الشعب وتاريخه المجيد وثقافته القومية ، لانها نهلت الكثير من مبادئ الثقافات الاجنبية. » وليس من يخالف الاستاذ بدور حين يقرر ان « القيادة السياسية للمجتمع العربي كانت بعيدة عن الشعور بالانتفاضة الثورية التي بدأت تميشها الامة العربية » . ولعل هذا النقد لا يزال صحيحا بالنسبة الى اكثر حكومات العرب القائمة اليوم .

ونحن معه ايضا في التأكيد على البلبلة التي تملكنت الكثير من قادة

الفكر العربي ، والحيرة التي ضللت بعضهم حيناً ما في متاهات مسدودة . ولا نستطيع الايمان بان الامر قد تبدل بالقدر الذي نرجو حتى الان ..

ولكن تلك القيادة الفكرية ، في جملة مناحيها واتجاهاتها ، كان لها في النتيجة عمل مفيد . والا كيف حدثت الانتفاضة الثورية التي تحدث عنها كاتب المقال ؟ هل الانتفاضة كانت سابقة للتفكير في الانتفاضة ؟

واما النهل من الثقافات الاجنبية ، فالحكم له او عليه امر يسير . ان الاستاذ بدور مدعو الى الموازنة بين الدول العربية المتخلفة في مجالات التطور الاجتماعي والوعي السياسي وبين شقيقتها التي سارت خطوات ارحب نحو العدل الاجتماعي والحكم السوي . لعله بعد هذه الموازنة يجزم معنا بان النهل والعمل من الثقافات الاجنبية كانا الوفود الدافع في انطلق العربي الجديد . نظفت تلك الثقافات العقول المتكلسة ، وفتحت الاعين المغمضة ، وحفزت على النهوض العربي بتأثير المقارنة والاقتصاد والتطعيم والافادة من تجارب الامم جميعها . وبالمزيد من الفوص في طلب الحقيقة يجد الاستاذ بدور ان « الانتفاضة الثورية التي بدأت تعيشها الامة العربية » صنعتها ايضا مواقف الذين زودوا الحصون الراسخة بسلاح الثقافة الاجنبية .

معنى الثورة

والمرام بين الثورية والرجعية ، بين التقدميين والمحافظين ، يأتي ذكره في عشرات المواضع من عدد « الاداب » الممتاز ، سواء في الادب ام في السياسة .

فلنسر بعض الطريق مع الاخ الدكتور عبدالله عبدالدائم في بحثه عن (ثورية القومية العربية) واخشى الخشية كلها ان لا نستطيع مسيرته في اكثر من فكرة ...

يقدم الدكتور عبدالله بين يدي بحثه بضعة تعاريف : فالفكرة المحافظة هي ثورية مقلوبة ، والرجعية هي الاعتقاد بان الطبيعة الانسانية واحدة غير متغيرة ، والرجعي هو رجل الاشياء المحدودة ، والتقدمية هي استسلام كامل لمجرى التاريخ دون هدف ، والتقدمي هو المتحرر من اي تثبيت والؤمن بلاديرة مطلقة بالنسبة الى المستقبل .. والاصلاحي ثوري يدعو الى مستقبل معين عن طريق التطور .

لا اظن ، يا اخي عبدالله ، ان في الدنيا كلها انسانا يؤمن بضرورة او بإمكان العودة الى الماضي كاملاً .. سل اشد الرجعيين عرافة في الرجعية هل في امنيته او بمكنته ان يعود العرب في القتال الى وسائل الصحابة من المسلمين واساليبهم ؟ هل الرجعيون بالذات يرغبون في سكنى الخيام ومنازل التراب ، وهل يجرع عقيدتهم انشاء المعامل واقامة المدن واختراع الآلات ، مما لم يعرفه الاقدمون ؟

والرجعيون - او على الاصح من عرفوا بالرجعيين على كره منهم - لا يؤمنون بطبيعة انسانية واحدة غير متغيرة ، بل يفرقون بين الجواهر الثابتة والاعراض الزائلة حتى في صور النفس . ولا مطلب لهم الا الحفاظ على جملة مثل روحية واتجاهات خلقية يعتقدونها عناصر ازيلية في النفوس وفي الحضارات ، كالشجاعة والاستقامة والعدل والامانة وعبادة اله واحد والتمسك بشعائر دينية معينة . وهم يتقبلون التحديد ضمن هذه التخوم .

ويطلب على ظني ان الاخ عبدالله قد رأى الحدود المتطرفة ، ولذا فان تعريفه للتقدمي لا ينطبق ايضا على زمرة معروفة من البشر .. ، ان التقدمي لا يستسلم لمجرى التاريخ دون خطة معينة وهدف واضح ،

بل هو لا يستسلم لمسير التاريخ اكثر مما يحاول تغيير ذلك المسير . وهو كالثوري والاصلاحي يعتقد ان الحياة ديمومة وضرورة في آن واحد والحضارة هي استمرار لا تكرار ، والتاريخ هو اتمام لا اعادة . وفي جميع الاحوال لا بد من البدء بالماضي لبناء الاتي على مثال جديد . ولا يشك التقدمي بان المستقبل خير من الحاضر ، وهو يتصور اهداف ذلك المستقبل ويشق به . انه متفائل فاعل فلا يصح ان تنسب اليه الاستسلام في اي شيء . وهكذا فان الفروق تتضائل اذا اعدناها الى اطارها الحقيقي . المحافظ والرجعي يلتزمان الماضي في قيمه الروحية فقط ، والتقدمي والثوري يلتقيان في تفتح الذهن للمفيد من الجديد دون تفريق بين المادي والمعنوي . التقدمي قد يؤثر ان يراعى دستور التطور ، والثوري يريد تسريع الزمن قد يؤثر ان يراعى دستور التطور ، الاقل - اصلاح الحاضر اما بالرجوع الى صفاء الماضي او باقتباس الصالح من الجديد .. وفي تاريخنا مصلحون سلفيون ومصلحون تقدميون .

ولا شك ان بين جميع هذه الاصناف الملهية تباينا في المواقف النفسية والعقلية ، ولكن التصلب في هذه المواقف يشتد عندما تنتظم المفاهيم في عصبية حزبية غايتها الحكم السياسي اولا وقبل كل شيء ..

واذا نزهنا القومية العربية التنامية عن انواع الحزبية - في مرحلة البناء على الاقل - فان التقريب بين المواقف يصبح اقل عسرا . والجمهورية العربية المتحدة قد حققت هذا الانسجام .

والاستاذ اورخان ميسر في مقال (الثورة تحت المجهر) ينتهي الى

هتلر حي !

هل عاد هتلر الى الظهور ؟ هل دعائه هم الذين يشنون الحملة اللاسامية الجديدة في العالم على اليهود ؟ اقرا « هتلر حي ؟ » يكشف لك عن طريقة اختفاء زعيم النازية عن مسرح المانيا بعد سقوط برلين بأيدي الحلفاء سنة ١٩٤٥ .

« هتلر حي ؟ » اطرف مانشر حتى الان من اسرار الحرب العالمية الثانية .

اصلته « دار المكشوف » ، بيروت

ان الثورة هي استعجال المراحل في التطور الانساني . وليس في ذلك من شك بشكل عام . ولكن ثورة (فرانكو) في اسبانيا كانت ردة فعل على استعجال المراحل . . . اليس كذلك ؟ واكثر الثورات في تاريخنا العربي الوسيط - تلك التي ندعوها بالفتن - لا تحمل مغزى الدفق الحيائي المنهمر نحو هدف انساني مشخص . وهكذا فانه لمن الصعب على المجهر ان يكشف عن بنية الثورة بمعناها المجرد عن الزمان والمكان والانسان . . .

ولنتنقل الان الى (ثورة) الاستاذ محيي الدين محمد علي (الفكر العربي المعاصر) . . . والحق ان الدكتور سهيل قد برهن على عمق ايمانه بحرية الفكر حين نشر هذا المقال . اريد ان اقول باخلاص حار للاستاذ محيي الدين انني لا اعتقد بوجود شيء عام شامل يمكن ان يطلق عليه مدلول (سيكولوجيا اذهن الشرقي) ، واود باخلاص حار ايضا ان افق على تعريف جامع مانع لما يسمونه الشرقي والشرق . . . وقد كتبت اكثر من مرة انه لا وجود لشرق مطلق او لغرب مطلق في عرف الجغرافيين والمؤرخين وعلماء الاجتماع على السواء .

بعد هذه الملاحظة المبدئية ، ليسمح لي السيد محيي الدين ان اوضح اراءه بعض الشيء ، فلا اشك في انه تصدى لنقد الواقع وحده ولم يقصد المساس بالمبادئ . ولعلي غير واهم اذا تفهمت اقواله على انها وصف لجماعات عربية معينة لم تع الدعوة الاسلامية على حقيقتها فانساق الى انحرافات عن الدين مصدرها تراكم الجهل بذلك الدين . نفسية المذلة ، القبول بانظلم ، الرضى والتسليم بما كتبه الله ، اطاعة اولي الامر ، رفض العدالة لان الدين يؤكد على وجود الطبقات . . .

صدر حديثا

ق.ل	تاريخ ولاية مصر للكندي
٧٥٠	مشارك انوار القلوب لابن الدباغ
٥٠٠	رحلة ابن جبير
٦٠٠	ديوان الخنساء
٣٥٠	رحلة ابن بطوطة
٥٠٠	ديوان ابن حمد يس الصقلي
٥٠٠	دروب ميخائيل نعيمة
٣٠٠	القومية العربية
٤٠٠	

الناشر : دار بيروت - دار صادر

هي في نظر كاتب المقال وجوه المشكلة في (سيكولوجيا اذهن الشرقي) . . . والاستاذ الكاتب لا بد موثق بالحقيقة التالية : لو قام الاسلام على رفض العدل لقبر في مهده ، ولو فهم المسلمون الاولون دعوة محمد على انها دعوة استسلام لما غالبوا البيزنطيين والفرس ونهضوا بحضارة مادية وفكرية واجتماعية يحق لنا ، بل يجب علينا ، الاعتزاز بها وتمثلها ورفضها بنسخ جديد .

تخصصي التاريخ

في مقالها (ادبنا الثوري واثقوف الحضاري) اثبتت الاديبه الفاضله سلمى اخضراء الجبوسي التلازم الطبيعي بين الاصاله والابداع ، وبذلك حملت عنا جهد البحث عن معايير فنية تصلح للحكم على النتاج الفصصي المعروض في عدد (الاداب) الاخير . والقصاص الخمس التي سنعرض لها ترسم صفحات نابضة من معركتنا القومية ، رآها كل كاتب من شرفته الخاصة ، وتخبر لها اللون الفني الذي يناسبها . هي كلها تهدف الى اثارة نفوسنا من اجل غرض نبيل . انها فصول من عقيدة القتال التي تتمر ارواحنا . وهي كلها صحيحة الارتباط بالاجواء الساخنة التي نعيشها وبالمشكلات التي يتحسس بها كياننا ، فلا اصطناع ولا زيف ولا نقل ولا افحام . . . تتماثل جميعها في الاصاله وتتجارى في الابداع .

قصة (الخائن) للدكتور عبد السلام العجيلي بسيطة ، ضخمة في بساطتها : محكمة (مهداوية) - خرساء هذه المرة - تستمع الى ضابط شاب يعترف بالخيانة ، خيانتة للشعب - أي للحزب - انشيعوي - . . .

والعقدة في القصة اكثر من طبيعية : كان لذلك الضابط خطيبة من الحزب اياه . . . فاستجاب لدعوة الضمير وعصى جواذب العاطفة . وليس في كل ذلك مسحة من فخامة (كورنيلية) ، وانما تسير القصة تماما كما تسير الحياة . ويحبس القارئ انفسه على روعة وحماسة انسانية . والى هذا كله فن متمكن في تصوير المشاهد والامزجة والحركات : المرأة في ساعات اغرائها ، والعسكري تحت بزته ، والسجل والذبح ودسائس السرايب الشعبية ومناورات رجال الحكم . . . والبراعة انك لا تحس بالموعظة الفجة ، ولا يخيل اليك لحظة واحدة انك تقرأ صحيفة سياسية .

يشكو سينمائيو بلادنا ان الجماهير العربية لا تقبل على الافلام الجادة . فليجربوا هذه القصة ، وانا زعيم بانها ستجذب الجماهير جذبا . ومأساة العراق يقصها ايضا الاستاذ مطاع صفدي على نحو اخر : سلمى ومجيد وحسين وفيصل وعبد القادر وعاكف . . . رموز للآلاف من شباننا الجامعي ، نماذج من الجيل العربي الصاعد ، في توثبه للفداء واصلاؤه للمعركة ، معركة المنطلق العربي . ابناء هذا الجيل حملت بهم امهاتهم في جو محموم ، وولدوا على مقربة من ساحات القتال . سمعت آذانهم اول ما سمعت ازيز الرصاص ، رصاص المستعمرين وهم يحتلون ارضنا الطيبة بعد الحرب العالمية الاولى . واستمر الازيز يخرق اذانهم كل يوم ، الى اليوم . سلمى ومجيد وحسين وفيصل وعبد القادر وعاكف وعشرات الالوف من الابناء الآخرين ، عاشوا على اعصابهم في المدرسة الابتدائية والثانوية وفي الجامعة : مظاهرات واضرابات ثم رصاص وسجون .

ومن الجامعة يستقبلهم الاستاذ مطاع . يستلمهم وقد اكتملت جذونهم - التثمة على الصفحة ٦٨ -

قرأت العدد الماضي من الاداب

— تتمة المنشور على الصفحة { —

وتبلورت في نفوسهم مسؤوليتهم .

يصنفهم وهم يجمعون التواقيع من زملائهم لاحتجاج على تعذيب جميلة ابو حيرد . يصنفهم وهم يحاربون نوري السعيد ويسكنون سجونهم الكثيرة .. ثم يصنفهم بعد الطوفان وهم يعبدون الالهة الجديدة . يصنفهم اخيرا وفد اصبحوا فرائس تهرسهم اضراس اولئك الالهة .. وفي كل ذلك لا يخرج الاستاذ مطاع عن الواقعية المراضة على النظرة التحليلية .

ولكن الاستاذ مطاع ليس واقعيا فحسب .. بل هو وجودي كل الوجودي ، وهو رمزي ومثالي بمعنى ما ، وهو فوق هذا صاحب فلسفة لا يزهده في التعميق ولا تفوته الخلجات المختبئة تحت الستار السابع .. اصالة مطاع صفدي ، تلك هي اتلامها العميقة ، زهي في الحق اصالة اصيلة .

انني من المتذوقين لشطحات مؤلف (الاكلون لحومهم) ، وبكني اشك في انه يكتب للجماهير . وسيظل قصاص النخبة الصبورة على مناعب الفلسفة .. وهو بذلك يحتفظ للادب بعرضه الارستقراطي .. اللوحة التالية من قصة (سلمى) ناصعة تسمو فوق الروعة :

«.. ان هذا الانسان الضخم ، كصخرة مكدسة منذ الازل الى جانبي، يتن من ثقب في صميمه ، كما تن الصخرة من فجوة ينبوع ، تعجب لمانه القليل كيف استطاع ان يحطم جمودها ويثقب معدنها .. ولكن حتى هذا الينبوع قد جف ، وبقي قناة صماء مظلمة تصفر فيها الريح بدون جدوى » .

ولكن الخاطرة المتفلسفة اذا جرت على لسان المتخاطبين قد تصدق المصابين بدوار الاعماق . مثال ذلك : « لو تدري يا حسين .. ان احدا من جيلنا الموحش لا يعذبه وجوده بقدر ما يعذبه عدمه ، عدمه الازرق في صميمه ، ولهذا فلن تنضب طاقة ، العدم لا يفرغ ابدا .. » قصة (سلمى) تبقى - وستبقى في تراثنا حتما - نموذجا لنوع من الادب ، ليس هو ادب المتعة السهلة ، وليس هو ادب الشعب ، وانما هو ادب الفلاسفة من الادباء ، والادباء من الفلاسفة .. الملتزمين منهم بمسؤوليات قومية واجتماعية . فعلى الذين يبتغون من الادب خدر التفكير ان ينصرفوا عن قراءة مطاع صفدي .

والقصة الثالثة : (الموت والكلمة) للسيدة الادبية عايذة مطرجي ادريس ، لم افرأها .. وانما احسست احساسا ماديا انني شهدتها بالفعل ...

كنت معها الى جانب زوجها وهو يكتب على المنضدة ، وكنت معها حين اندلعت الثورة ودوى الرصاص ، وكنت معها وهي تحنو على طفلتها وتحوطها بذراعيها المشفقين . مثال اخاذ للواقعية الفذة .

ولكن القصة ، على بساطتها الرائعة ، تدور حول مشكلة انسانية منتزعة من اعماق الاعماق ، وهي حدود التصحية لدى ارباب الفكر والقلم : هل من شأنهم النزول الى معترك المعركة وحمل السلاح على كواهلهم الواهنة ، وتعريض قدراتهم للموت البليد ؟

صاحبة القصة لا تتحدث حديث القلب ، كزوجة محبة وكام

عطوف . وانما تترك الحكم لمقلها الواعي ، فيهديها الى ان الفكر الصق بالمسؤولية الاجتماعية من الدهماء ، وينبغي ان تكون تصحيته اغلى ثمننا ... انها في الكلمة الملزمة التي يقولها - ويجب ان يقولها - ويحرك بها الواف السواعد المقاتلة .

ان الكلمة التزام قد ينتهي بالموت على وتد او بالسجن الطويل على اهون احتمال ، ومع ذلك يبقى الفنان والكاتب والعالم ، يقبى جميع هؤلاء ممزقين بين ضرورة التصحية بحياة الالوف واثرة الاكتفاء بالكلمة .. وقد اشار الى شيء من هذا الحرج الاستاذ طارق شريف في مقاله (مواقف ازاء التصحية) .

على ان المشكلة يمكن ان تطرح على صعيد اخر : هل من حق الادباء ، والمفكرين عامة ، ان يخرطوا في العمل السياسي المباشر ؟ الا يجنسى ذلك على الادب والفكر من حيث لا تستفيد السياسة شيئا يذكر ؟! هذا رأي الكثيرين من الناس . وتجربة اندره شينييه وشاتوبريان وهوغو ولامارتين تجربة غير مشجعة ...

الموضوع لا يزال بحاجة الى بحث .

في قصة (خبز الفداء) ، للادبية سميرة عزام ، حب بين سعاد ورامز ولد في حرم البطولة القومية . وعاطفة الحب متوافرة ايضا في القصص التي عرضناها لها ، ولا نجد في ذلك اي افتعال .

ومدار القصة هنا البطولات الصامتة في نكبة فلسطين : رامز ، من الحرس القومي ، يدرّب المطوعين في النهار ويسهر على جرحى الجهاد في الليل . وسعاد متبرعة للتمريض في مشفى المجاهدين وتقوم عند الضرورة بتوزيع الزاد على المحاربين . ويتم اللقاء المحتوم ويبرعم الحب السف .

والصدفة الحلوة ليست هنا .. ؟ كانت فتيات المدينة قد نسجن قمصانا صوفية لرجال المعركة ، وكان في جيب كل قميص بطاقة تحمل اسم الفتاة المتبرعة وعبارة مشجعة . وسعاد وهي كتبت في بطاقتها: ارجو ان تكون - اي الهدية - من نصيب بطل ؟ فكانت من نصيب رامز . صدفة حلوة ، ومحملة الوقوع جدا في مدينة عكا الصغيرة .

تلك البطاقة السحرية اهابت برامز ان يكون بطلا حقا قبل ان يعرف سعاد ؟ ثم كان بعد الحب بطلا مزدوجا . وتحل النكبة ، وتقتل سعاد ملقحة بعباءتها المثقلة بالزاد ، ويكفي رامز وراء التاريس بكاء مرا ، ويمسح عينيه الفارقتين بكم القميص الصوفي، ذلك المقدس ، ثم يتحامل على نفسه ويفتح العرة التي حملتها الحبيبة ، ويقدم لرفاقه خبز الفداء وهو ينشج : كلوا .. ان سعاد لا ترضى لنا ان نموت جوعا .

صناع اصيلة ، تحسن تحريك الاشباح وارهاف الارواح ، تلك اليد التي كتبت (خبز الفداء) .

ومن بغداد وبيروت وعكا يحملنا قدر النضال العربي الى الجزائر . هنالك نجد (قدور) ساجيا في ظل زيتونة شمطاء ، وهو يسلم الروح، بعد ان صرع الكثير من ثيران بارييس القنطرة ..

وقدور ، في قصة (وعلى السفوح غرسناه) للاستاذ احمد سويد، يعيدنا الى مشكلة المثقفين الذين يخوضون معركة القومية العربية بالسلاح حين يوقنون في ظروف معينة ان السلاح انفع من القلم .

ان قدور ، خريج الصوريون ، كان جنديا عاديا في جيش التحرير، وقد لوع الفرنسيين في موانئهم . صلبوا امه - ويل للخنازير ! - دون مرحمة ، وانتقم لروحها الطهور ، ومات دافع العين لان حرب التحرير لم تنته بعد ..

بطلة القصة ، في رأيي ، هي ام قدور ، بكلماتها القليلة القليلة التي قذفت بها في وجه جنود المظلات العتاة . واللبوة لا تلد الا اسدا . والقصة كلها مشهد خاطف عميق التأثير من اروع كفاح نهدت له الامة العربية في تاريخها كله .

ولعل ما يسمونه (التشويه المهني) هو الدافع لي ابداء الملاحظة التالية : اعرف كجغرافي ان (كولون بشار او كولومب بشار) تبعد نحو ١٠٠ كم عن خط موريس المكهرب في غربي تونس . والحديث في مستهل القصة كان يدور حول خط موريس . ولقد يتوهم القاريء ان قدور وجماعته متمركزون على السفوح هنالك .. ثم تحدث المعركة فجأة في (كولون بشار) على حدود مملكة المغرب ..

ثوار الشعر

هنا ايضا استمد عناصر الحكم من مقال تحليلي في عدد (الاداب) للادبية ملك عبد العزيز : الشعر الثوري في الادب المعاصر . هنالك الشعر الثوري المباشر الذي يهجم على الموضوع مواجهة ، مرتكزا الى الالفاظ والتعابير والصور ، الملتهبة للشاعر ، وهنالك الشعر الثوري القصصي ، المعتمد على حادثة او حوادث يرويها على نحو مؤثر ، ليصل ايضا الى استثارة النغمة والحماسة في النفوس . واحسب ان الاسلوب الثاني اطول نفسا وابعد مدى واسس قيادا بالنسبة الى الشاعر بالذات .. وقصائد هذا العدد من (الاداب) يقلب عليها النوع الثاني .

ويبدو ان رواد الشعر الحر قد ثبتوا اقدمهم في (الاداب) .. حتى اصبحت منتجعهم الخاص . ولولا الشاعر الضخم سليمان العيسى لخلنا ان « الاداب » تتبرم بالقدايم وتلتزم جانب الحديثين .. ومهما يكن من امر ، فان سليمان العيسى حجة على من يرون في عمود الشعر المألوف حجرا على الفكرة الدافقة ، وحسبا للينبوع المتفجر . انه يعلو بالشعر القديم الى سموات فوق السموات ، ويطوف دون لهث في كل الافاق ..

وفي قصيدة (صيحة الرواد) يرسم سليمان العيسى نفسه راهبا للقصيدة العربية الكبرى :

ماذا تريد سماء الوحي من وتر	وفوق صدري تاريخ الاسى جثما
ماذا ؟ اسوسنة في الحقل ضاحكة	اصوغ انداءها للمجتلي كلما ؟
أباقية من شعاع الشمس غاربة	اذيب فيها فراغ الروح والساما؟
أهمسة من شفاء الحب عابثة	أقصها فاغذي الجيل منهزما ؟
كفرت بالحقل يؤوي غير زارعه	ويحمل الجرح ، لاشكوى ، ولا برما
كفرت بالحب ان ينشر غلاته	على حبيبين حام النل فوقهما
كفرت بالشمس ان تشرق على بلدي	الا لتلثم ارضا مرة وسما ..

هل اعطوه فوق حقه من سموه شاعر القومية العربية ؟

وارجع مرة اخرى الى « القديسة » .. لاهمس في اذن الاستاذ نزار القباني : متى كنت تصطاد الذباب ؟ هل تصدقك يا كاذب الكاذبين ؟!

وبعد ، لايسعني الا التقاط « العينات » من محصول « الاداب » الشعري .. فهو وافر نimir : قصيدة الاستاذ عدنان الراوي « شهيد » نعم علوي يصلح لان يكون نشيد الانشاد في ثورة المراق العتيدة . وقصيدة « اغنية عربية » للاستاذ شفيق لكمالي تلفت اليها نظر صديقنا

الدكتور عبد القادر القط ليضمها الى نماذجه عن تفاعل الشعر الجديد . والاستاذ عبد الباسط الصوفي صانع ماهر ، لايعالج الا معادن الماس والذهب والفضة ، وهي معادن ثمينة حقا الا انها في غير متناول ابناء الشعب .. وقصيدته « الحقد والفولاذ » تقطع الفولاذ .. اما قصيدة « الجرح الخالد » للاستاذ عبد القادر النعماني فالواضح ان تراكيبها تنوء بمعانيها .. بينما الاستاذ حسن النجمي قد استطاع ان يوازن بين الحامل والمحمول في « قصيدة الى الفجر » .

وفي « بعث جديد » للاستاذ محمد عمران تصوير مقتول العضلات للوثة السمراء ... اما الاستاذ خليل الخوري فصلاته ليلة الميلاد « الى جميلة القضية » سيتقبلها الله في واسع عرشه بابتسامة رضى حزينة كما تقبلها القاريء في خشوع ..

واجد « اغنية من بور سعيد » للاستاذ حسن فتح الباب دون ملحمة بور سعيد الفخمة .. ولا بد ان اخص قصيدة « الكلمة والشورة » للاستاذ فضل الامين بمصافحة يد حارة ، وان أهني الاستاذ كامل ابوب على الحركة المتوثبة والعصب انابض في قصيدة « الجندي الاخير » . وقصيدة « الزنجي العجوز » للاستاذ محيي الدين فارس بيضاء ناصعة، هل هزت نفسي لالتزامها الوزن الذي ارتاح اليه؟ ابدا ، وانما لانسانيتها المفجعة . و « الموت الجديد » للاستاذ حساني عبد الملك صورة ساخنة معبرة للتمدين الفرنسي ... التمدن بالدم . وفي « احلام الشهداء » للاستاذ عبد المنعم عواد يوسف تصوير تاريخي صادق لاحقادنا واحلامنا .

كلمة الى الاستاذ محيي الدين صبحي

قلت لك اكثر من مرة في حرم جامعة دمشق انك ستكون - بسـل اصبحت - اديبا موقفا ، ولكنك لن تكون ابدا مدرسا ناجحا؟ وقد اقلقتني صرختك « ودعا ايها الادب » لانك قلبت الفاهيم ... اصبر ياخي . ان مهمة التدريس تجربة حياتية مفيدة كتجربة الرعي للانباء ...؟ وما ضر مطاع صفدي ، الدائب في الخلق الرائع ، ان يكون مدرسا ...

والادب ، بعد ، هو في النوع قبل كل شيء . ولئن لم تنح لك متاعبك المهنية الا القليل القليل من الوقت لتصرفه في الادب المحض ، فاصرفه ونيدا في اثر او اثرين يكتب لهما المخلود . خذ الاسوة من « سويفت » في اسفار غوليفر ، و « دانييل دوفو » في روبنسون كروزويو ، و « ملتون » في الفردوس المفقود و « بوكاشيو » في الايام العشرة ، و « اريوست » في رولان الغاضب و « لوتاسو » في تحرير القدس ، و لافونتين وفلوبير ومونتسكيو ، ومئات ومئات غيرهم من العمالقة المقلين ...

عزة النص

دمشق

طبعت على مطابع :

دَارُ الْفَنِّ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ

تلفون ٢٢٩٢١

يا قلبُ حَسْبُكَ ما بالذكرياتِ وبِـي
تعاصرتها يدُ الطغيانِ والعَلَسِ
والشعبُ يلهثُ من ضَعْفٍ وهنٍ سغبٍ
لتستبدَّ أساطيلُ "لمقتصب"
، في كلِّ شبرٍ حطامُ من أخي وأبي
واذرعُ سمرٍ من أبطالنا النجبِ
لتطلع الشمسُ في الدنيا من الحُجبِ
توزع الخيرُ عبر العالمِ الرحبِ

ظَمَانٌ للمجد ؟ .. أم ظَمَانٌ للهِبِ
هذي القناةُ ، وهذا الشطُّ افئدةً
أيامُ يخطرُ (ديليسبس) منتشياً
يساقُ للموتِ آلاماً مؤلفةً
هذي القناةُ ، يدُ الشعبِ التي حفرت
جماجمَ يعربياتٍ هنا اندثرت
في كلِّ ضمة ماءٍ أعينُ سهرت
إنّا فتحنا (قناة العرب) قافلة

★

من السلام ، بلا حرب ولا حربٍ
موج الحياة ، بإيمان وقلب نبوي
في الشرق والغربِ أرزاقُ من الذهبِ
من كلِّ منكابٍ يغري بمنكابِ
وهم المغيرِ على الأشلاءِ والسلبِ
مدججاً عدداً ، يا سوءَ منقلبِ
، يا كلِّ قطرة دمٍ في العروقِ ثبي
على الزناد ، وجيش الزحفِ في (حلب)
وقلب (لبنان) أعصارُ من الشهبِ
و (المغرب) الحر بركانُ من الغضبِ
في (بور سعيد) دفناها مع الحقبِ

قلنا : اعبروها ، كما شئتم ، على سفنٍ
وامضوا الى بركات الله ، تغمركم
وامضوا الى بركات الله ، تغمركم
يا للطواغيت ، غدارون ، معتصبٌ
تكاتفتم عصائبُ يمزج بها
واستكثروا عدداً قد جمّعوه لنا
هذ قال فينا (جمال العرب) : ندفعها
في (اللاذقية) اجناد تشدُّ يداً
وفي (الفراتين) ثوارٌ لنصرتنا
في مشرق العربِ أبطالُ تشور لنا
أسطورة الغزو رآحت في تخطيطها

★

من خزيهم ، أرباً يلتف فسي ارب
أرض (العراق) تماثيلاً من الخشبِ
في (قاسم) لشعبِ أسباباً الى سببٍ
يسوقها ، أبداً ، مستعمرٌ وغبي
فتستبد على وهمٍ من العجبِ
يحطم القيدَ كالبركانِ واللهبِ
على العواميد ، كالصلبانِ والنصبِ
(أم الطبول) بماضي فجرها الخضبِ
في الشعبِ تجتثها من أصلها الخربِ
بالجيش ، قوتنا في جيشنا اللُجبِ
بأي منشعبٍ لا ذوا ومنشعبِ
في كف زاحفة ، في عين مرتقبِ
مأوى ، ولا عتمة تقفاد للهربِ

عاد الغزاة على أعقابهم جيلاً
عاد الغزاة ، وظل الارذلون على
من خائن الشعبِ (نوري) حطّة بعثت
هذي التماثيل ، كف خلف رغبتها
تعنو فتنقاد ضد الشعبِ طائفة
حتى اذا الشعبِ في أرض العراقِ مضى
ناراته تلك في (الحدياء) (١) يعرفها
وفي حفائر (كركوك) وما حملت
ستعلم الطفمة (الحمراء) ان يدا
سيعلم (القاسميون) ، الا الى عبثوا
سلو (البرامكة) الماضين حين طفوا
يا يوم ينتفض التاريخ ثانيةً
اليوم .. لا ، لا ، لا فمرّ للطفاعة ولا

النضال لورسعيد

(الى جمال عبدالناصر في العام الثالث للوحدة)

★

بعض الاماني ، واقباس من الارب
أضحى يناديك للامال فاستجب
واوهمتنا تصاريق من ألوب
من أرضه ، وضحايا الغدر في (النقب)
في ثورة النصر من تعثار مضطرب
ما بين (نازحة) فيهم ومفترب
بان تتمم فينا (وحدة العرب)

(جمال) ، (النيل) مصبوب على (بردى)
بين (المحيطين) شعب واحد وفهم
تقاسمتنا دويلات ممزقة
(حيفا) تناديك ، والمليون منتزع
واخوة النصر في (اوراس) تسندهم
قع جمّع العرب من اطلال فرقته
الشعب يودع في كفيك امينة

عدنان الراوي

القاهرة

(١) الحدياء .. الموصل .. ام الربيعين ..

العطش والعطش في الأغاني العراقية

بقلم نازك الملائكة

متأملين ما يكمن وراءها من دلالة وما تلقيه من ضوء على نفسية العراقي .

وبمقدار ما يمتلك العراقي عاطفية غريزية واندفاعا فطريا نحو الارض ، يمتلك ايضا ذلك الصفاء الشفاف الذي تتميز به نظرة الرجل البدائي . انه يتطلع الى الوجود في خشوع مشحون بالعاطفة والحرارة فتكون نتيجة ذلك ان تتصف نظرتة بالادراك الحق الذي يتصف به العقل البدائي، ان الاغنية العاطفية التي تنطلق من القلب في صدق كامل هي دائما الاغنية التي تعبر بعمق عن الحقائق الانسانية الكبرى والعفوية هي حقا مفتاح الحقيقة . ولذلك نلاحظ ان العراقي الذي يغني بكل عاطفته يأتي دون ان يدري كيف، ودون ان يعتمد ، بفلسفة عميقة مدركة ذات ابعاد شاسعة . واذا اردنا ان نذكر مثالا بسيطا لذلك فليس علينا الا ان نستذكر بعض الاغاني الدارجة في العراق من مثل الاغنية البسيطة التي كنا نسمعها في طفولتنا كثيرا :

ما تروي العطشان يا شط عسك (١)

ان في هذا الشطر من مطلع الاغنية بعض الحقائق الكبيرة تكمن مبشرة وراء المعنى المتحرق الذي صاغه عاشق ريفي مجهول لا يعرف له اسم . ان هذا الرجل العراقي الذي ابدع الاغنية يحب فتاة تسكن على الضفة الثانية من النهر ويشعر ، من ثم ، ان الماء هو الذي يفصل بينه وبينها فلا يجد متنفسا يعبر به عن حبه وضيقه الا بان يندفع في سداجة ويدعو على النهر بالآ يروي ظمآن . ولعل هذا الدعاء يبدو مضحكا لنا، خاصة لمن أنغمس منا في شكليات المدنية حتى ابتعد ابتعادا وثيقا عن عفوية الانسانية الحقة . لعل الانسان المتحضر المعاصر الذي فارق الحياة البدائية وفقد الصلة الوثقى بالطبيعة ، ان يتساءل عن الاساس الذي تقدم عليه دعوة هذا العاشق الريفي ، فماذا يضير النهر الا يرتوي الذين يشربون من مائه ؟ والجواب في الظاهر ان ذلك لا يضير النهر ، فيكفي اي نهر ان يجري ويتفرع ويتراعى عبر المسافات ، لكي يحقق غايته ، سواء بعد ذلك اروي العطاش ام ابقاهم على عطشهم . غير ان منطق هذا المحب العراقي الساذج اعماق واكثر ارتباطا بالحياة . انه يشعر - دون ان يدري - بان المثل الاعلى لكل ما على الارض ان يكون معطاء وان يبذل ويبذل ويروي العطاش . وفي نظر هذا العاشق لا تكون سعادة النهر الا بان يسقي ويعطي كل ما في وسعه ان يعطيه للشاربين .

(١) « الشط » في اللهجة العراقية الدارجة هو النهر نفسه لا شاطئه.

لو سألنا سائل (٢) ان نضع مخططا فكريا عاما للأغاني العراقية لانهينا الى القول بانها في حقيقتها تعبير بسيط عن العلاقة الفطرية بين الانسان والارض . ذلك اننا ، مع الفرد العراقي الذي يبدع هذه الاغاني ، بازاء مخلوق ما زال يحتفظ في نفسه بكثير من بدائية الانسان الاول الذي يقف من الطبيعة موقف المتأثر فيتجاوب معها ، وينفعل لاحداثها ، وتستجيب حواسه البقطة المرهفة لتقلباتها الدائمة . ويكون التعبير الغنائي اول حصيلة لذلك التجاوب والاهتزاز ، فيندفع العراقي الى الانشاد اندفاعا انسان الطبيعة القديم الذي لا يغني حين يغني بدافع التسلية واللهو والطرب ، وانما تهزه حاجة ملحة تجعل الاغنية ضرورة حياة ينفق بها الانسان عواطفه الدافقة ويتخلص بها من طاقة جائشة لا بد ان تنفق . وانما يصدر العراقي، في كل نغمة يغنيها ، وفي كل كلمة موزونة ينطق بها ، عن احساس وثيق بحاجة الى التعبير المنغوم تقبض مضجعه وتدفعه دفعا الى ان يرفع صوته بالغناء . وتلك الخاصة تجعل لاغانينا العراقية ملامح خاصة بها تميزها الى حد ما عن سواها من اغاني الوطن العربي الكبير .

ان الفرد العراقي عاطفي ، متأرجح المشاعر وتلك ايسر خصائصه واوضحها . وقد الف ان يقيم صلاته بالاشياء والاحداث على اساس تلك العواطف فليس مستغربا ان تكون الصلة بينه وبين ارضه صلة تأثر وانفعال زاحر مستمر . انه يعيش بأرضه ولها ويحكم احساسه نحوها في كل جهات حياته . فمن النهر الذي يجري في الارض او لا يجري يشتق العراقي اغانيه وقصائده . اذا كانت الارض مترفة ندية بالخضرة لان النهر الكريم يمر بها ، جاءت الاغاني تقطر بالماء وتموج بالخصوبة والاختضار . واما اذا كان المحل هو الغالب والماء بعيد لا ينال ، فان الاغاني تأتي حافلة بالعطش المحرق واليبوسة والجفاف ، وتصور اناسا عطاشا ، وخدودا احرقها شمس الظهيرة ، وحصادا جافا لا طراوة فيه ولا ندى . والحق ان الالتفات الدائم الى الماء يكاد يصبح خاصية مميزة للأغاني الشعبية في العراق ، بحيث لا يمكن لنا ان نلقي نظرة تحليلية فاحصة على هذه الاغاني دون ان نشخص هذه الظواهر ونقف عندها

(٢) هذا البحث هو الحلقة الثانية من سلسلة دراسات اكتبها حول الموضوع الاجتماعي للأغاني العراقية . وقد كانت الحلقة الاولى بعنوان (شخصية الآخرين في الاغاني العراقية) وهو مقال نشرته مجلة « الاداب »

سنة ١٩٥٧

ليس ذلك فقط ، وانما تكتمل سعادة النهر في حالة واحدة وحسب : اذا سقى العطشان ورواه . فكم من شارب لا يروي طمأ شيء، وكم من ماء يسقي الشفاه ولا يتركها الا متمطشة للمزيد بهذا النهر - الذي هو بصورة واضحة نوع من العذول يشاكس العاشق - ان يصبح مأؤه شيرا للعطش فلا يرتوي من يشرب منه قط . ولذلك نرى صاحبنا المحب العراقي البسيط . يحاول ان ينتقم من عذوله النهر الذي يفرق بينه وبين الحبيبة العزيزة على الضفة الثانية ، فلا يزيد على ان يدعو عليه على الا يحقق غايته من وجوده ، ومن ثم لا يتاح له ان يروي عطشان . وحين نذهب ابعده في التحليل ننتهي الى الخلفية الاعمق للنفسية العراقية وسوف نجد ان احدى الخواص الظاهرة لهذه النفسية انها تقدس الحياة وترى غايتها العليا هي البذل والانفاق السخي . ان سعادة العراقي تشبه سعادة هذا النهر الذي لا يريد ان يسقي الظامئين وحسب ، وانما يهمه ايضا ان يرويهم حين يسقيهم . واما عندما يلعب العراقي نهره ويدعو عليه بان يعقم مأؤه فلا يسروى الشاربين ، فان المعنى ان الامور لم تعد تجري على النحو الذي يرضي ويسعد . ان النهر الذي هو دائما صديق حنون كريم ندي اليد يمنح البركة والحياة ، هذا النهر نفسه قد بات عدوا لثيما مشاكسا ، دأبه ان يحول ولا يحقق ، ويفصل بدلا من ان يربط ويصل . ولعلنا نندهش حين نرى العراقي يصل في بدائية

صدر اليوم

الكتاب الثالث من المجموعة النسائية

المجموعة التي قدمت لك

ق.ل

١٥٠ افضل سنوات المرأة

٢٠٠ لتحدث عن الاطفال

تقدم لك اليوم

١٥٠ ابدي حياة جديدة

كتاب جدير بان تقرأه كل سيدة

★

وصدر كذلك كتاب من السلسلة الجنسية المصورة
كتاب

١٢٥ الحياة الجنسية في الزواج

منشورات مكتبة المعارف في بيروت

ص ب ١٧٦١

تفكيره الى حد معاداة شيء لا ارادة له كالنهر ، ففي نظر العقل تبقى الطبيعة سلبية لا تقصد ولا تريد وانما تجري وفق نظام صارم مفروض عليها . غير اننا سرعان ما نلاحظ ان من خصائص الذهنية البدائية انها تفيض من حياتها على الاشياء الجامدة حولها باستمرار . وفي الاغاني العراقية عشرات الامثلة على ذلك نشير منها الى تلك الصورة اللطيفة التي وردت في بيتين لفتاة ريفية من الجنوب تمت لو تكون فنجان قهوة في مقهى حتى اذا تناول الحبيب العزيز هذا الفنجان انفجرت بالبكاء بين يديه . فالفنجان في هذه الصورة ينتحب وتتحدّر له دموع حارة :

كون انقلب فنجان بيد القهوجي (٢)

واوصل لحلق هواي وانتحب وابجي (٣)

ومثل ذلك ان يتصور المحب الريفي انه يسمع النخلة تئن وتشكو من ان الحبيبة السمراء قد رمتها بحجر فاصابها الذبول ولم يبق منها الا السعف والكرب ، كما نلاحظ من الصورة التالية :

نخل (الرمادي) يقول طرنتي سمره

سعف وكرب ظليت ما بي ثمره

ومن الامثلة الحية المشهورة في الادب الشعبي العراقي بيتان تتصور فيهما عاشقة ريفية انها استحالت نجمة من نجوم الصباح التي تعبر في السماء ، وتسقطها المصادفة المحضة على غطاء الحبيب الغافي ، فتدثر معه بحجة البرد :-

نجمة صبح يا هواي واسقط على غطاك

وبحجة البردان واتلفف ويالك

ومن ذلك ايضا الصور الكثيرة التي ترد عن القمر وهو يبدو احيانا مخلوقا عابثا يلعب بتضليل المحبين المؤرقين وخلق الاوهام لهم :

أرد اجمع الميزان ويا الثريبا

ثاري القمر حبال يضحك علي (٤)

ان استقصاء هذا التشخيص الذي يضيفه العشاق الريفيون في العراق على الاشياء الجامدة امر يضيق عنه نطاق بحثنا الموجز هذا وبحسبنا ان نستقي في اذهاننا ما يكمن وراء الامثلة الجزئية ، فهذا العراقي حين تتفجر عواطفه يملأ كل ما حوله بالحياة ، فيرى الفناجين تبكي وتتحدّر دموعها ، والنخيل تشكو آثار النظرات التي ترمقها بها العيون السود ، والنجوم تعشق وتشتاق وتتظاهر بالبرد لتدثر مع حبيب غاف في غبش الفجر ، والقمر ينصب شراكا ويلعب العابا يشاكس بها المحبين في ليالي الريف الجميلة وهكذا يتحول الجمود نفسه الى حياة مشتاقة متفجرة تبقى نابضة ولا تهدأ لحظة .

★

(٢) كل قاف في العامية العراقية تلفظ كما تلفظ الـ G الانكليزية

(٣) «ابجي» معناها ابكي بلهجة العراق

(٤) « حبال » باللهجة العراقية تعني « معتال » بلا نية سيئة .

ولكن صلة العراقي بالماء . بمختلف مظاهره وارتباطاته . هي اقوى صلة . الماء يكاد يكون النبع الاكبر الذي يفجر الاغاني ويبعث الانحان والمعاني والعواطف حتى توشك اغاني الريف العراقي ان تكون كلها نتيجة للعطش والارتواء ومختلف مظاهرهما . ونحن نجد هذه الاغاني تعكس ، حتى بلغتها وتشبيهاتها ، صورة البقعة التي كتبت فيها . اما في تلك السهول الفسيحة العطشى التي لا يصلها الماء ، فان الاغاني تسلك مسلك اشجار النخيل التي تصعد في الهواء على ظمأ وحرقة بينما تجوب جذورها التراب بحثا عن قطره ماء لا تجدها الا اذا غاصت في اعماق الارض . ومع هذا الصبر الممثل الكريم الذي يقابل به نخيلنا حرقة العطش ترتفع اغانينا عطشة هي الاخرى ، متحرقة تحرق التربة المجذبة التي انبتتها ، يكثر فيها ذكر الانهار والماء والحل والعطش والمطر . هنا في اعماق الريف العطشان يولد الحزن والغناء وينشآن توأمين لا ينفصلان . ولعل العراقي لا يغني ولا يبدع الا حين يحزن ويفص بالدموع . اذ ذاك يجلس متكئا الى جذع نخلة حانية ويرفع عقيرته بالغناء فتتكسر الاهات وتتجاوب بين سعف النخيل .

والحق ان النخيل العطشان يصلح رمزا عاما للنفسية العراقية حين تخلق الشعر والغناء . واقول « النفسية العراقية » واقصد بها الفطرة العراقية الحقة التي لم

يلونها تصنع المدنية . . . ففي المدن ، يكتب النظاميون المحترفون اغاني ركيكة مبتذلة لا يشتقونها من اعماق الروح المحلية الاصيلة وانما يطلبونها بكل ما هو زائف مجسوب فتجيء منظوماتهم حافلة بالبذاء والبرودة والتصنع . وانما اقصد الاغاني الجميلة الحارة التي ينتجها الريف ويعبر بها عن عواطفه تعبيرا عفويا ، في غفلة كاملة عن الشهرة والمال والاساليب . هناك ينظمون الاغاني مدفوعين بمثل دوافع النخلة المتعطشة التي ترسل جذورها في التربة بحثا عن الماء والغذاء . وكما انه لا بد للنخلة من ان تسعى الى الارتواء والشبع ، فكذلك يشعر العراقي انه لا بد له من ان يسعى الى التعبير عن نفسه بالشعر والغناء ، ومن ثم تجيء الاغاني نابضة بالاصالة والانسانية والجمال والحرارة ، وتشير الى نقاوة الروح العراقية ذات العاطفة الفطرية المكتنزة والخصب الشعوري الذي لا ينضب .

واذا كان الماء ظاهرة غالبية على اغاني العراق ، فان العطش هو السمة الغالبة على هذه الاغاني . ولسنا نعني بالعطش حرفية المعنى ، فكم في العراق من حياة غزيرة جارفة تتبدد ليل نهار ، وما اكثر الاغاني التي تتحدث عن دجلة والفرات وعن الشواطئ والأمواج والاسماك ومراسي الزوارق والاشرعة البيض وغير ذلك مما هو مفعم بالماء الدافق الغزير . وانما نحن ، مع ذلك ، بازاء اناس عطاش لا يرتوون ويبقون يتحرقون الى الماء الذي هو رمز للحياة كلها . ان النهر في العراق يكاد يصبح رمزا للعطش وذلك هو وحده سبب الالتفاتة في الشطرين :

ما تروي العطشان يا شط عسك
محرمني شوف هواي يا كلها منك (٥)

ان ابسط دراسه لمضمونات الاغاني العراقية مما نسميه عادة بـ « غزل البنات » (٦) تنتهي بنا حتما الى ان نقابل « التعطش » وجها لوجه . ان دجلة والفرات مقترنان لدى العاشقات من بنات الريف بحبيب ضائع تاه في جرف ما على طول النهرين الكبيرين فنسمع الفتاة تصف بحثها عنه واصرارها على ان تعثر عليه . مهما كلفها ذلك حتى لو قلبت النهرين قلبا :

أرد اقلب الشطين دجله والفرات
وانظر حبيبي اليوم من يا عقد فات

والشواطئ التي تحف بالنهر تذكر هذه الفتاة بطباع حبيب متقلب هوائي لا يكتف اسرار حبها وانما يبوح بها هنا وهناك ، وتلك طباع الرمال التي تتراكم على كل جرف حول الفرات ، فلا يأمن المرء ان يضع عليها قدما . وتنطلق المحبة في لحن عتاب رقيق لهذا الحبيب الثرثار :

— التتمة على الصفحة ٧٠ —

(٥) «يا كلها منك» معناها الحرفي : «يا من هو السبب في المسألة كلها»
(٦) «غزل البنات» الاسم التقليدي للشعر العاطفي الذي تقوله بنات الريف ارتجالا وله وزن خاص منزوع من البحر البسيط . وقد اعتمدنا عليه في الامثلة التي اوردناها في هذا المقال . على ان الوزن لم يعد مقصودا على البنات وان كان كذلك في الاصل .

شركة مصر للطيران

الشركة العربية المتحدة للطيران

من أول كانون الثاني الحالى الى نهاية آذار ١٩٦٠

بيروت - القاهرة - بيروت

بالأسعار المخفضة

الدرجة السياحية ١٧٨,٠٠ ليرة لبنانية

الدرجة الثانية ١٥٤,٥٠ ليرة لبنانية

بطائرات مكيفة سريعة ومجهزة بالرادار طراز

سوبر فايكاونت

مكاتب الشركة : بيروت - شارع رياض الصالح - بناية بنك مصر

تلفون ٣٠٣٨١ - ٤٥٧٥٤ - ٤٥٨٢٥

تتمة العطش والتعطش

ساسك رمل هيال من يا شريعة^(٧)
عالرايح وعالجاي سرك تبعه
اما السمك الذي يكثر في الانهار العراقية فان المحب
العراقي يمنحه صفة المشاركة العاطفية ، ويجعله يبكي معه
في ليالي الشوق التي يارق فيها ولا يستطيع النوم :
وشلوان انام الليل وانت على بالي
حتى السمك بالماي يبكي على حالي
وما اكثر الاغاني التي يشبه فيها العاشق العراقي نفسه
بنبتة صغيرة غريبة زرعت على شاطئ نهر ، بين الخوف
والماء ، لتبقى منفردة مستوحشة ، ان هذا المعنى يتكرر
في ابيات غير قليلة واجمل امثله الشطر المشهور :

بين الجرف والمائي حنطه زرعوني
وما اكثر ما يصور العاشق العراقي نفسه حيران
مضياعا على الضفاف يتوسل الى ملاحي السفن الشراعية
ان يعبروا به النهر الى الشاطئ المقابل حيث تسكن
الحبيبة ، فتضيع صيحاته ولا يستجيب له الملاحون :

لاهل السفن باريت ما عبروني
وهكذا نجد الماء في هذه الاغاني مرتبطا بالضباب
والتحرق والخيبة وكان لعنة ذلك المحب قد حققت فلم يعد النهر
يروى ظمئا . واما عندما نبعد عن الماء قليلا وتأتي القفار
الماحلة والبراري الظمأى فتبدأ الاغاني بالعطش الفعلي
ولا تكتفي بالتعطش . هناك يصبح الماء حرقا كاويه على
الشفاه وتشير ابيات الاغاني الى حب بلا امل كان العاشق
فيه يحاول ان يحرق ارضا من الصخور فكل جهوده
ضائعة والامل مستحيل :

طرحي بصخر ذبوه مسحاتي كلت
بس دعوتي وياك كل دعوه فلت
والبيتان التاليان يتحدث بهما فتاة عاشقة عن الذبول
الذي اصاب قلبها بعد ان حال العدول بينها وبين من
تحب :

اصبحت روحي اليوم ذابل وردها
هدولي عبرة ماي والواشي سدها
هنا ما كاد الماء يتدفق ، ما كاد بلمس الورود الذابلة حتى
جاء الواشي واغلق الطاقة الصغيرة المفتوحة . ودعوى
هذه الفتاة اغزر بكثير من الماء الذي تنعم به بقعة الارض
التي يزرعها ابوها . ذلك ان الفلاح الذي يرى « لوحا »
صغيرا من ارضه قد ارتوى بدفقة ماء مفاجئة جاد بها
الحظ يقف مبهورا من النشوة والسعادة وهو لا يصدق
ان ماءه قد سقى كل تلك « الارض » . وهنا تسخر منه
الفتاة العاشقة ، فان دموعها نفسها اكثر من هذا الماء .
وفي خيالها يمكن ان تسيل هذه الدموع وتصلح حتى

(٧) معنى الشطر الاول ان « اساسك » - اي طبعك - يشبه الرمال
التي لا تثبت ويسهل انهيارها وسرعان ما تجرفها امواج النهر . اما
« الشريعة » بكسر الشين فهي الاسم المحلي لمسى الزوارق .

تصل الى مستوى الارض في « النجف » مشهد الامام
علي وهي معروفة بانها تقع على تل عال . والصياغة في
البيتين من اجمل ما يمكن في ادب الاغاني :

متعجب بدنيساك مايك سقى لوح
دمعي من اهده اليوم للمشهد يسروح
ان الماء يذكر فتيات الريف بدهوعن دائما ومن اجمل
نماذج هذا المعنى هذا الشطر المشهور :

يا الشايلات شراع بدموعي فوتن
كل الوجاعة تطيب بس انه اموتن
والعطش ، العطش الحقيقي الذي تشعر به فتاة تعيش
في ريف قاحل ، هذا العطش يرتوي من مرة واحدة ترى
فيها الحبيب . ولذلك نراها تقصد السوق ، ولو دون ان
يكون لها عمل فيه ، وانما المقصد ان تمر بحبيبها وتراه ،
ورؤيته تروي ظمأها حتى لو كانت لم تذوق طعم الماء منذ
سبع سنين :

مالي شغل بالسوق مريت اشوفك
عطشانه سبع سنين اروي من اشوفك
هذا هو الجو العام للاغاني العطشى التي تنبت تربة
العراق : محبون يزرعون الصخور وتضيع جهودهم سدى ،
وازهار تذوي وتصفّر لان الواشي يسد عنها مجرى الماء ،
وفتيات بعطشن سبع سنين ، واشجار ظامئة في قفار
يابسة وقيظ وحر لافح تدبل خدود الحبيب العزيز تحت
شمسه .

ان هذا التكرار لفكرة العطش في الاغاني العراقية يشير
الى ظواهر اعماق في حياة العراقي ، ظواهر قد نستطيع
ان نعلل بها للمشكلة الاجتماعية التي بدأ الجدول يثور حولها
في السنوات الاخيرة : لماذا يبقى الغناء العراقي حزينا
ملتاعا يمتزج بالاهاث ويعصره العطش الروحي ؟ وقد لا
تكون الاجابة عن هذا السؤال هينة . ولكننا لن نلتمس
التعليلات في خارج حدود الاغاني العراقية . اننا نريد
ان نأخذ الجواب من فم المحب العراقي المنفرد وهو يغني
في اعماق الريف .

ولن نحتاج الى كثير من الجهد في التماس الجواب . .
فلو التفتنا في قليل من التأمل الى اغانينا الشعبية لوجدنا
في معانيها معنى عاما يتكرر على صور كثيرة ويفاجئنا
مختبئا في الابيات والمقاطع هنا وهناك . ذلك هو معنى
الاحساس بما لا يتحقق ، باستحالة الوصول الى الغاية ،
وبعدم القدرة على تحقيق ما يبدو قريب المنال . وبسط
تجسيد لهذا المعنى بيت شائع لعل اكثر العراقيين يحفظونه
وهو يجري هكذا :

نمنا وشبعنا نوم بفيك يا نعناع
وهو بيت يشبه سائر اغاني الريف في انه يعبر بكلمات
بسيطة قليلة عن معنى خصب مثقل بالاشارات . ولن
يتاح لنا ان نفهم وجه المعنى في البيت الا اذا تذكرنا ان
« النعناع » عشبة خضراء صغيرة لا يزيد ارتفاعها عن
اصبعين . وهذا المحب يحدثنا انه التمس ظلا يتقي به حر
الظهيرة اللافح فلم يجد الا النعناع . . ثم يقول لنا انه نام

صدر حديثا



● صدر هذا الكتاب في اميركا منذ بضعة اشهر ليس غير . ولم يكد يوزع في الاسواق حتى تخاطفته الايدي ، واضطر الناشرون الى اعادة طبعه عدة مرات في فترة لا تتجاوز الخمسة اشهر .

● يعرض هذا الكتاب الفريد من نوعه لتصرفات الدبلوماسيين الاميركيين الغبية ، ويصور مدى خطورة الاخطاء التي وقعت وتقع فيها نظارة الخارجية الاميركية في سياستها تجاه الشعوب الحديثة الاستقلال .

● الأميركي البشع كتاب يسمو الى الذروة من ناحية القصة الفنية ، كما انه يشرح حقيقة اهداف الولايات المتحدة ويشرح نشاطاتها في كثير من بلدان جنوبي شرق اسيا بأسلوب قصصي رائع . .

تأليف الناقدین الاميركيين : ولیم لیدرر و یوجین بیردیک

اصدار : دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة

ص.ب ٢٥١١ بيروت

في ظل هذا النعناع . . وشع نوما . اية سخرية يمكن ان تكون اشد مرارة من هذه ؟ انه في الحق بيت يكساد يقطر بالدمع ، فياله نوما ، ويا لها ظلالة وريفة . ان هذا المحب الذي يتحسر ، لا يعبر عن حسرته بالتأوه والشكوى وانما بالسخرية الموجهة والاستهزاء . وهو يلمس قلوبنا احر لمس بهذه الاشارة الكئيبة الساخرة .

ويطل علينا الاحساس بما لا يتحقق في بيت اخر اقل شيوعا من البيت السابق وهذا نصه :

نتقابل انسي وبساك بابرہ نحفر بئر
ان هذين المحبين قد يسا من امكان اللقاء والاجتماع الى درجة تجعلهما يحسان بانهما ، في استماتتهما في تحقيق ذلك ، اشبه بمن يحاول ان يحفر بئرا بآبرة لعله يصل الى الماء في باطن الارض . وذلك هو عين الاحساس بالمستحيل . فكيف يمكن ان تحفر بئر بآبرة . هما كان الحفار صبورا مخلصا ؟ وهكذا ينتهي المحبان الى ان يسخرنا من موقفهما المضني ويقنعا بالتشبيه . انهما يحتاجان ، لكي يرتويا من العطش ، الى ان يحفرا بئرا ، وليس . هما ما يحفران به الا آبرة . فما ابعد الارتواء .

ان هذه السخرية تتكرر كثيرا في الاغاني العراقية . وكان المحب ، وهو يجسد نفسه محروما ، يسلي نفسه بالصور والتشبيهات والوان الاستهزاء . انه على الاقل يسعد ان يكون اول من يسخر من الواقع المرير الذي لا يستطيع تغييره وان حاول . ولعل السخرية ان تكون وجها من وجوه التنفيس العاطفي التي يبررها علم النفس وذلك لما تتضمنه من ادراك سابق للالام والحرمان . فان نتألم ونقبل المنا ونضحك منه ، ذلك خير لنا من ان نتألم ونثور على المنا فنضيف اليه . ان التقبل نصف الحل وفيه عزاء على كل حال . لا بل انه يكاد يكون مرحلة من الانتصار .

كل هذا يعطينا مفتاحا هاما للروح التي تسيطر على الاغنية العراقية . آبار مغربة تلوح بالماء البارد العذب لو حفرت ، ولكننا لا نمتلك مساحي ولا فؤوسا نحفر بها لا شيء الا آبرة ضعيفة لا نفع فيها . وقوم يحرقهم قيظ الظهيرة فلا يجدون حاميا منها اكثر من ظلال النعناع . ان الآبار لا تحفر قط ، على حرارة رغبة العراقي العطشان في حفرها ، والنوم لا ينال ما دامت الظلال معدومة . ويبقى النعناع رمزا ساخرا للفرق بين الاحلام التي يتمناها العراقي والواقع التافه الذي يحققه ، كما تظل الابر رمزا مؤلما للحرمان من الفؤوس الحادة والمساحي التي تقلب التراب وتوصل الى المياه الباردة الصافية .

واما النتائج النفسية والعاطفية التي يحدثها هذا الشلل الروحي ، وذلك العطش الدائم الذي يحسه العراقي ، فان الاغنية العراقية لا تضيق عن تشخيصها تشخيصا غير واع . ونحن ولا شك واجدون مادة غزيرة للبحث لو تأملنا مختلف الاغاني من ناحيتها الاجتماعية والفكرية . ولعلنا ان نفرغ لذلك في حلقة تالية من هذا البحث !

نازك الملائكة

بيروت

وقد حركتني فـلـسـة ..

بقلبي وتبزع نجمه
ويا لانبعاثي ، ويا لانخطافي
وراء حدود المكان
وراء حدود الزمان
اطير واعلو وصوتك وحده
معي في دمائي
يمور بحيرة ضوء
يرقرق جدول دفء
يعيد نسيج الحياة جديدا
يرفء ويرعش في كل شيء

★

ومررت دقائقنا وانتبهنا
وما زلت اصفي
واطبق صمت وما زلت اصفي
بفرح يقيني
كاني
اضم الى كنوز البحار
كأني الملم كل الشمس
وما زلت اصفي واحلم أنني
اطير اليك واعلو
ودربي عبر وظل
ووطء حرير يرف وضحكة شمس تهل

★

غدا نلتقي !
ووسدت خدي ذراع الرضى
ونمت على حلم الزنبق

فدوى طوفان

هتفت من الجانب الآخر
وكنت بعيدة
أهيم وراء شواطئ ذاتي
أهيم بعيدا وليس معي
سوى وحشة الليل في مخدعي
وفي الدار حولي فراغ الصحاري
وصمت القفار
وكنت وحيدة

اعيش حياتي بغير انتظار
بغير انفصال مثار
اعيش حياتي يوما فيوما

على غير توق
على غير شوق

وكنت طويت كتاب الحنين
وشوق السنين
واخمدت ناري

★

ورن هتافك عبر المسافات
يطرق باب انطوائي
يفجر نبع الحياة بأرضي
ويلمس عمق سمائي
فيما للنداه
نداهة صوتك في مسمعي
ويا للطراوه
طراوة كلماتك الغاليات
تغلّفها بالدعابه
تلونها بالعتاب ، بمعنى الصبابة
وما زلت اصفي ومع كل كلمه
تفتح ورده



كامو و التمزيق ...

بقلم الدكتور سبيل دريس

كان مصرع البير كامو ، في حادث اصطدام ، الحلقة الأخيرة من سلسلة « العبث » التي كان كامو يعتقد بأنها تقود حياتنا البشرية كلها . والحق انه لا يمكن لشيء ان يجسد « لا معنى » الحياة كهذه الميتة التي تطبع بطابع التفاهة كل جهد وتطلع وشوق يحس به الانسان ليتحرر من التفاهة . ولعل هذه النهاية هي خير تطبيق للفلسفة العبثية التي كشف عنها اول كتاب لكامو « اسطورة سيزيف » ولعلها في الوقت نفسه اجهاض حاسم لفلسفة « التمرد » التي حاول الكاتب الفرنسي ان يخرج بها من حدود السلبية الى حدود الايجابية ، واضعا بذلك اساس « اخلاقية » صارمة لم ينته اليها زميله سارتر مثلاً .

وقد يكون ذا مغزى عميق ان يتحدث سارتر عن هذه الاخلاقية لدى كامو ، فيكتب اثر مصرعه (١) بأنه « كان يمثل في هذا القرن ، وضد التاريخ ، الوريث الحالي لهذا الصف الطويل من الاخلاقيين الذين كانت آثارهم تشكل ابدع ما في الادب الفرنسي واجده - لقد كانت نزعتة الانسانية العنيدة ، الضيقة الصافية ، القاسية الشهوانية ، تشهر معركة اليمه ضد احداث هذا الزمن الكثيفة الفاقدة الانسجام . غير انه ، بعناد رفضه ، كان يؤكد في قلب عصرنا ، وفي وجه المكافيلين ، ووجه عجل الواقعية الذهبية ، وجود العنصر الاخلاقي » .

على اننا ينبغي الا نرى في آثار كامو خطأ تطوريا منسجما ، لان هذه الآثار لم تكتمل بعد ، من جهة ، فهي منقطعة ، ناقصة ، ولان لحظتي العبث والتمرد ليستا ، من جهة اخرى ، لحظتي تتابع واستطراد ، فهما في نزاع ابدى مستمر ليست الغلبة فيه لاحدهما بشكل نهائي . ولعل هذا الصراع الموصول هو الذي يلقي هذا الظل من التمزيق على جملة آثار كامو ، وعلى حياته بصورة خاصة .

هذا التمزيق ، في اطار فلسفته ، نجده بصورة واضحة في فكرة الانتحار الذي « يعني بكل بساطة : الاعتراف بان الحياة لا تستحق ان تعاش » ولكن بالرغم من عدم جدوى هذه الحياة وعبثيتها ، فان كامو يرفض الانتحار ، لان الانتحار هو رفض للتناقض وللامعنى اللذين هما خصيصتا الوضع البشري . فما العمل اذن؟ ما معنى ان يكون الانسان انسانا؟ ان ذلك لا يعني الا ان نقيم حتى النهاية « المجابهة

اليأسه بين السؤال البشري وبين صمت العالم . » وما دام الانسان ينعم بهذه الحاسة التي نسميها « الوعي » ، فلا مفر له من هذا التمزيق الذي ينتج عن ادراك العبث من جهة ، وعن رفض وضع حد لهذا العبث الا بالتمرد . صحيح انه ليس ثمة ما هو موجود ، ولكن الانسان يبقى مع ذلك « قيمة » . وينبغي ان ننقذ هذه القيمة ، لانه النبع والمصدر . وسيكون هذا الانقاذ عن طريق الاخوة على غير ما وهم ، وعن طريق العمل من غير امل . وهذا مغزى رواية « الطاعون » : ان الدكتور ريو يعمل كل ما يستطيع عمله ، في مدينة وهران المعزولة بالطاعون ، من غير ان يؤمن بشيء . ونحن لا نجد الحنان والنزعة الغنائية الا في مشاعره ، اما في افكاره ، فليس الا الصرامة . . فحتى موت طفل « اكثر الامور ظلما على الارض » لا يبلغ ان يعكر حرصه على العمل او يضعف حسه للصراع .

واذن ، فان انسان كامو ، في دراساته ورواياته ، من « اسطورة سيزيف » حتى « السقوط » مروراً بـ « الغريب » و « الانسان المتمرد » و « الطاعون » يظل هذا الكائن الممزق ، حتى حين يتمرد . يظل سلبيا تقريبا حتى في ايجابيته ، لانه يعمل بلا امل ، ولانه لا يستطيع الا ان يعمل ، وهكذا يجد قارئ كامو انه مدفوع الى ان يتساءل : وهل في ذلك انقاذ حقيقي ؟ هل التمزيق انقاذ ، ان لم يتجاوز

نفسه الى القاء بعض المراسي التي يستطيع الغريق ان يتشبث بها ؟

ان هذه الاسئلة هي التي تدفعني الى الاعتقاد بان عمل كامو الكتابي لم ينته بعد ، وان مقتله يدع هذا العمل ناقصا غير ناجز . (٢)

ولكن ذلك لا ينهي المشكلة ، بل لعله يلح علينا في طرح السؤال : ما تفسير هذا التمزق لدى مؤلف « اسطورة سيزيف » ؟ واي شكل يتخذه هذا التمزق في حياته ؟ نحن نعتقد بان مأساة الجزائر تكمن وراء هذا التمزق ، ولو كان كمونها خفيا . والواقع ان موقف كامو من القضية الجزائرية لم يكن موقفا موحدا حاسما . كان دائما موقفا مشوبا بالقلق والتمزق ، ولعل ذلك كان يؤدي الى فترات متقطعة يؤثر كامو ان يلتزم فيها الصمت المطلق .

ولا فائدة من ان ننكر بأن كامو كان يؤمن في اول الامر بان قدر الجزائر ينبغي ان يظل قدرا فرنسيا ، لانه كان يخشى ، لو اعطي الشعب الجزائري حريته ، ان يصاب ببؤس عظيم ، وان يؤدي ذلك الى انفلاق الجزائر على

(٢) اعلنت بعض الصحف الفرنسية ان لكامو رواية جديدة قيد الطبع بعنوان « الانسان الاول » Le premier homme لعل في هذا الكتاب بعض جواب على السؤال المطروح .

عصبيتها ، بدلا من انفتاحها على اوروبا . . وليس لنا ان نبرر هذا الموقف ، فانما هو مستوحى من منطق استعماري كان الفكر الحر يربا بكامو ان يستعين به . والحق ان هذا الموقف اثار كثيرا من المفكرين الفرنسيين الاحرار فسجلوا به على كامو مأخذا كبيرا . ولكننا لا نستطيع ان نتناسى ان كامو قد كتب عام ١٩٤٥ بضع مقالات ارسلها من الجزائر عن الاضطهاد الذي كان يتعرض له الجزائريون . ولعله كان من اوائل الصحفيين الفرنسيين الذين اطاقوا صيحة الخطر حول الموقف في الجزائر ، وكان من نتيجة ذلك ان ابعد من الجزائر في وقت السلم . وان مراجعة هذه المقالات تكشف عن انه قد تنبأ بكل شيء ، بما في ذلك الثورة الجزائرية ، وردود فعل المتطرفين من الفرنسيين ، وفساد الادارة الفرنسية ، وتزوير الانتخابات وكل ما يتصل بالة الاضطهاد ، ومن هذه المقالات استمد بعض الكتاب الذين يناهضون الاستعمار الفرنسي في الجزائر حججهم وبراهينهم .

وفي باريس ، انضم كامو الى اسرة تحرير جريدة « الاكسبريس » الاسبوعية ، وكتب عام ١٩٥٥ مقالا يرد به على السيد بومنجل ، لسان حال جبهة التحرير الجزائرية اليوم ، ويقترح فيه معه عقد طاولة مستديرة يجتمع حولها كل ممثلي الرأي العام الجزائري ، وكانت جبهة التحرير

صدر حديثا

وضاح اليمن

أو

الطيب العائد

وهو الكتاب الاول من سلسلة

آفاق عربية

التي يكتبها بيان مشرق

اكرم الرافي

ويضع لوحاتها التاريخية

رضوان الشنهال

دار العلم للملايين

الثنى ٢٥٠ ق.

دار الثقافة - بيروت

تقدم

اكبر واوسع سلسلة في الادب الاندلسي
المكتبة الاندلسية - الكتاب الاول :

فن التوشيح

للدكتور مصطفى عوض الكريم

قدم له - الدكتور شوقي صيف

دراسة اولى من نوعها في فن التوشيح

طباعة انيقة - ورق ممتاز

٢٠٠ صفحة من القطع الكبير الثمن ٢٠٠ ق.ل.

الكتاب الثاني

تاريخ الادب الاندلسي

« عصر سيادة قرطبة »

للدكتور احسان عباس

تطلب جميع هذه الكتب من الناشر دار الثقافة

ص.ب ٤٢٣ بيروت - تلفون ٢٠٥٦١ وعموم المكتبات

حامد

الناطقة التركي في الخط العربي

بأحلى خطوط الوشي ما خطَّ « حامد »
وتفديه أمُّ للربيع ، ووالد !
أحاول بالتشبيه وصف سطورهِ ،
وأن أعجز التشبيه ما أنا ناشد :
فكالجيش ، هذا صفه غير ملتو ،
وكالصيد هذا سربه المتوارد .
لعمرك : ليس اثنان في العصر ، أنما
أخو عبقريات المراقم واحد !
إذا خُط شعرا جود الشعر خطُّه .
كأن عليه أن تجود القصائد ...
وما ذاك صوغ اللفظ ، لكن روعة
لها من مصوغ الخط لمح يشاهد !

أ « حامد » : تلك الضاد ، هل كحروفها
حلا لعيون أئمد ومراد ؟!
فسل قومك الترك الذين تغفروا
عن الضاد : هل قد أدرك الفقد فاقد !
هو الحلي جنب الحلي دون سطورها
فيا أحرف الثلاثين : أين القلائد ؟..
إذا « الفات » الضاد لاحت قدودها ،
بدا من قدود الغير قال ، وحاسد .
وفي نقط « الثآلث » غمز محجب ،
وفي « العين » غنج ، فهي غيداء ناهد .
ولله كم في « السين » روح لمقلة ،
لها من تعاريج ، هناك ، وسائد ...

لخطك بات لحر كالتبر غالبا ،
وأطنب دلال ، وفصل شاهد .
وفي السبج اللامح قام معبر
يقول : إلا ابن الحلي ، والفرائد !..

أمين نخله

في ذلك الوقت موافقة على الفكرة .
ومن الاسباب الرئيسية التي حملت كامو على الانضمام
الى تحرير « الاكسبريس » رغبته في الاشتراك بالحملة
التي تهدف الى اعادة منديس فرانس الى الحكم . ومنديس
فرانس معروف بنزعه التحررية وايمانه بحق الشعوب في
تقرير مصيرها . ويروي جان دانيال (٣) المحرر في هذه
الجريدة انه كان يقدم الى كامو ، اثر كل رحلة صحفية كان
يقوم بها الى الجزائر ، مجموعة من الوثائق عن اساليب
التعذيب التي كان يقوم بها الفرنسيون تجاه الجزائريين
العرب ، فيدفع كامو بعضها الى النشر ..

وحين اعلنت الثورة الجزائرية عام ١٩٥٦ ، أثر كامو
ان ينسحب ويصمت ، كأنما سقط فريسة تمزق دام
بسبب هذه التطورات . ومنذ اعلان تلك الثورة العظيمة ،
لم يندأ من اكثر من خمس سنوات ، يلتزم الكاتب الفرنسي
صمتا شبه مطلق في ما يمت اليها بصلة ، ويحاول ان
يخرج من تمزقه بالانصراف الى بعض الاقتباسات المسرحية
التي تحقق له الغيبة والفرار . ولعل اقتباس رواية فولكنر
« انشودة الى قديسة » تشي بحنان خفي لدى كامو الى أن
يقف من القضية الجزائرية موقفا ينحاز فيه كليا ونهائيا
الى جانب الضحايا . ويذكر جان دانيال ان كامو « لم يكن
يتردد قط في تقديم كل معلوماته وارائه الى لجنة الوقاية »
حول شجب التعذيب والاعتقالات القسرية ، ولكنه كان
يؤثر الايعلن ذلك على الملأ . ويضيف الكاتب بان مؤلف
« الطاعون » صارحه قبل فترة وجيزة من موته بقوله :
« يكفيني ، وأنا اقرأ ما تكتب ، ان أدرك انك ممزق مثلي »
وبعد ، فنحن لا نود ان نبرر موقف كامو او نبرئه .
فان الصمت نفسه هو اتخاذ موقف . وقد كان على كامو ،
وهو الجزائري المولد ، ان يكون اعمق ادراكا لمأساة الجزائر
من اي كاتب فرنسي آخر ، وان يتخذ منها الموقف الذي
ينسجم مع ايمانه بالعدالة والتمرد والثورة . ولكننا في
الوقت نفسه لا نستطيع ، ونحن نقرأ آثاره ونبحث في
حياته عن اضاء تنيرها ، الا ان نجد شبح هذه المأساة
مخيما فوق السطور .

لقد كان كامو يعتقد بأن عبثية الحياة تفرض عليه ان
ينعزل عن الحياة ، وان يعيش عيشة المتوحد Solitaire
ولكنه كان يدرك كل يوم ، أنه كائنسان وكفنان ، لا يستطيع
الا ان يعيش عيشة المشارك المتضامن Solidaire وهذا
مغزى قصته الرائعة « جوناس » (٤) . وذلك الصراع بين
التوحد والتضامن هو الذي خلق في ضمير كامو ادمى تمزق
نفسي وخلق عرفه الادب العالمي الحديث .

سهيل ادريس

(٣) راجع مجلة « اكسبريس » العدد ٤٤٧

(٤) ترجمتها الى العربية عائدة مطرجي ادريس ونشرت في « الاداب »

كانون الثاني ١٩٥٨

حامد

الناطقة التركي في الخط العربي

بأحلى خطوط الوشي ما خطَّ « حامد »
وتفديه أمُّ للربيع ، ووالد !
أحاول بالتشبيه وصف سطورهِ ،
وأن أعجز التشبيه ما أنا ناشد :
فكالجيش ، هذا صفه غير ملتو ،
وكالصيد هذا سربه المتوارد .
لعمرك : ليس اثنان في العصر ، أنما
أخو عبقريات المراقم واحد !
إذا خُط شعرا جود الشعر خطُّه .
كأن عليه أن تجود القصائد ...
وما ذاك صوغ اللفظ ، لكن روعة
لها من مصوغ الخط لمح يشاهد !

أ « حامد » : تلك الضاد ، هل كحروفها
حلا لعيون أئمد ومراد ؟!
فسل قومك الترك الذين تغفروا
عن الضاد : هل قد أدرك الفقد فاقد !
هو الحلي جنب الحلي دون سطورها
فيا أحرف الثلاثين : أين القلائد ؟..
إذا « الفات » الضاد لاحت قدودها ،
بدا من قدود الغير قال ، وحاسد .
وفي نقط « الثآلث » غمز محجب ،
وفي « العين » غنج ، فهي غيداء ناهد .
ولله كم في « السين » روح لمقلة ،
لها من تعاريج ، هناك ، وسائد ...

لخطك بات لحر كالتبر غالبا ،
وأطنب دلال ، وفصل شاهد .
وفي السبج اللامح قام معبر
يقول : إلا ابن الحلي ، والفرائد !..

أمين نخله

في ذلك الوقت موافقة على الفكرة .
ومن الاسباب الرئيسية التي حملت كامو على الانضمام
الى تحرير « الاكسبريس » رغبته في الاشتراك بالحملة
التي تهدف الى اعادة منديس فرانس الى الحكم . ومنديس
فرانس معروف بنزعه التحررية وايمانه بحق الشعوب في
تقرير مصيرها . ويروي جان دانيال (٣) المحرر في هذه
الجريدة انه كان يقدم الى كامو ، اثر كل رحلة صحفية كان
يقوم بها الى الجزائر ، مجموعة من الوثائق عن اساليب
التعذيب التي كان يقوم بها الفرنسيون تجاه الجزائريين
العرب ، فيدفع كامو بعضها الى النشر ..

وحين اعلنت الثورة الجزائرية عام ١٩٥٦ ، أثر كامو
ان ينسحب ويصمت ، كأنما سقط فريسة تمزق دام
بسبب هذه التطورات . ومنذ اعلان تلك الثورة العظيمة ،
لم يمتد اكثر من خمس سنوات ، يلتزم الكاتب الفرنسي
صمتا شبه مطلق في ما يمت اليها بصلة ، ويحاول ان
يخرج من تمزقه بالانصراف الى بعض الاقتباسات المسرحية
التي تحقق له الغيبة والفرار . ولعل اقتباس رواية فولكنر
« انشودة الى قديسة » تشي بحنان خفي لدى كامو الى أن
يقف من القضية الجزائرية موقفا ينحاز فيه كليا ونهائيا
الى جانب الضحايا . ويذكر جان دانيال ان كامو « لم يكن
يتردد قط في تقديم كل معلوماته وارائه الى لجنة الوقاية »
حول شجب التعذيب والاعتقالات القسرية ، ولكنه كان
يؤثر الا يعلن ذلك على الملأ . ويضيف الكاتب بان مؤلف
« الطاعون » صارحه قبل فترة وجيزة من موته بقوله :
« يكفيني ، وأنا اقرأ ما تكتب ، ان أدرك انك ممزق مثلي »
وبعد ، فنحن لا نود ان نبرر موقف كامو او نبرئه .
فان الصمت نفسه هو اتخاذ موقف . وقد كان على كامو ،
وهو الجزائري المولد ، ان يكون اعمق ادراكا لمأساة الجزائر
من اي كاتب فرنسي آخر ، وان يتخذ منها الموقف الذي
ينسجم مع ايمانه بالعدالة والتمرد والثورة . ولكننا في
الوقت نفسه لا نستطيع ، ونحن نقرأ آثاره ونبحث في
حياته عن أضواء تنيرها ، إلا ان نجد شبح هذه المأساة
مخيما فوق السطور .

لقد كان كامو يعتقد بأن عبثية الحياة تفرض عليه ان
ينعزل عن الحياة ، وان يعيش عيشة المتوحد Solitaire
ولكنه كان يدرك كل يوم ، أنه كائنسان وكفنان ، لا يستطيع
إلا ان يعيش عيشة المشارك المتضامن Solidaire وهذا
مغزى قصته الرائعة « جوناس » (٤) . وذلك الصراع بين
التوحد والتضامن هو الذي خلق في ضمير كامو ادمى تمزق
نفسي وخلق عرفه الادب العالمي الحديث .

سهيل ادريس

(٣) راجع مجلة « اكسبريس » العدد ٤٤٧

(٤) ترجمتها الى العربية عائدة مطرجي ادريس ونشرت في « الاداب »

كانون الثاني ١٩٥٨

السمر الأنثويّ وديوان «العودة من البعير الحالم» بقلم مطاع صفدي

فيها من تهافت اللفظ والمعنى ونشاز الموسيقى ، وعامية الاحساس الشعري ، عندما تتضح خيانات اصحابها للامة التي يتبجحون بحبها والفخر بها ، وذلك في اول امتحان لها امام بدء النصر في نضال الامة . كالبستاني والبغدادي واضرابهم .

ولا تصبح نزعة التجديد ذات مضمون حقيقي الا عندما يرتبط اصحابها بالثورية العامة في تجربة امهم . فلا تجديد في اللفظ او المعنى ، بدون تجديد في المضمون الحي للشاعر ، بدون ثورية معاشة ، تربطه بوجودان الواقع الثوري للامة . فاذا بالمحاولة تنمو وتزدهر في كلاسيكية ثانية عند عمر ابوريشة ، والجيل الثاني من خطه العام ، كسليمان العيسى ويوسف الخطيب ، وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور ، واحمد حجازي .

مثل هذا الخط يؤلف للشعر العربي الحديث تراثه الجديد ، انه يبني قيمه بصلة روحية عميقة مع روح الشعر العربي القديم ، اكثر مما هي صلة مع اشكاله الفنية . ولقد صنفوا تحت اسم الكلاسيكية ، ليس لانهم يتبعون التقنية القديمة للشعر الكلاسيكي ، ولكن لانهم يبعثون استمرارا حيا جديدا في قيمة الروحية القومية الخالدة . ولهذا يحق لهذا الشعر ان يكون تراثا مجددا ، وان يضع اسس الاصالة لشعرنا منذ الحاضر حتى مستقبل لا نهائي .

واما شعر فتياننا ونسائنا ا يكون له تصنيف خاص ، ام انه يلحق بهذه النزعات ؟ . والحق انني اميل الى فصله في فئة لوحده ، دون ان الجأ مباشرة الى تبرير هذا الفصل وان كان سيبدو لنا ذلك ، قريبا من خلال الدراسة . ولكن اكتفى الان بان اقول ان هذا الفصل تمليه ضرورة واقعية وجودية ، واخرى علمية لتسهيل الدراسة .

★

لقد برزت في ساح الشعر النسائي حتى اليوم شخصيات اساسية كفسدوى طوقان ونازك الملائكة ، وفي صف زمني اول ثم عزيزة هارون وسلمى الخضراء في صف زمني تال . وكان لكل واحدة منهن نصيب وافر في تجربة الشعر النسائي ، فساهمت كل بطريقتها الخاصة في جانب منه دون اخر . وبقي شعر فسدوى طوقان

يعاني ادبنا العربي المعاصر بجميع فنونه ، من قصة وشعر ودراسة وبعد ، مرحلة تكاد تكون بدءا خالصا . انها ليست مرحلة ولادة ، ولا مرحلة تكون او هرم . هي انطلاقة مبهمه ، غير واضحة الجوانب ، بالنسبة لخالقها او لمتدوفا . كل ذلك لان ادبنا اليوم بدء من ذاته . وليس له من الوعي بنفسه ، اشد من هذا الوعي الجذري ، وهو انه بدء ، مجرد بدء ، لا يقال عنه بعد اي شيء . ووعيت هذا ، هو النقطة الوحيدة الثابتة التي لا نرتج تحتها ، بينما يكاد يختنق في غاب من اداب اخرى ، ذات شخصيات متبسة الملاح ، حادة الهيئة ، كل منها مداهم مهاجم ، ذو نوب فضفاض ينزع الى استغراف اية هيولى لم تتكون بعد ، لكي يصبها في القالب الذاتي له . غاب من الاداب المغتصبة الشرسة تلقاء فريسة لينة قلقلة من خوف في ذاتها ، اكثر من خوف في محاولات الاغتصاب المحيطة بها . ادبنا بفصول عن تراث بعيد ، وليس له تراث قريب . وادبنا غريب بين مؤثرات شتى من الاداب العالمية الغازية التي تحدت شخصياتها ، واتضحت قيمها ومفاهيمها . وما هي بعد الا طافحة بفعاليتها ، تؤثر ولا تتأثر ، تغزو ولا تعنو .

واذا كان هذا الحديث ينطبق على القصة من ادبنا ، وهي فن جديد كله تقريبا ، فانه ينطبق ، بافجع وافدح ، على الشعر . ومنذ المدرسة الكلاسيكية المجددة ، من حافظ وشوقي ، الى يومنا هذا ، تتصاعد نزعات وسرعان ما تتلاشى كموجات صاخبة ولكنها زائلة . كلها مفتونة بالتجديد . ولكنها لا تعدو كونها مظاهر تقليد . تتخيل تجربة الاخرين ، ولا تمتح من اصل شخصي تر خصب . تظن تارة ان المشكلة في اللفظة المجنحة ، في الانصياع التام الى الموسيقى ، فاذا بها تقع فريسة لتداعي الكلمات الغبي السادر . فتخرج عندنا هكذا مدرسة تدعى الرومانسية من محمود طه الى رمزية سعيد عقل الى صورية نزار قباني .

ونزعة اخرى تبدأ خارج الشعر ، من مبادئ نظرية تدعى حب الحقيقة ونفسية الثورة الشعبية . فتسقط في الخطوة الاولى من دربها ، اذ تتضح خيانتها للفن ، بما



سلمى الخضراء الجيوسي

ترنيمة انثوية طويلة يتصاعد منها خدر الاحساس الخبيء، ولطف الروح السجين في تمرد من الحلم والعاطفة الخجول. ومع ذلك لها عنفها غير المباشر، ولها سجيته الثورية ضمن معاني الانوثة التي تكاد تعاني من نتائج الثورة السلبية اكثر مما عرف الرجل وعهد. واما عزيزة هارون فلا تكاد تحس بموقف الثورة الانثوية، وانما تتابع عالم العواطف الصغيرة، التي كان يجرفها شعرنا الكلاسي بالفاظه الضخمة وتعابير المصطنعة واساليبه التي ابتليت بمادة اللغة اكثر مما الفت الغوص على المشاعر الدقيقة الخاصة بروح انسان ما في هذا الوجود. ومن هنا كان شعر عزيزة سلسلة من الكشوف المهمة لمكامن الانفعال الذاتي، وهو يتوتر ضمن حالات هاربة منسابة، لا يكاد الانسان العادي يحفل بها او ينتبه اليها. وتلك هي خاصة الشعر الاصيل، وهي اعطاء روح الانسان، لا في خطوطها ووجوهها العامة المشتركة، بالعادة والتكرار، مع الاف من الارواح الاخرى، وانما ابراز اللونيات العفوية التي تلوح من خلال اضوائها الخافتة البسيطة قرارة النفس الانسانية.

شعر فدوى وشعر عزيزة يسيران في اتجاه واحد فهو شعر الانثى اولا. ولكنهما من هنا يفترقان مع ذلك. فينحو شعر فدوى نحوى الثورة الانثوية التي تتجلى

في تبني تجربة حب ليست لها وقائع حية بقدر ما لها من اجنحة خيالية مناسبة. وينحو شعر عزيزة جهة اخرى. فتفترض ان الثورة الانثوية قد تحققت نتائجها فعلا. وهي ما عليها الا ان تعرض على ذاتها زخما عاطفي الخاص، وقد تابعته في شتى توتراته، شتى انعطافاته وازماته، قماته وهوائه. حتى شارفت، من خلال جزئيات الاحاسيس المحفوفة بقيم انسانية اطلاقية، شارفت حدود الاستغراق التصوفي الخصب.

ومن شعر نازك تظهر خاصة اخرى، هيأتها لها ظروفها الثقافية التي ربما لم تتوفر لزميلات السابقات. وهي خاصة لم تتضح للقاريء الا بعد ان تجاوزت تجربة (عاشقة الليل) وودعت فيه غنائيتها الاولى، التي ما اختلفت عن الطابع العام للشعر الانثوي بما فيه من رومانسية ورهافة وصور موسيقية موهومة وحنين للحب وتوابعه، بمعانيه المألوفة.

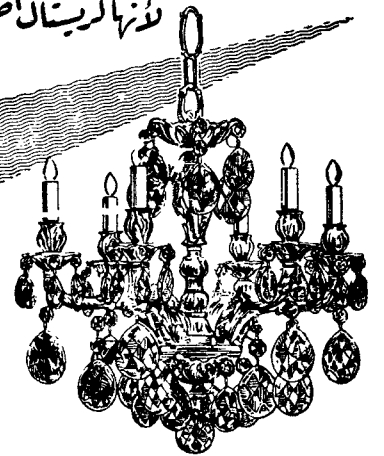
واعني بهذه الخاصة الارتفاع الى مستوى الموقف الشامل الانساني، حيث تمتزج عناصر الثقافة بشروية العاطفة بدقة الفكرة بعمق الاستجابة الكاملة للشروط العصرية والميتافيزيقية للانسان. وهنا بدانا نلمح الفنان وقد اخذ، ضمن حدود اولية بسيطة، يستبدل الصورة التي تجرها اللفظة بشحنتها الانفعالية العابرة، يستبدلها بالصورة المركزة على اساس كونها جزءا من البناء الفني الاصيل. كما يستبدل تلقائية الاستطراد والانسياب المادي مع مادية الوزن، بالسيطرة على الانفعالات والعناصر الفنية، وظهور القدرة على الانتقاء والانتخاب. وكل ذلك يهييء وجدان الفنان لنوع اخر من التقييم يؤهله الى ابداع الانار الاصيل.

وفي ديوان سلمى (العودة من النبع الحالم) نجد ذات المنحى الانقلابي في الشعر الانثوي، وقد اكتسى بلحمة خاصة بالتجربة التي تمتح منها فنيته. واذا اردنا ان نتبع حركة النمو الشعرية في هذا الديوان، وجدنا ان القصائد الاولى التي تكاد تستغرق نصف الديوان تتعثر بين اطراف النزعات الانثوية المعروفة في الشعر. وقليل ما انبأت عن طريق الشخصية الخاصة التي عملت على انماها وابرزها الشاعرة فيما بعد، الا من بعض جفاف وعسر في الكلمة المنتقاة، والصورة الفنية المؤثرة. وهذا الجفاف نفسه هو الذي استطاعت الشاعرة ان تبرز خصبه الخاص في القصائد الاخرى التالية. انه برودة التفكير، او بالاحرى انه هذه الصفة التي تلزم عن طابع تفكيري تدخله سلمى، عن قصد او عفوا، في خطوط شخصيتها الفنية الاساسية. ففي قصيدة كهذه عنوانها (جامع قرطبة) تظهر خاصة الجفاف في بعض الابيات من خلال نثرية يميلها العقل المقارن اكثر من ان يتحسسها الوجدان المتكامل انسانيًا وفكريًا. هكذا مثلا:

هو قطعة (اي الجامع) عربية في ارض اندلس اراه. ستطل عمر الدهر آثار الجدود على ثراه.

براق كالاماس

لنهارك ريتا أصلي



اجعل التشكيلات الرائعة من

زجاج الكريستال والبرونز

تحف فضية وبرونزية
تزييك فخراً بمنزلك

نباع في:

محلات ملا



بناية الانزيسين - تلفون: ٢٦٦٥٢

١ - الموقف الفاجعي

تصدر سلمى عن أسى لا نهائي ازاء المعاني التي تمليها احداث خارجية ، وتضطرب بها نفس ذات رؤية فاجمية لمعطيات العالم ، المحاصر للانسان الاشكالي . فهي لا تملك تمردا ماديا ، كما عند ابطال الاساطير . ولا تحوز على استسلام انثوي ، كما عند الشاعرات الفنائيات . فلا تجعل من تمردا غباء مصطنعا ازاء سطوة المصير . ولا تؤلف من استسلام الانثى احاييل العواطف السادية . ولهذا كان لها الموقف الفاجعي في ايقاع الرعب . ولقد تحول ايقاع الرعب الى نبرة شاقة ذات مدى طويل ، تتماوج بين ذروة اليأس الصاخب وهوة الصمت الابدي الكالغ . هذه النبرة هي صرخة الندب . الندب الدائم الذي يستثمر كل مأساة جزئية ، كل كارثة عابرة ، كل لون من الحياة يملك القدرة على الاثارة ، في سبيل بعث الندب القديم . وهو يكاد يكون ندبا يفقد نسبته ، يضع مبرره المباشر . ويصل هكذا الى عمق الموقف الميتافيزيقي من الوجود .

ان ايقاع الرعب يصبح ، لدى سلمى ، ايقاع الندب . وتكاد تعبر قصيدة صغيرة عن روح هذا الديوان بتمامه

دار الثقافة - بيروت

تقدم بالاشتراك مع

مؤسسة فنككين للطباعة والنشر

بسان في التاريخ

تأليف الدكتور فيليب عتي

ترجمة الدكتور أنيس فرجيه مراجعة الدكتور نقولا زارة

يحتوي هذا الكتاب على تاريخ لبنان المطول منذ العصور القديمة حتى عصرنا هذا

٧٥٠ صفحة من القطع الكبير مزينة بأجمل الرسوم والصور والخرائط . ورقه أبيض ممتاز طباعة أنيقة . يمتد ١٠ ليرات لبنانية أو ما يعادلها

يطلب من الناشر دار الثقافة ص.ب ٥٤٣ - بيروت ومن المكتبات الكبرى في عموم البلاد العربية

ولولا استجابة قومية عفوية مخلصه في نفس الشاعر بقاء هذا الجامع الذي يذكرنا بآول فاجعة لنا امام اوربا لضاعت القصيدة ثائر فني ، ولبقيت كنزوة ثرية شاحبة .. لولا هذا مثلا :

فلتصدح الاجراس ولتقرع نواقيس المدينة .

فنداؤهن لها .. واجراس الخلود حولنا

ومن هذا القسم الاول المتعثر من الديوان تقف قصيدة

اخرى (انا والراهب) لتكرر معاني لا جدة فيها ولا تأثير خاص لصورها . ورغم ان الموضوع يعد بكثير من امكانيات المعالجة الشعرية ، الا ان الشاعر رددت فيه مشكلة عمومية الایحاء والتصوير . فهي كانشي لن تغريه ، ولن ترى فيه ادم الخائن من الغوايه ، بيد انها تطمح الى سكينه نفسه وتبتله وفهره لذنياء في سبيل اوهام الهية قد تشبه اوهامها الانسانية هي . ولو ان هذه القصيدة قد تأخر سبكها الى المرحلة الثانية من نمو التجربة الاستقصائية الشاملة عند الشاعرة ، لبرزت قيم جسد مبدعة من بين يديها تلقاءه .

ومع ذلك فان اكثر القصائد الباقية تؤلف في مجموعها اللوحة المتكاملة عن التجربة الشعرية الخاصة التي انضجت اسلوبها الفني الذاتي .

ولنصل الان الى الحديث عن هذه القصائد ، لنلقى سلمى في عالمها المفقود وقد أخذت تتلمس ملامحه وتدرجها تدريجيا غياهبه .

أقول ان شعرنا العربي المعاصر يلتحم مع واقعية التجربة الوجودية لانسانيتنا كلما أحس بخاصة اساسية واستطاع ان يضيف اليها اثارة جديدة ونغما خاصا ، وهذه الخاصة هي (ايقاع الرعب) . وايقاع الرعب هذا ليس وصفا رومانسيا ، انه تعبير عن وجه ادبنا الاصيل الذي سيكتب له التأثير حقا في مشكلة تكويننا كلها ، وليس تعبيراً عن الشعر وحده ، وهو يلتحم مع هذه المشكلة الاولية بالنسبة لنا كبشر اولاً وكفائين ثانياً . ولقد ابتدأ (ايقاع الرعب) (١) هذا في وحشيته الاولى لدى كبير شعرائنا (بدر شاكر السياب) واخذ تأليفه المرناني في موجات تطويرية نامية لدى عبد الصبور واحمد حجازي ويوسف الخطيب . وها هوذا يبرز في هوجة اصداء . مؤسسة للايقاع ذاته ، عند سلمى .

واذا حاولت ان اوضح ماذا اعني بايقاع الرعب ، تركت ذلك لاثار هذه الطائفة من ادباء الجيل الاشكالي ، ومنهم القصاصون والشعراء والنقادون والدارسون (٢) . ولنسع الان الى ابراز بعض خصائص هذا الادب من خلال اثار سلمى في ديوانها .

(١) لقد اوضحت بعض الخطوط الاولية لايقاع الرعب في نقد كنت

كتبته عن ديوان عبد الصبور حين صدوره منذ اربع سنوات .

(٢) بودي ان اشير الى انني قد افردت فصلا كاملا عن هؤلاء الادباء

الاشكاليين في كتابي (الثوي والعربي النوري) وهو تحت الطبع .

وهي (نعاس) . انها تلقي في قلوبنا نعيًا جنازياً لكارثة غير محدودة ، لنعش كبير يكاد يبتلع الوجود . ومع هذا فانه نعي من صميم الحياة . أنه :

نعاس تحت ضوء الشمس مسكوب على الاجفان يروها

وهو بيت طويل ، كما نرى ، وما اكثر ما تلجأ الشاعرة الى مد الابيات . كانها تتابع صدى الصرخة المعولة بين اطلال لا تنهاى اشباحها السوداء على الارض الياسة .

ويشيع الندب الدائم في عدد من القصائد الرائعة ، في (الورد والقين) و (مراثية الشهداء) و (بعد الجزر) (الشهيد المهجور) ، (الفداء) ، (اذرع الكتان) . وفي هذه القصائد تحفل الروح العربية الاسيانية بفيض من الصور القوية ، والمعاني البطولية . وتستفيد الشاعرة من كثير من خصائص شعرنا القومي المعاصر . ولكنها تفجر فيها طاقة من التحريض جديدة ، ترفض التهويل ، ولا تعتمد على المبالغة والتفخيم وتداعي الالفاظ ، ولا تترك لعواطفها المخلصة ان تتابع توترا أجوف خطايا . ولكنها تقدم زوايا من عالم الكارثة لم تألفها صيغ الشعر القومي من قبل

ويتصاعد ايقاع الرعب ، عند سلمى ، بنبرته النادرة ، حتى يصل بين آلام العربي اللاجئ المفجوع الى ذرواتها الانسانية المطلقة . وهكذا يتحرر شعر الكارثة ، لأول مرة من الاجترار والضيق التأثري الانفعالي ، ويتحول الى موقف فاجعي شامل له قيمة الميتافيزيقية الخاصة .

وقصيدة (الشهيد المهجور) تعطي اوضح دلالة على ذلك . فلقد فقد هذا الشهيد هويته من ملامح معينة وزمان ومكان واسباب للقتل خاصة ، ودواع للتأثر محدودة . وأصبح الشهيد المطلق ، ليس الرمز ، ولكنه الانسان المقتول دائماً ، المضطهد ، المنسي اضطهاد ، والمهجورة عظامه ، والضائع قبره . ويكاد بالمقابل ، يرفض كل انسان آخر ان يحمل مسؤوليته . وهذا ما يؤكد الموقف الفاجعي الشامل لدى الشاعرة . انه يتجاوز معاناة المأساة من خارج . يتعدى الانغلاق في سادية الحزن . بل يفتح افاقه لكشف الوجودي عن عتمة انسانية خالصة ، هي من جوهر كينونتنا المتمزقة .

ومن مراثيات الديوان الكثيرة قصيدة (اذرع الكتان) . وهي رغم انها تتوجه في الاساس الى رثاء شاب قد غرق في دجلة ، الا انها ترتفع الى مستوى الموقف الفاجعي الشامل من الوجود . وتتجلى نبرة الندب هنا في نغمات مادية مباشرة . حتى انها تستعين بتقاليد الشعب الفولكلورية في هذه المناسبة الماثمة من نفسية وغنائية تردادية ووصفية مباشرة . كل ذلك لتستكمل شروط أفجع قصيدة نديبة في شعرنا المعاصر ، قد تذكرنا احيانا بمريثة جيكور لشاكر السياب . الا ان الاولى اكثر الحاحاً ماثمياً ، واشد تأثراً واقعياً لاستفادتها من عناصر الفولكلور الشعبي في هذا المجال . ان الترداد الجماعي ، وتكرار النداء ، وتعداد الصفات ، واثارة المدائح في ثوب من استدرار العطف ، كل ذلك قد هيا للشاعرة قوالب مباشرة تستطيع ان تملأها بمضامين شعرية فاجعية جديدة . ولم تنس سلمى ان تورد صوراً واقعية لمستعمرات المآثم كالمقرىء العتيق والمفسل والالواح . وكل رموز الموت الاجتماعية في بلادنا :

فنباش الحفر

وقاطف الزهر

وبائع الحنوط والكفن

تفتحت ارزاقهم هذا الصباح

كل له ثمن

والدمع غمر والمعزون سيول

والنعش عند الباب كي يعلم من عبر

بان موتا قاسيا في بيتهم يصول

وأخيراً نستطيع ان نتبين ان الموقف الفاجعي عند سلمى هو غاية في ذاته . ولهذا فرض عليها اسلوب الوصف دون التحليل السبري . فاضاع عليها ذلك كثيرا من الانارات العميقة . وقد بقيت اسيرة المعاناة دون ان تستطيع الشعور بضرورة البحث عن التقييم التقصي لمكتسبات هذه المعاناة الوجودية . انها تتشبث بالالم ويخشى ان تضع نكهته الوجدانية . وقد تستيقظ احيانا من سلطة الالم الجميل لتنتبه الى رديف له اخطر واقسى وهو الالم الوجودي ، أي هذا الالم الذي يتطلبه الموقف الفاجعي

- التتمة على الصفحة ٧٦ -

صدر حديثاً

الصيف الأخير



قصة جديدة لرابح جائزة نوبل للاداب

بوريس باسترناك

دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة

ص.ب ٢٥١١ بيروت

مع الباعة وفي المكتبات ٢٠٠ ق.ل.

القصائد تفترض نوعا من الاطلاقية . ولا يمكن تفسير هذه الصلة الدائمة بين الذات الشاعرة والمجموعة الانسانية التي تحاول ان تعبر عنها ، الا بالعودة الى طبيعة هذا الشعر الذي تطلقه سلمى . فان صلة صادقة تربط بين وجدان الشاعرة ووجدان امتها . وهي قد صاحبته منذ نعومة اظفارها ، عندما كانت طفلة في بلدة عربية اصيلة ، هي (صفد) من فلسطين الضائعة . وهناك اكتسبت تربية قومية اقرب الى تربية الصحراء بما فيها من اصاله في الحس والتفكير والسلوك . والى ذلك فانها مدينة في كثير من مقوماتها الانسانية والعربية الى بيتها المناضل ، وعلى راسه والدها ، الذي كان واحدا من رجالات الكفاح القومي في فلسطين ضد الاستعمار الانكليزي ، وضد مؤامرات الصهاينة على انتزاع الاراضي العربية . وفي الديوان قصيدة في ذكرى وفاة ابيها تتضح منها تعابير الولاء الاشبه لاستاذ لها في الحياة والنضال :

ابي .. ابي يا زارع التفاح
يا ميتا على سرير من كفاح
يا جرح قلبي ، يا ابي .. يا سيد الجراح ! ..
وفي مقطع اخر :
يا نبعا العميق كيف نستقي
منك الوفاء والنضال والتصبر الحمول
ويا نشيدنا السخي يا تراثنا النقي

وتظل سلمى تتقمص روح قومها وعذاباتها منذ بدء الكارثة . وهي لا تستطيع ان تنسى هذه الانا الكلية التي ترتبط هي بصميمها ، وتمنح منها احياءاتها ومشروعيتها معانيها القومية والفردية . ولكن سلمى بالمقابل كثيرا ما تمردت على هذه الروح الكلية . انها ترى فيها ما يرى كل ثوري عربي من نواقص وعيوب الواقع الفاسد ، ولعل افجع ما تشور عليه هو نفسية النذب الدائم من خلال ندهبها الخاص . فتبرز سلمى عقدة القدريّة التمثلة في هذا الصبر الكسول ، في تأرجحات الذل والاستسلام ، في الاتكالية وضياع مسؤولية الفرد البطل . ولا يمكن لسلمى ان تفصل ذاتيتها القومية عن ذاتيتها الفردية في اية لحظة من لحظات الاحياء الشعري حتى عندما تهدد لاطفالها وتناجي زوجها ، وتنتشي لمرأى شاب شرقي عابر ، وعندما تخاطب اختها . ولكم يفقد القارئ احيانا القدرة على التمييز في شعرها بين شخصا ، وشخص امتها المتلامح دائما من معانيها وصورها .. امتها هذه الانثى الشائرة الباكية ، الحاقدة المتفجعة ، الغاضبة الشامتة بانثائها ، المعولة على ابنائها ، المتوعدة والمنذرة . وفيها ما يذكرنا بشعر الخنساء ، بالنذب الطويل الذي فقد مبرره الجزئي وصار ندبا وجوديا ، كانه الصيغة النهائية لكيونة الانسان ، وفيها ما يذكرنا بالشاعر الجاهلي عامة عندما يعكس في شعره اللوحات الاساسية لحياة النفس العربية كلها ..
ان هذا الاندغام التلقائي بين الانا والنحن في شعر

الشعر الانثوي

- تنمة المنشور على الصفحة ١٦ -

عندما يستنفذ وسائله الفنية الخالصة ويشعر بضرورة الشمول . ورغم ان سلمى توفق الى مثل هذه الرؤيات احيانا ، الا انها قايما تنتبه الى اكثر من القيم الفنية ، بما تعده لها تجربتها في الصياغة الشعرية . وهي ما زالت في ذلك تقع تحت تأثير قراءاتها الانية ، وخاصة من الشعر الانكليزي . وهذا ما يسبب فقدان الوحدة في اسلوب المعالجة ، حتى اننا لنا حظ ان موضوعا واحدا وهو (رثاء الشهيد) قد عالجه باساليب متعددة ، تفترض وراءها احيانا تجارب متضاربة في طريقة التأثير والاعطاء الشعري،

٢ - الذاتية - الجمعية

لقد كانت صيغة الضمير في اكثر قصائد الديوان تستعمل الجمع من (نحن وانتم وهم) . وقلما استعملت الشاعرة صيغة الفرد . ولا اعتقد ان هذه الخاصة قد جاءت عرضا وصدفة ، فان بنية الاحساس الشعري في هذه

صدر عن رارا الطليعة للطباعة والنشر

الحزب الشيوعي الفرنسي وقضية الجزائر

بقلم: الياس مرقص

الحزب الشيوعي الفرنسي ضد استقلال الجزائر

ضد خربة تقرير المصير

ضد عروبة الجزائر

مع ديغول
مع اليمين
مع الاستعمار

فأعدادنا القادمة

ابحاث

- * ميخائيل نعيمة والكون
- * دراستان عن ديوان
- * « اغاني الصبا »
- * الناقد
- * احمد شوقي والشعب
- * الادب بين الواقع والوجدان
- * يوسف ادريس والواقعية الشعبية
- * حصاد العمر
- * نيكراسوف
- * صبيحة مباركة
- * محمد العيد كبير شعراء الجزائر
- * طوية مدخولة
- * المداخون روح الكنانة
- محجوب بن ميلاد
- (بقلم عابدة الشريف)
- (والحساني حسن عبد الله)
- محمد عبد الله الشفقي
- محمد خير الحلواني
- يوسف حوراني
- جورج طرايشي
- فالي شكري
- » » »
- عبد العزيز ع. محمود
- ابو القاسم سعد الله
- الطيب الشريف
- شريف الراس

قصص

- بطلة جديدة
- ارادة « قصة مترجمة »
- اللمس والحارس
- الثلج والشرف ...
- حادثة نشل
- عابدة م. ادريس
- محيي الدين اسماعيل
- سليمان فياض
- عثمان سمدي
- صابر الحضري

قصائد

- غريباء
- اغنية الميناء
- الشمس والنمل
- الافصى الفادرة
- اللقاء الاول
- الكلمة اقوى من الموت
- حسن فتح الباب
- عبد الرشيد الصادق
- خليل الخوري
- نذير الحسامي
- مختار عبد الباقي
- ماجد حكواتي

سلمى ، لا يؤدي ابدا الى ذوبان شخصية الشاعرة ، من حيث هي فرد ، في كلية الجماعة . وعلى العكس فان ذاتية الفنان نوع من التركيز الانساني لعمقية الامة ، لا من حيث هي مجتمع ، ولكن باعتبارها الذات الاخيرة ، التي تستمد ، كل فردية اخرى ، مشروعيته منها . فهي عن طريق تبنيها لالام امتها ، عن طريق تشخيصها لمعاني الكارثة في تلك النماذج الفنية ، انما تحول ما هو موجود فعلا الى بؤرات من القيم ، اي انها تقلب واقع الكارثة الى نماذج فنية خالصة .

٣ - غنائية المعنى

لم تزل النزعة الغالبة على موسيقى شعرنا ، هي نزعة تتبع الجرس اللفظي ، كان اللفظة في حروفها وتشكيلها الصوتي . هي الهدف الاخير للشاعر . وفي هذه الحال تجر الشاعر اوزانه . والاوزان تفرض عليه هيكل كلماته . وتلك هي اسوا عادة عقلت بشعرنا الكلاسي . فعاضت منه التجربة الشعرية الانسانية ، وبقيت التجربة اللغوية ، التي تطورت الى نيشات جامدة ، يتناقلها الشعراء ، ولا هم لهم الا اللعب بأسلوب رصفها وتنزيدها . وبالتالي كانت الصفة المناقضة ، وهي غنائية المعنى ، ابرز ما في الشعر الغربي . ومن الشعراء العرب الحديثين القلائل الذين انتبهوا الى هذه الخاصة سلمى الخضراء . وهذا ما جعل شعر سلمى ضعيف التأثير المباشر . ولكنه عميق فسي استحوذته على النفس من الداخل . انه لا يطرب الحس السطحي . . ولكنه يفرق قارئه تدريجيا في اجواء من المعاني ، تصل احيانا حدود الرمز المكثف كما في قصائد (الرحيل) و (منذورون) و (العودة من النبع الحالم) . لقد اصبحت العواطف في تجربة سلمى بمثابة نقاط تفجيرية من الايحاء ، تحطم الاطارات النسبية حولها . ولكن سلمى قد تعجز احيانا عن متابعة هذه الطريقة الشاقة فتركن الى ابيات تسير مع العرض المباشر والاعطاء السهل . وفي هذا المجال لا بد ان اسجل ملاحظة غابرة ، وهي ان القصيدة الواحدة قد تحمل من التماوج في التأثير المباشر وغير المباشر ، مما يدفع الى التساؤل حول مصدر هذا التماوج ، كان ايحاءات ، من مصادر نفسية مختلفة ، قد عملت على سكب القصيدة الواحدة . فاذا كانت هذه الملاحظة تصلح بالنسبة للقصيدة الواحدة ، فانها تصلح بالنسبة لتفاوت القصائد جملة . وربما كان مرجع ذلك هو ان سلمى ابتغت ان تقدم للقارئ نماذج من شعرها القديم وشعرها الحديث الذي يتجاوب مع تجربتها الشعرية والثقافية اكثر وعمق .

ان غنائية المعنى تفترض دائما عمقية ذات توفّر متجانس ، هو دائما في مستوى ابداعي عال . ولعل تأثير القراءات المختلفة هو الذي يفقد المبدع احيانا سجيته الاصلية ، رغم ان هذه القراءات هي التي تمدّه بوسائل تعبيرية ، وزوايا الرؤية متجددة . الا ان اصالة الشاعر

هي التي تتحكم في كل المكتسبات الثقافية ، تفتتها وتردها الى عجينها الخاصة ، حتى تفقدتها صورة تكونها الاول . والناقد لا يملك اخيرا ازاء هذا الديوان من الشعر الانثوي الا ان يتطلع الى نتائج من التطور الابداعي ، تبلغ حدا من الحقيقة يمكن فيه ان يتفاعل بمستقبل الانثى الخالقة . انها لن تظل طويلا تمنح قيمتها من كونها انثى ذات عالم هو موضوع صباغة وتشوق وشبق من قبل الرجل . وهكذا فان على المرأة المبدعة ان تنتقل فعلا من دور القيمة للانثى الى دور القيمة للانسان الفنان الذي يصدر عنها . . وهذا هو شعر سلمى على انطلاقه مجنحة فسي هذا المضمار الشيق القوي .

مطاع صفدي

دمشق

تموز جديد !

بقلم محمد الدين السماعيل

« الى ي. م. التي تركتها في بغداد .. تنتظر ميلاد تموز جديد »

وهي غافية ، جانعة تتلوى .
كنا نسير مع موكب الموت بلا ظلال ،
لان النور هو مبدع الظلال .
فقدنا كل شيء ، حتى ظلالنا ،
بعد ان تقيحت عين الشمس وانطفأت .
اناس بلا ظلال !
وعلى الشاطيء الجهني كنا نجتمع صامتين ..
وكانت تتردد علينا هناك اشباح مجهولة ،
تبدو شاحبة صفراء ،
كانها اشباح اولئك الشهداء ،
تتدلى من صلبانها كعناقيد الرعب ،
بوجه الظلام .
كنا نسمع اصواتنا تقول :
« اغرقوا في النوم على الشاطيء ، حتى تحترقوا
بتيابه اللاهب ..
الويل والدمار لك ايها المدينة الملعونة ،
التي لا تظللها الشمس ..
الكراهية تنتصر ! ..
مأساة مدينتكم الملعونة ! »
انت تذكرين ذلك ، ولا شك .
كنت احتضنك بين يدي واقول :
« الكراهية لن تنتصر »
وتقولين : « وهل ينتصر الحب في قفص من حديد ؟ »
ثم يغمرنا الصمت والانتظار !
ولم يعد يهزنا شيء سوى الصمت والانتظار : .
الظلام ينمو في مدينتنا ،
وكنت ارى من وراء سجن الظلام ،
دموع عينيك كالآلء البحار المهجورة مع الاسفنج ..
كل شيء فقد شكله واستحال الى عماء ،
الا دموع عينيك كالآلء البحار المهجورة ،
وسط ظلمة العماء .
ومن اعماق قبورنا القلقة الموحشة ،
كنا نتحدث عن فجر وردى ،
وعن ظلام النور ،
بعد ان نمنا مع الغربان ،
وغفونا تحت مقصلة العبيد ،
وبعد ان قضمت الجردان اشجارنا ،
وطاردنا الاثم ،
وطرق الموت بابنا ثم اقعى امامه ،
مع العقارب والافاعي والذئاب .

.. انت تذكرين ولا شك !
كانت مدينتنا تستجدي الخبز من بيت لبيت ،
وعجلات الزمن تهشم بجنون ابدى .
على شوارع مدينتنا .
وكنا نريد ان نسرف في الكراهية ،
ونسرف في احتقار الذات .
كنا نرفض التبتل من اجل مدينتنا الجائعة ،
وهي تستجدي الحياة في ظل الموت .
كانت مدينتنا الغافية الفارغة ،
تستلقي على شاطيء القرن الجهني ..
وكانت على الشاطيء رمال تحترق .
اما نحن فكنا نحرت الرمال الجهنية من اجل حياة ،
حياة نستجديها وليست لنا .
ولكن انفاسنا كان يرتعد منها القرن الجهني ...
كان القرن الجهني يلهث .
وكنا نواجه يومذاك صخوراً من اللهب ،
وحفرا من الزفت والقطران ،
وقلاعا من جليد .
كان القرن الجهني يلهث بوجوهنا ،
وتزحف علينا من جوفه سراطين شنيعة ،
تمد بخراطيمها الحمراء ،
وتزحم مدينتنا الجائعة ،
فيشيع بيننا فزع غريب ،
وتفعم البيوت بالروائح الكريهة .
وتتوالى علينا الزلازل ،
فتتدفق بحيرات من نار في كل مكان ،
ويسود الطوفان شوارع مدينتنا ،
فتستحيل الى متهاة متشابكة ، كمتاهات الجحيم .
طواحين .. عجلات وصنارات مسمومة ،
تصطاد الجميع ليلتهمها القرن الجهني الجائع .
كنا نريد الخلاص من انفسنا ،
وقد عادت جزءا من آهة ممتدة طويلة .
ونمد بأبصارنا فلا نرى غير عقبان وغربان ، ترتعد في
السماء لتقيم على جثثنا حفلة من حفلات الليل .
كنا نرقب مواكب الموت ،
تسير بعجلات تتخبط بالدم ،
وكانت هناك اصوات تنبعث ،
من افواه كانها فتحات الجحيم .
والشمس قد انطفأت عينها ،
وسال منها قيح دام يتساقط قطرات على الارض .
ويختلط القيح الشنيع مع مياه مدينتنا ،

زهرة .. الى فيروز

أحس يا صديقتي البعيدة
بصوتك الملون ،
يحملني
على جناح القمر المورد
للابعد ...
لفيعة زرقاء
في ظلها يبتعد المساء
مسنلقيا نخيصة انشاء
آفاقها الصحو الذي يهيم
مع العاصف الى كروم
ثمارها النجوم
اشواقها نافورة الخمر والعطاء ..
★
سفيرة الانسان للانسان
أحس في نبراتك الامان
اشعر بالكادح ... بالانسان
يشدني اليه في ايمان
في الليل .. واللهيب .. والاحزان
في موسم الفرحة والحنان
وينزع الاشواق والصلبان
من دربنا الطويل
فالقيد والاهوال والاحقاد
لمعورة .. حقيرة
تصفعها امواج اغنياتك الصغيرة

يطوف بي صوتك في الكروم
على حدود القمر
في الانهر
يتركني هناك في انحباب ... في الجبال
على رؤى خيال
راعية .. حاملة .. جميله
تعشقها المروج ..
تسكن من خطواتها الدروب
تأتي مع الغروب
بالحب والغناء والطيوب ..
صديقتي القريبة البعيدة
المح في صرخاتك الجزار
بالعين الحمر وبالسكين والاذفار
يمزق الاطفال والازهار
ويصبغ النهار
بالدم والاحقاد والالام
والمح الشعوب
في حبها الغضوب
قبضاتها تدحرج الحروب
وتطأ الاذفار والانياب
وتفتح الابواب
للحب .. للصباح .. للسلام

رفيق الخوري

بيروت

ونتساءل صامتين :
« متى تتداعى مملكة اللهيب ؟ »
ثم نقول : تموز الى الخصب من جديد ،
سينبعث من رماد مدينتنا النائمة .
من اعماق تموز الخالد
الذي لن تميته الجراح ،
سنخرج مدينتنا ،
ونخرج معها ،
وعلى شفتيك ظلال من ارجوان ..
الكل يبكي في صمت من اجل شيء لا يعرفونه ،
ومن اجل كل شيء ..
ولكنهم سيعرفون ،
وستندمل جراح تموز التي تنز دما ،
في ظلام الليل .

ستعود مدينتنا حقلا من حقول تموز ...
تموز الى الخصب والسخاء ،
رفيق عشتار
سنابله حبة
وهيكله فسيخ
والقمر يمسح عن امه الشمس
دموع الحزاني .
ويومئذ لن تعود مدينتنا ،
قطرانا يتقد ،
بل ينابيع كمين الطاووس
ومن اعماق تموز
سنخرج من جديد ،
يدا بيد ! »

محي الدين اسماعيل

القاهرة

زهرة .. الى فيروز

أحس يا صديقتي البعيدة
بصوتك الملون ،
يحملني
على جناح القمر المورد
للابعد ...
لفيمة زرقاء
في ظلها يتردد المساء
مسنلقيا نخيمة انتشاء
آفاتها الصحو الذي يهيم
مع العصافير الى كروم
ثمارها النجوم
أشواقها نافورة الخمر والعطاء ..
★
سفيرة الانسان للانسان
أحس في نبراتك لآمان
أشعر بالكادح ... بالانسان
يشدني اليه في ايمان
في الليل .. واللهيب .. والاحزان
في موسم الفرحه والحنان
وينزع الاشواق والصلبان
من دربنا الطويل
فالقيد والاهوال والاحقاد
لمعورة .. حقيره
تصفعها امواج اغنياتك الصغيره

يطوف بي صوتك في الكروم
على حدود القمر
في الانهر
يتركني هناك في انحباب ... في الجبال
على رؤى خيال
راعية .. حاملة .. جميله
تعشقها المروج ..
تسكر من خطواتها الدروب
تأتي مع الغروب
بالحب والغناء والطيوب ..
صديقتي القريه البعيده
المح في صرخاتك الجزار
بالعين الحمر وبالسكين والاذفار
يمزق الاطفال والازهار
ويصبغ النهار
بالدم والاحقاد والالام
والمح الشعوب
في حبها الغضوب
قبضاتها تدحرج الحروب
وتطأ الاذفار والانياب
وتفتح الابواب
للحب .. للصباح .. للسلام

رفيق الخوري

بيروت

ونتساءل صامتين :
« متى تتداعى مملكة اللهيب ؟ »
ثم نقول : تموز الى الخصب من جديد ،
سينبعث من رماد مدينتنا النائمة .
من اعماق تموز الخالد
الذي لن تميته الجراح ،
سنخرج مدينتنا ،
ونخرج معها ،
وعلى شفتيك ظلال من ارجوان ..
الكل يبكي في صمت من أجل شيء لا يعرفونه ،
ومن أجل كل شيء ..
ولكنهم سيعرفون ،
وستندمل جراح تموز التي تنز دما ،
في ظلام الليل .

ستعود مدينتنا حقلا من حقول تموز ...
تموز الى الخصب والسخاء ،
رفيق عشتار
سنابله حية
وهيكله فسيخ
والقمر يمسح عن امه الشمس
دموع الحزاني .
ويومئذ لن تعود مدينتنا ،
قطرانا يتقد ،
بل ينابيع كمين الطاووس
ومن اعماق تموز
سنخرج من جديد ،
يدا بيد ! »

محي الدين اسماعيل

القاهرة

الحياة

في مقصورة ابن دريد

بقلم
صديقه
اسماعيل

وكل شيء بلغ الحد انتهى

((ابن دريد))

فان امت فقد تناهت لذني

- ١ -

ولد ابن دريد في البصرة سنة (٢٢٢) هجرية وناهز المائة عام . وكان ينتمي الى اسرة عربية عريقة تنحدر من الازد ويمتد نسبها الى يعرب ابن قحطان . ولعل امتياز النسب قد اتاح لها يسرا في الحياة توارثته من عهود بعيدة ، فلم يعرف ابن دريد ذل الفاقة ، وكان على جانب من النعمة ، ولا يعرف عنه خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن الا انه نزح عن بلده في وقت مبكر ونشأ في عمان وكان يحب الموسيقى والازهار ويدمن شرب الخمر . وانه عرف بين الناس لغويا مبدعا وشاعرا بارعا الصنعة وعالما في الادب جمع في صدره دواوين العرب جميعا ، وكان من ائمة النحو في عصره ياتيه المثقفون من كل بلد ويقصد اليه المريدون ، وفضى اعوامه الاخيرة مفلوجا يعاني الام المرض واحزان العزلة ومات بفسداد .

واشتهر ابن دريد في تاريخ الادب العربي بقصيدة طويلة وضع فيها خلاصة تجربته في الحياة وجماع ثقافته اللغوية ، هي المقصورة المعروفة باسمه ، والف عشرين كتابا اخر في اغراض النحو والشعر وعلوم اللغة . ومقصورة ابن دريد هي عمل فني كامل . وعلى الرغم من ان الصنعة فيها تبدو صارمة متكلفة احيانا ، وكان الصيغة فيها استغرقت كل جهد الشاعر ، فان وراء الكلمات المصنوعة في براعة واصطفاء ، شخصية انسانية واضحة تحمل تجربة غنية متعددة الاغراض متماسكة الجوانب حتى تبدو جوابا بليغا على الكثير من قضايا الانسان .

وليس في القصيدة ما ينم عن عبقرية في ابتكار المعاني وابداع الصور ، فهي مجموعة من الخواطر المألوفة والصور التقليدية والتشبيه الدارجة في الشعر العربي . ولكنها على الرغم من ذلك تعتبر اثرا فنيا مبدعا بما تنطوي عليه من منانة السبك وجمال العبارة . . ولعل ما يميزها بوجه خاص هو حرصها على التقاليد من حيث المعاني والصور، والتماسها لابداع الفني في صنع الصيغة الجديدة . وتلك ظاهرة ، تلفت النظر ، في طبيعة الشعر العربي القديم . فقد كان الشعراء يتوجهون الى الابتكار في العبارة اكثر مما يلتزمون في المضمون . ولم يجدوا غضاضة في التقليد من هذه الناحية . فالكلمة في تجربتهم الشعرية هي صنعة الشاعر ورسالته الحققة ، اما المضمون فانه ثمرة لتجربة الجميع . . ولا يضير الشاعر ان يكون اللسان المفصح عن هذه التجربة ، ان يردد ما يقوله الآخرون ، وما يفيض به الوجدان الجمعي . . وهو يلجأ الى روح الجماعة حتى في التعبير عن مشاعره الذاتية ، كان هناك حقيقة اعماق جذورا في تربة الحياة واغنى بالتجربة ، هي الشعب

الذي ينتمي اليه ، ومن ثم فهو من ناحية المعنى الذي يمتله ، رمز لا اكثر . اما العبقرية الفنية التي ترجع اليه ، فانها تتمثل في ابداع العبارة الجديدة ، الصياغة التي يمكن ان تضاف الى لغة الشعب كجزء من تراثه العريق .

كان ابن دريد صورة بليغة لهذا النموذج من الموهبة الشعرية .

- ٢ -

حين ولد ابن دريد كان تاريخ العرب السياسي في بداية الانحدار . وكان الحليفة المتصم اخر يد قوية تمسك بزمام الحكم العربي، وعلى الرغم من ذلك فقد قال له احد مهرجي القصر ذات يوم : « انما لك من الخلافة الاسم » . وكان المتصم يمني مدينة سامرا لجنوده الاتراك الذين اسلمهم لحماية الدولة بعد ان اخمدوا له ثورتين لعب فيهما الصراع الطبقي دورا هاما ثورة الزط وثورة القرامطة . وكان العرب يبتعدون عن المشاركة في الحياة السياسية ولم يعودوا موضع ثقة السلطة ، غير انهم احتفظوا بالكثير من الامتيازات الاجتماعية ، والمصالح الاقتصادية .

ويكاد المتصم ان يكون اخر ملك عربي ينتهي نهاية عادية ، فقد ولي الخلافة بعده ، خلال حياة ابن دريد ، عشرة خلفاء خلعوا او قتلوا ومنهم من مات من السكر (١) ومنهم من قتله تائب الضمير (٢)

واصبحت الدولة لعبة خطرة بيد جيش دخيل يحكم عن طريق كبار انضباط الذين لا يحملون من قضية الدولة الا السيطرة والديسيطة ونهيق المطامع الشخصية . وكانت ادارة الحكم في الظاهر بايدي الوزراء ولكنهم كانوا اداة للقوة العسكرية . وكانوا يدفعون ثمنا غاليا لايام الحكم القصيرة ، وكثيرون منهم كان مصيرهم القتل والتعذيب والتشريد . .

وكان العصر خضما جارفا من الاحداث ، تتعاقب فيه الثورات العديدة والامارات والكوارث ، في سير مزدحم من المآسي ، شعاره العنف والفقر والديسيطة . وكان بذلك صورة للاضطراب الذي تفيض به حياة الناس ايضا . فقد كان التنافر والصراع شعار الجماعات البشرية في ارجاء الدولة ، بين سكان البادية وسكان المدن ، بين سواد الفلاحين والافطاعين بين مفاسد السلطة والتقاليد الخلقية ، وكان التعصب العنصري والتنازع القبلي على اشدهما في كل مكان .

- ٣ -

ورث ابن دريد عن نشأته فردية جامحة لم تتح له ان ينظر الى قضية

(١) المعتمد . (٢) المنتصر .

وتخيم على ابن دريد في هذه التجربة روح حزننة خائبة تنحس
المأساة في كل جانب .

— ٤ —

كل شيء زائف ملوث . تلك هي الحقيقة الاولى في حس المأساة : ان يلتفت الانسان حوله فلا يرى الا المظاهر الباطلة والاكاذيب . لكي ينشأ هذا الشعور يجب ان يكون المرء على جانب من الوعي يتيح له الانفصال عن التيار الدنس الذي يجرف مصائر الجميع ، ان يخلع العصر الذي يعيش فيه معترفا بالهزيمة . فحين يشارك الانسان في احداث عصره ، ويحتل مكانه في موكب الحياة العامة ، يفقد كل مبرر للعزلة ، ويصعب عليه ان يتبين الخيوط الحقيقية للمأساة . والعزلة شقاء ، مهما تكن جميلة . انها اعتراف بالفشل . فالمألوف ان تتحكم الارادة الانسانية بالحياة ، ان تكون للفرد قضية كبرى يلتقي بها مع الآخرين ، ويمضون معا في صنع التاريخ ..

ولكن قوة عاتية تتحكم بمصائر الجميع ، لا يستطيع الانسان امامها اي شيء . ظروف قاسية تفسد كل طمأنينة وتدفن كل امل . احيانا تحملها مخاوف الناس وقلقهم على مصيرهم ، وتارة تحملها مخازي السلطة ، ومساوئ المجتمع ، ولكنها في جميع الاحيان تبدو في فساد النفوس . وذلك الامر الذي يدفع الى اليأس . فالتناس لم يعدوا قادرين على شيء نبيل . وقد ماتت نزعة المجد (١) وانطوت صفحاتها الى الابد .

ولكن الناس يعيشون — مهما تكن الظروف — ويمضون في هذا الركب المزدحم بالمفاسد ، لانهم مرغمون على الاستمرار . تفرض عليهم نزعة الحياة في عبودية قاهرة ، ويضطربون اذا تهددهم خطر ، حتى اذا انقضى مضوا بعيون مغمضة وعبث كاذب ، وهم اجبن من ان يتطلعوا الى الحقيقة المرة ، الى ما ينتظرهم من مصير (٢) .

وهم غير ملمين . فقد قدر عليهم ما هم فيه لانهم لا يملكون العزم على التمرد . انهم ابناء عصر مدان ، والعصر يصنع ابناءه على شاكلته (٣) ومن ثم فالفساد قدر داخلي قبل ان يكون شيئا دخيلا . لقد فسدت الطبيعة البشرية منذ ان فقدت صبوتها الى الفعال العظيمة ، بهذه الصبوة وحدها يمكن ان يكون للحياة معنى انساني جميل ، وبها يتحرر الانسان من قيود الحياة المألوفة العادية ، ويكون شيئا جديرا .

من هذه القيود ان هناك منطقا صارما يوجه سلوك الجميع ، يبدو الانسان خلاله كائنا عاديا يسعى في سبيل حاجاته في طمع وشراسة ، لا يربطه بالآخرين الا الصراع من اجل العيش . ولكي يظفر بما يشتهي يجب ان يكون ذا سطوة ، قادرا على الظلم ، فالحجة مظهر للضعف والانعكاس . اذا كنت لين الجانب فقد اهانك الناس (٤) واساءوا اليك ، فالعداوة مناصرة في نفوس الجميع .

ذلك ان طلب الانتفاع هو المحور الاصيل في حياة الناس ، وحين يكون ذلك ، فقد سيطر عليهم النفاق ، ان ينحنوا امام المال حيشما وجد ،

عصره الا من خلال مشاعره الذاتية وامانيه الخاصة . ويبدو انه اختار العزلة عن احداث العصر ، ولم يحمل عمله الثقافي ما يدل على اكترائه بما يجري حوله من احداث . وهو موقف يعبر عن اليأس ويمكن ان يكون مظهرا للخيبة والانزها . وقد كان للجماهير السعوية مثل هذا الموقف ، ولكنها كانت تحمل فيه الكثير من النعمة تعبر عنها في الاستجابة لكل دهوة ثورية تعارض الدولة وتقوم على العنف . وعلى الرغم من ان الخيبة كانت تحصد جميع الامال ، فقد بقي التذمر شعارا للوجدان الشعبي الذي كانت السلطة في نظره تحمل طابع اقدسية والمنعة فاصبحت مهزلة عجيبة تنضح بالماسي البغيضة .

وقد انطوت تجربة ابن دريد على ازمة هذا الوجدان في جذورها العميقة ، وعلى الرغم من ان انتاجه الثقافي لا يشير الى اقل التزام بقضية معاصرة ، كما هي الحال مثلا بالنسبة للمتنبي والمعري ، فانه استطاع في مقصوده ان يصور المأساة التي يحياها عصره ، وراء جميع الاحداث العابرة . فثمة اشياء راسخة كانت قد استقرت في بنية الحياة الانسانية ، اذ ذلك ، اصبح الجميع يحملون ملامحها ويعبرون عنها في الافكار والامال ... اشياء ثابتة واضحة العالم ، تكشف عما الت اليه قضية الانسان في ذلك العصر ... وكان ابن دريد مفصحا عنها ، في حقيقتها المتمكنة الصلبة وراء ضوضاء الحوادث وضباب المظاهر .

كتاب المعارف بلبنان

بنابة السبيل ساحة رياض الصلح م.ب. ٢٦٧٦

نقدم قصة فتاة اخطأت في حياتها الاولى ، فلم تعد تدري كيف تصاحب طلائها . الا بعد سنوات كثيرة ومغامرات شديدة .

قصة الفتاة الاولى
والتي هي قصة فتاة
مسلية الصلح .

الفتاة المخيرة

تأليف
محمي جوديت



تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

(١) « ان نجوم المجد أمست افلا »

(٢) فال الامر الذي يروعا ونرتمي في غفلة اذا انقضى

(٣) وكل قرن تاجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا .

(٤) من ظلم الناس تحاموا ظلمه وعز عنهم جانباه واحتمى

وهم لم لان لهم جانبهم اظلم من حيات انبث الفنا

ويحتقروا الإنسان حين تدركه الفاقة (١) أنهم يلتمسون في المظاهر الكاذبة رداء يحجبون به هزال النفوس ، فالإنسان بمظهره لا بحقيقته ، والكذب ذريعة الحياة . (٢)

وإذا لم يتح للإنسان ان يساوم البيئة التي يعيش فيها ، فانه يطرح جانبا ويهان . وما من انسان ينال ما هو جدير به لان هناك قدرا عاتيا يملك مصائر الجميع هو الحظ ، (٣) والحظ صدفة عمياء . فقد يسود الجاهل ويضطهد العالم .. وقد تفتح الحياة ذراعيها للإشرار حين تثقل انطيين بالهموم والاحزان ..

من اجل هذا ، على الانسان ان يدرك حكمة الحياة في عصره ، انه مرغم على الانسياب في خضم الواقع وعليه ان يحسن هذا الانسياب . ان يكون « ظاهرة واقعية » بكل معنى الكلمة .

— ٥ —

اول ما تقتضيه هذه الحكمة ان نعتبر باحداث الدهر ، وناخذ الموعظة من الايام فهي خير مؤدب للإنسان (٤) . انها تعلمنا الفناصة والاستسلام (٥) فليس للمرء ان يطلب مالا يطيق (٦) . وعلى النفس ان ترضى بما هي فيه مهما يكن بغيضا (٧) . ومن نزعت نفسه الى ابعد مما له ، عجز عن نيل ما تحت يديه . (٨) وللإنسان حد يجب ان يقف عنده (٩) وليس ما هو ادعى للمقت كالفرور والطموح والعجب بالنفس (١٠) . انما العاقل من فكر في الامور طويلا قبل ان يعمل ، واحترس من كل مجازفة والا كان نصيبه الندم . (١١) فالحكمة ان تعجم عن كل نزوة جامحة ، وما ينجو الا الذي يلجم هواه بالتمقل (١٢) فالجموح ضلال لان الطبيعة البشرية مشوبة ابدا بالخطا والنقيصة (١٣) . والحكيم من اخذ الناس على علاقتهم ، وحسبه ان يجد في الاخر خلة واحدة محمودة لكي يحضه الود ، مهما يكن رديء الطباع . (١٤) وما من سيف الا وينبو وما من جواد الا ويكبو .. (١٥)

(١) عبيد ذي المال وان لم يطعموا من غمره في جرعة تشفي الصدى .. « وهل لس املق اعداء .. »

(٢) والناس كالنبت فمنهم رائق غض نضير عوده مر الجنى

ومنه ما تقتحم العين فان ذقت جناه انباغ عذبا في اللهى

(٣) لا يرفع اللب بلا جد ولا يحطك الجهل اذا الجد علا

« لا تسألني واسأل المقدار .. »

(٤) من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواظف يوما او غدا

من ثم تفده عبرا ايامه كان العمى اولى به من الهدى

(٥) من ملك الحرص القياد لم يزل يكرع في ماء من الدل .. «

(٦) من عارض الاطماع بالياس رنت اليه عين العز

(٧) من عطف النفس على مكروهاها كان الفنى قرينه حيث انتوى

(٨) من طال فوق منتهى بسطته اعجزه نيل الدنيا ..

(٩) من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطا

(١٠) من ناط بالعجب مرى اخلاقه نيطت عرى المقت الى تلك العرى

(١١) من ضيع الحزم جنى لنفسه ندامة .. «

(١٢) وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجى

(١٣) من لك بالمهذب التدب الذي لا يجد العيب اليه مختطى

(١٤) كم من اخ مسخوطة اخلاقه اصفيته الود لخلق مرتضى

(١٥) اذا بلوت السيف محمودا فلا تلمعه ان تراه يوما قد نبا

والطرف يجتاز المدى وربما عن لمعده عثار فكبا

وإذا كان اللسان على هذا النحو من الفساد فان من الحزم ان يخل نفسه ويرغمها على احتمال الاذى (١) ، والتفرع بالخنوع والصبر ، (٢) في انتظار ما يمكن ان تمنحه الاقدار من منة الخلاص .. (٣) الانتظار الخانع .. تلك خاتمة الوصايا الابدية التي يفرضها العصر على ابنائه الخائين .

— ٦ —

ذلك هو قدر الانسان في تجربة ابن دريد ، و « الانسان في التجربة » هو الكائن الواقعي المشدود الى بيئته وعصره بجميع الاغلال . انه ليبند صورة كئيبة للعبودية والاستسلام ، كانه « شيء » تافه يبعث به القدر ، وتثقله لعنة الجمود بالهموم الثقيل .

وقد كان ابن دريد من ابناء عصره ، ولكن المرارة التي تفيض بها مشاعره امام الواقع ، تحمل روح انسان متمرد يشفق ان يكون على النحو من الجمود والاستسلام ، غير انه اشفاق اليأس لا يملك الا الرثاء والالم . فلكي يكون ثمة امل يجب ان تقف ارادة انسانية جريئة في وجه الاقدار . مشيئة حرة تتيح للإنسان ان يصنع مصيره وفق ما يجب ويريد . وهو يريد الحياة السليمة ويحب السعادة الابدية . ولكن لا سبيل . فالعصر كله مدان . ومن الحكمة ان نلتبس منطقا معقولا لما نفعله الايام . وليس لنا الا هذه الحكمة ما دامت الطبيعة البشرية في حضيض من الانهيار .

علينا ان نبرر الاشياء التي نحياها ما دمنا لا نستطيع تبديلها . وفي هذا التبرير ننقد شيئا من حريتنا ، نختار على الاقل ، في شيء من الوعي ، الطريق التي ارادها لنا القدر ، وبتعبير اخر نتبنى الواقع لتلا نقسر عليه (٤) .

ولكن هذا لا يمنعنا من العودة الى نفوسنا ، وعندئذ تبدو لنا هذه الهوة السحيقة بين « الانسان الواقعي » ، « الإنسان في زمنه » ، وبين الانسان كصوبة الى الحياة الجميلة ، تختار مصيرها في حرية . وإذا لم يمكن ثمة سبيل لان تحقق هذه الصوبة ما تنزع اليه في واقع يسحق الانسان سحقا ، فانها تعيش كحقيقة حية في نفوس القلائل . افراد (٥) يملكون القدرة على التمرد والانفصال عن القطيع . فلا بد من ان يبقى للحياة الانسانية من يمثل ما يحلم به الناس من صور الاعتاق . وقد لا يستطيع هؤلاء الافراد شيئا ، ولكنهم يلبثون نماذج يحاول ان يقتدي بها الآخرون ..

وقد تكون هذه النماذج مجرد وهم يطوف باخيلة الخائين ، ولكنها توميء ابدا الى شيء ثمين في الحقيقة الانسانية هي ان الانسان خلق لامر اخر ، لمصير كبر مما قدرته عليه الايام ..

وتبدو هذه الحقيقة عند ابن دريد في نموذج الفارس . ينطلق في الصحراء وحيدا ، وراء الخطر ولا رفيق له الا السيف والجوادر (٦) والعزيمة المصممة التي خلقت للكفاح المستمر (٧) ، ووجدت في اقتحام الموت

(١) وعطف النفس على سبل الاسا .

(٢) عول على الصبر الجميل انه امنع ما لاذ به اولو الحجا

(٣) والدهر يكبو بالفتى وتارة ينهضه ..

(٤) من كان ذا سخط على صرف القضا ؟

(٥) وواحد كالالف ان امر عني

(٦) هما عتادي الكافيان قد من اعدته ، فليئاً عني من نأى

(٧) لكن لي عزما اذا امتطيته لبهم الامر ..

سبيلها الى العظمة (١) انها ترمز الى المنفوان في كل شيء ، الجموح الذي لا يعرف الاحجام والتحفظ .. احيانا تحمله الكبرياء يقف بها الانسان الحر في ذروة المجد (٢) ، و احيانا تمثله الكرمه والسخاء (٣) .

ولكن هذا النموذج هو خيال واسطورة اكثر منه حقيقة حية تعيش في الواقع . انه اشارة صادقة لحنين الانسان الى الانفراد والعزلة ، الحنين الى الحياة الجميلة القوية التي اندثرت معالمها من مجتمعات الناس واصبحت الصحراء وحدها ملاذها الاخير ..

وليست الصحراء رمزا للعزلة الحزينة فحسب ، بل هي صورة الماضي حين كان كل شيء صادقا بريئا . والذين يمثلون هذا النموذج في شيء او سواء ، انما هم بقية من عهد ذهبي (٤) ، من غابر بعيد كانت الحياة فيه اجدر بان تبارك وتحب ...

وخيال الفارس المنفرد ، على الرغم من عنفوانه ، ينطوي على نزعة عاطفية يائسة . موقف فردي قاس تلميه روح سلبية ينتهبها التشاؤم : ان يلوذ الانسان بالصحراء كارها حياة الناس مؤثرا عليهم مخاطر الليل وصحبة الذئاب (٥) .

- ٧ -

ولكنه الحنين الى الماضي . وهذا الحنين هو ينبوع الذي يستقي منه ابن دريد ايقاع عاطفته . شعور بالنائي والذهاب (٦) والاندثار في غور الزمن . ومن المؤلف ان يكون هذا الشعور محورا في تجربة رجل عاش قرنا كاملا او كاد : وكان حس الماضي في وجوده ، شعورا جازفا بالزمن هذا التفرق الاذلي الذي سلط على كل شيء . وحين يكون الماضي صورة للحياة السليمة فان كل تفرق يعني الفساد ، فلا ريب ان الحياة في البلد تحمل البراءة والمنفوان ، ومثلما ذهب الزمن بالعصور الجميلة يذهب ايضا بالطفولة والشباب . وكل ما تلمسه يد الزمن يفيض بعد التفتح وينحدر (٧) كان الزمن سقوط وانهار (٨) .

وما يؤسنا من الزمن انه ينتهب الجسد اولا ، ونحن لا نستطيع شيئا دون فتوة الجسد . فممن ان يبدأ الجسد بالذبول تضمحل فينا القدرة على الاستمرار في الرغبات الحارة ، وتغمد كل صبوة حققة ، وتذوي مسرات الحياة (٩) .

ونحن نعيش تجربة الزمن في كل يوم ، ولكننا لا نكتشف المأساة فيها الا عندما يبدأ الانحدار . فثمة احساس بالعبودية يفزونا آنثذ ، ويسكب في جوانحنا كآبة حزينة تصبح مع الايام نسيج وجودنا . والعبودية اننا لا نستطيع ردا لهذا السقوط الروع ، فان ما يستبد بالكائنات فيليها يستبد بنا ايضا وبورثنا الانهار . والشيخوخة رمز لهذه الوراثة البائسة .

غير اننا نرفض الهرم ، لا لاننا نحب الحياة الحارة فحسب ، بل لان تقدم السن يحمل اليها نضجا في فهم الحياة وتذوق مسراتها . ولكننا نرى الابواب موصدة ، تفرعها يدنا المعروفة دون طائل فلا نملك الا الالم الصارخ (١) .

ونحن - مع ذلك - نحتمل الالم في صبر وعناد ، لاننا لا نحب اليأس فثمة في النفس بقية من عنفوان الماضي (٢) تعيد الى حياتنا املا بالعودة ... ولكنه امل مضطرب لا يحمل من اليقين الا ما تحمله ايماضة البرق للارض العطشى ، مجرد وعد لا اكثر (٣) .

امام هذا الامل تقف الحقيقة الصعبة . ان عذاب الجسد هو اشارة الى النهاية (٤) . فالوقت هو المصير المرتقب . ومهما يكن في الموت من حكمة ، فانه يفيض اليها . اننا نرفض الموت مهما يكن معقولا . واذا كان الزمن يلوح لنا ابدا بهذه النهاية الفاجعة ، فاننا نعرف انها حكمة الزمن . ففي طبيعته انه يحمل الفساد والبلى . ولكنه في الوقت نفسه يحمل اليها الحياة ، وهي حياتنا نحن نستطيع ان نصنع منها ما نريد . ومن العبث ان نطمح الى تبديل الزمن كقدر عات نهايته القبر ، ولكننا قادرون على الزمن الذي نحياه : ان نغنيه بالتجارب القوية والسررات العميقة ، ان نخلع عليه المعاني الانسانية التي تزخر بها صوتنا الى الحياة ، ونوشيه بجميع الالوان الجميلة ..

ومن اجل هذا نحرص على الحياة حتى النهاية ، ونحاول ان نقهر الموت بشهوة الحياة المستمرة في كيانتنا ولو خذلنا الجسد (٥) .

الرغبة الحارة . ذلك هو ينبوع « الانساني » الرائع الذي يجعل الزمن كله نهارا صاحبيا بالنشوة مترا بالملذات ، لا تمتد اليه كآبة الغروب . والرغبة الحارة هي المنفوان . وهو دائما في البداية ، حين يكون كل شيء فتيا جامحا بريئا ، غير مكترث بتعاقب الليل والنهار ، بعيدا عن احزان القدر ..

وفي سبيل هذا المنفوان تلتفت الى ذكريات الماضي في شغف وحنين ، ويفطنا ان الحياة كانت لنا ذات يوم وان الجدول ما يزال على تفرقه العذب ..

- ٨ -

اننا نقهر الموت بمقدار ما نملا حياتنا جيذا ، وما نصنع من الذكريات الجميلة ، وسبيلنا في ذلك هو النشوة في شتى آفاقها الرجبية ، نشوة الجمال والحب (٦) ونشوة الخمر (٧) والصدقة (٨) والفطبة التي يهبنا

- (١) شجيت لا بل اجرضتني غصة عنودها اقتل الي من الشجي
ان يحم عن عيني البكا تجلدي فالقلب موقوف على سبل البكا
- (٢) فكل ما لانيته مفتقر في جنب ما اساره شحط النوى
- (٣) شيم سحاب خلب بارقه وموقف بين ارتجاء ومنى
- (٤) اذا ذوى الفصن الرطيب فاعلم ان قصاره نفاذ ومنى
- (٥) اراجع لي الدهر حولا كاملا الى الذي عود ؟ ...
- (٦) ولاعيتني غادة وهنانسة تضني وفي ترشاقها برء الضنى
كانما الضهباء مقطوب بها ماء جنى ورد اذا الليل عسا
- (٧) يارب ليل جمعت قطره في بنت ثمانين عروسا تجتلى
- (٨) « ما زاع قلبي عنهم لا هنا »

- (١) فان سمعت برحى منصوبة للحرب فاعلم انني قطب الرحى
وان رأيت نار حرب تلتظي فاعلم بانى مسعر ذاك اللاظى
خير النفوس السائلات جهرة على ظلمات الرهفات والقنا ..
- (٢) هم الشناخيب المنيقات اللوى
- (٣) هم البحور زاهر اذبهها
- (٤) الا بقايا من اناس بهم الى سبيل المكرمات يقتدى
- (٥) وردته والذئب يعوي حوله
- (٦) وغاض ماء شرقي ، وأض روض اللهو .. وضرم النأي المشت ..
- (٧) ان الجديدين اذا ما استوليا على جديد ادنياء للبلى
- (٨) والزمان مولع بشت ملموم وتكتيت قوي
- (٩) ارمق العيش على برض فان رمت ارتشاقا رمت صعب المنشئ

على الواقع الحزين كما يصحو المفروق على حقيقة نفسه ، كان يظن انه كل شيء فاذا هو ذرة من الرمل تتقاذفها عواصف الرياح .. ولكن هذه اليقظة لاتعني شيئا ، فقد تكون بداية استغراق جديد في غفلة الحياة ، فرارا من تحدي الزمن ، وخوفا من النهاية . وفي بعض الاحيان تكون هذه اليقظة بداية حياة جديدة ، عندما تنتفض ثمة ارادة صارخة تبعث في كيان الانسان نزعة المقاومة وتفرض عليه قضيتها وفدورها وتشعره بان حكمة الزمن هي مجرد عبث عابر ، وان الحقيقة المراسخة هي ما يصنعه الانسان من نفسه ، ومن ثم يكون التمرد رمزا للانعتاق والتحرر ..

ولكنه تمرد يائس فداء هذا الجدار الاصم الذي يقف اخيرا في وجه كل ارادة انسانية : الموت .

فالبداية اذن هي في تحدي الموت الذي يريده الزمن . ولكي يستطيع الانسان ان يختار قضيتين في الحياة ويعلم في جراحة عن معناه الانساني يجب ان يختار موته : ان يصنعه على النحو الذي يريد . ان كل مصير يختاره الانسان الحر يحمل تصميميا معينا على موت مبكر . انه برفض الاستسلام والشكوى (١) لان المأساة لم تعد في الرضوخ لقدر دخیل - التتمة على الصفحة ٧٨ -

(١) لانحسين يادهر اني ضارح ..

دارالمعارف بلبنان

بنابة المسيلي ساحة رياض الصلح م.ب. ٢٦٧٦

نماني قصص قصيرة نالت اعجاب العالم بالسر ، لان كلانا منها تجري في قطر أو آخر من آسيا وأوربا ، واهزرت نجاحا منتظم النظير .

زوجة الكولونيل

وتمتص اخرى

تأليف
سورست سوم



التمت
١٥٠٠ ص.
إزميلاديا



تطلب من جميع المكتبات الشهية

ايها سحر الاشياء في العالم (١) .

وعندما نحسن الحياة الحارة يكون الموت فاتحة طبيعية لا يأسف المرء امامه على شيء ، لانه خاتمة المطاف (٢) .

ولكي نستطيع مثل هذه الاستجابة الفنية لنداء الحياة ، نتوسل بالحاسة الانسانية ، ونؤمن بها . وليست الحاسة سبيلا للاستمتاع بالحياة فحسب ، بل هي ايضا فعالية فذة تنسج لنا الصور المبدعة ، وتصنع ايقاعا عذبا لكل ما في الوجود من اشياء . انها تترجم الالوان والاشكال والاصوات الى عالم رائع من الكلمات والاحيلة والالحن ، هو الشعر . ومن دون الشعر يلبث العالم باهتا جافا لا حياة فيه .

والشعر هو الكلمة . وعلى الرغم من ان التجربة هي التي تنسج خيوط الالهام الشعري ، فان العبارة هي كل ما في الشعر . فالتجربة تضمحل وتزول ، اما العبارة فانها باقية ابدا . شأنها في ذلك شأن كل حقيقة تفرض نفسها على الزمن ، وتقهر الفناء بالاستمرار عبر الاجيال ... ذلك انها ليست للشاعر وحده ، بل لجميع الآخرين : انها جانب من التراث الانساني الذي تحميه الجماعة كما تحمي اقدس الاعراف ..

ولكي تبلغ العبارة هذه المكانة من الصيانة والرسوخ ، يجب ان تحمل شيئا من خلود اللغة التي تصدر عنها ، ان تكون صيغة جديدة متينة السبك جذيرة بالبقاء الى جانب جميع الصيغ اللفظية التي يفصح بها الناس عما يريدون ..

والكلمة - في حياة العرب بصورة خاصة - ليست وسيلة لسلاداء فحسب ، بل هي ثمرة يانعة للإبداع الشعري . ان مصدرها هو الخيال المحسوس ومن ثم فهي تجربة فنية عاشها الشعب خلال اجيال ، فهي صورة اكثر منها رمزا .

وقد كرس ابن دريد حياته لدراسة الكلمة ، ليس كنحوي فحسب عالم في اصول اللغة ، بل كشاعر وجد في حياة الكلمات والصيغ الجديدة التي يمكن ان تصنع (٣) منها ، استمرارا للتجربة الفنية في حياة الشعب . ولعله ان يكون قد تلمس في ذلك سبيلا لما هو ابدى في وجوده الزائل . والصفة المبدعة التي يمكن ان تضاف الى تراث الامة ، تحمل دائما ما تحمله الكلمات الحجة من طابع الابدية . ان قضية الانسان في تجربة ابن دريد ان يقهر الزمن على نحو او آخر ..

- ٩ -

احيانا يرى الانسان نفسه في موقف حاسم . يطلب الحياة في شغف واصرار ، ويصبو في الوقت نفسه الى التحرر من ربكة الزمن . ولكن تجربة واحدة تضعه جانبا ، وترغمه على الانعطاف بكل حياته في طريق جديدة . ذلك حين يقف فجأة امام المأساة وجها لوجه ، في حادثة غير منتظرة توقفه من غفوة الاستسلام للقدر ، وتضع كل جدارته بالحرية موضع التساؤل : هل يستطيع ان يبدل شيئا ؟ ان يجعل بقية حياته ذات معنى انساني بليغ يتحدى حكمة الاقدار ؟ اذا أهين مثلا او هدد الموت قبل الالوان او فقد شخصا عزيزا او تاجعت في صدره شرارة حب عظيم ، او ايمان جارف بحقيقة كبرى .. وقد يصحو في هذا الموقف

(١) تحتل اوصاف الطبيعة القسم الاكبر من ابيات القصيدة .

(٢) فان أمت فقد تناهت لذتي وكل شيء بلغ الحد انتهى

(٣) وممن ألف الكتب في زماننا فرمي بافتعال العربية وتوليد الالفاظ وادخال مالييس في كلام العرب في كلامها ابو بكر بن دريد صاحب الجوهرة .

الازهري - مقدمة كتاب التهذيب في اللغة .

المأساة في مقصورة ابن دريد

تنمة المنشور على الصفحة ٢٣

على الصبوة الإنسانية الكامنة في اعماقه ، بل أصبحت هذا القدر الداخلي
الذي ينسج مصير المرء في ايمان وحب ، وهو يعرف ان الامتحان القاسي
هو انتزاع الموت في حرية وتصميم . وليس الموت هو اليقين في هذه
التجربة ، بل اختيار الموت . وهذا الاختيار هو اعمق صور المأساة ، ولكنه
صيحة تمرر جريئة في وجه القدر ، فيها عزاء لجميع الآخرين عما يعانون
من عبودية الزمن .

وان في تجارب الغابرين لأمثلة كثيرة (١) :

- ١٠ -

فامرؤ القيس عرف هذه التجربة عندما قتل أبوه ووقف امام ملكه
السليب وكرامته المهانة . وكان قبل ذلك مستغرقا في طلب الحياة
تحفره الرغبة الى اقتناص اللذات والاستمتاع بالوجود . وكان شاعرا
مبدعا قادرا على ملء وجوده بالجمال ، ولكنه انطفأ امام الكارثة ، فاصبح
النار - ومن ورائه الملك - كل فضيته . وتحمل الالم في شجاعة ، من
اجل مصيره . ولم يتراجع ، وقضى دون غايته وهو مؤمن بفداحة
المأساة . (٢) ولكنه اختار ، ولا سبيل للعودة . (٣) .

وقد كان للكندي هذا المصير . اغتصب عرشه ولاحقه العار ونحلى
عنه الجميع فلم يستسلم واصبح الكفاح فضيته ولقى حتفه في منتصف
الطريق . (٤)

وكان عبد الرحمن بن الاشعث طرازا اخر لهذا المصير . كان قائدا
ظافرا اتيج له في زمن الحجاج ان يصل بالفتوحات العربية الى
الهند ، وكان التجربة حين تلمس في نفس مصير ملك عظيم ، فخلع طاعة
الحجاج وتمرد على الخليفة عبد الملك بن مروان وخلمه وانتادت له
البلاد ، ولكنه اسر بمكيمة فانتحر قبل ان يصل الى بغداد (٥) .

وعرف الوضاح هذه التجربة ، وهو جذيمة بن الابرش ، وجد نفسه
امام الزباء وبينهما نار قديم وكان قد قتل اباه واقام لنفسه ملكا
عريضا . فلجأت الزباء الى الحيلة فخطبت على نفسها . وكان الحد
الفاصل في موقفه حين صمم على الذهاب اليها دون وجل وكان من
السطوة والزهو ماجعله يرفض النظر الى العاقبة . عندما ادرك - بعد
فوات الاوان - انه كان ماضيا الى حتفه ، قبل الموت في جراحة نادرة (٦)
والزبلاء (٧) نفسها لقيت بعده هذا المصير فانتزعا النار من عرشها
المنيع وعندما وقفت امام الموت اخذته بنفسها وقالت كلمتها المعروفة :

« بيدي لايسلك ياعمرؤ .. »

وعلى هذا النحو ايضا اوقف الموت المبكر عزيمة يزيد بن المهلب بن ابي

(١) هل انا بدع فن عرائن ؟

(٢) وليس غريبا من تناءت دياره ولكن من وارى التراب غريب

« امرؤ القيس »

(٣) ان امرؤ القيس جرى الى مدى فاعتاقه حمامه دون المدا

(٤) وخامرت نفس ابي الجبر الجوى حتى حواد الحنف ..

(٥) ... ساق نفسه الى الردى حذار اشحات العدى

(٦) واخترم الوضاح من دون الذي املها سيف الحمام المنتضى

(٧) واستنزل الزبلاء قسرا ...

صعرة ، وقد نزعته به الارادة الى الخلافة فاستمر ينازع الامويين سلطة
الدولة الى ان اغتيل (١)

ومثل هذا العزم اتاح لسيف بن ذي يزن ان يحمل في عناد وبأس
قضية كرامته وقضية قومه ، واستطاع ان يحرر شعبه ويظفر (٢) .. ولكن
الموت اقتنصه ايضا ..

مصائر كبيرة صنعها افراد اقوياء اختارهم ابن دريد من الذين انفصلوا
عن واقعهم ورفضوا حكمة الايام . وقد امتدت اليهم جميعا يد الموت
لانهم مدوا يدهم اولا ، واستنزلوا من اوج العظمة . ومن الخير ان
نتعزى بهم عن مأساة الحياة .

- ١١ -

اذا كان لكل لذة نهاية ، وكل ارادة متمردة تحمل مصيرها الفاجع ،
والفساد يفزو كل شيء ، فلماذا حياة الانسان ؟ هل الانسان حادثة
عابرة لا تملك من اليقين الا ما يملك الجسد الفاني او الصبوة الحاملة ؟ وماذا
يجديه ان يخلد حياته بالشعر او يترك للناس الذكر الحسن (٣) ؟

تلك هي المأساة في الظاهر . ولكنها في الحقيقة صراع اعمق
جذورا في وجود الانسان . يقول الزمن ان الانسان الى فناء . ولكن
الانسان يرفض الزوال . ان شيئا من ضياء الابدية يتموج في كيانه ويمنحه
الامل والرجاء حتى في احلك ساعات الياس . (٤) ينظر الى مصيره

(١) فاعترضت دون الذي رام ..

(٢) وسيف استعلت به همته ..

(٣) وانما المرء حديث بعده ..

(٤) ما اعتن لي ياس ينجي همتي الاتحاد رجاء .. »

ظهر حديثا عن دار الثقافة - بيروت

النقد الادبي ومدارسه الحديثة

« الجزء الثاني »

بقلم ستانلي هايمن

ترجمة

الدكتور احسان عباس - الدكتور محمد نجم

يطلب من الناشر دار الثقافة

ص . ب ٥٤٣ بيروت

وعوموم المكتبات الكبرى

ومضة برق

- التمتة من الصفحة ٣٥ -

واخذت العاصفة تهدأ شيئاً فشيئاً ، فانقطع الرعد ، وانقشعت السحب عن سماء زرقاء فيها قمر يتهادى بين الفيوم ، وبدا الصبح يتنفس عن نهار مشرق وضاح . واخذت هي تستعيد هدوءها وتستوعب ما حدث لها كأنها كانت في غيبوبة وصحت لتوها . فكبر عليها الامر وتملكها خوف شديد وراحت تسائل نفسها مرثاة :

كيف استطاع هذا الماكر ان ينتزع منها هذا الاعتراف الخطير بسهولة ويسر ؟ لقد اغتتم فرصة ياسها وانهار اعصابها فكان له ماآراد . .
الى م ينتهي امرها ياترى ؟؟ .

وراحت تصفي الى صوت خطواته وهو يتنقل بين غرف البيت ، والى صوت حركة متوالية في غرفة الزينة المقابلة لغرفة النوم ، والى صرير ابواب الخزائن والادراج وهي تفتح وتغلق . ماذا يعمل يا ترى ؟ ليست لديها ولو قليلا من المشجاعة لجابته وسؤاله عما يفعل ، ثم سمعت صوت خطواته على الدرج ، ثم صرير باب البيت الخارجي وهو يغلّق بشسدة فتيفقت انه برج البيت . فخرجت من غرفتها واسرعت الى الشرفة واطلت منها فلمحته وهو يركب سيارته وينطلق بها . تساءلت الى اين ياترى ولما تشرق الشمس ؟؟ . لاشك انه ذاهب الى ابيها ليخبره بكل ماحدث بينهما . فياهول ماينتظرها !! . . .

وعادت الى غرفتها مستسلمة الى الياس والقنوط . رأت في طريق عودتها على احدى المناضد رسالة تركها لها فتناولتها وفتحتها واخذت تقرأ وتعيد ما تقرأ بدهشة واستغراب وتكاد لا تصدق ما تقرأ . احقا ياترى ما يقول ؟ انه ماضى الان الى مشروعه في القرية الثانية . وسيظل ما حدث بينهما هذه الليلة سرا مكتوما حتى عن ابيها وزوجه لانه يعرف تماما ماسيلحقها من ضيم اذا عرفا حقيقة امرها ، تلك الحقيقة التي يراها هو حقا مشروعا لها ، ومن الظلم ان تحرم منه . وسيلقيها في بيته وتحت حمايته - ان ارادت - ريثما تدبر امورها كما يحلو لها ، لانه لن تربطه بها بعد اليوم رابطة تجيز له التدخل في شؤونها الخاصة ، وسيعيد اليها حريتها ساعة ترغب ، وسيكون لها خير نصير . ويختم رسالته بجملة بدت لها اول الامر كلفز اذ يقول :

انا رجل كهل تستطيع امرأة مثلك ان تسمدني ولكنها لا تستطيع ابدًا ان تشقيني ، ولذا فانا احمد الله الذي سخر لي ومضة برق عابرة اضاءت لي حقيقة امرك ، وكانت معوانا لي على كشف سرّك الذي تخفينه عني وتشقني به ، واحمديه انت ايضا لانه اومضها في نفسي فانتهيت الى هذا القرار الذي ارتاح اليه ضميري ، ولن احيد عنه ابدًا مهما قال الناس فيه .

بينما كانت هي تقرأ وتعيد ماقرأ في دهشة واستغراب ، كان هو - ماضيا في طريقه ، تنهب سيارته الارض نهبًا وقد جلس خلف مقودها شامخ الرأس متعاليا راضي النفس ، يبدو لعينيه كل شيء جميلا ، ويشعر معتزًا بان الغلبة كانت له ايضا على المرأة في هذه الليلة العاصفة بكل شيء كما لم تكن له ابدًا . . .

الفه ادلي

دمشق

من جمعية الادباء العرب

فيرى حكمة الزمن اقوى من ان ينالها التثني فالوت حقيقة (١) ومن الحمافة ان يغفل المرء عن هذه الحقيقة ويفتر بالحياة (٢) ولكنه من خلال موته ، من خلال فنائه الشخصي ، يتطلع الى الابدية ويؤمن ان له مايرر هذا التطلع ، على الرغم من الفساد الذي يتخلل حياته .

الحقيقة ان الابدية تنراى لنا في الحياة نفسها ، ونستطيع ان نتيين ملامحها في المقدسات التي تهيم على نفوس الجميع بالطمأنينة واليقين . والاشياء المقدسة ليست من صنع الفرد ، بل هي امل يتوجه اليه الجميع كشاطيء راسخ لانتاله امواج الزمن وعواصف الغناء . وحين يلتفت الفرد الى هذا الشاطيء فانما يستجير من الاسى وانخية اللذين تحملهما اليه تجربة الحياة ، خلال اعوام وجوده . فهو فان ، ولكن الانسان باق بعده ، تفره المقدسات ابدًا بضياء الخلود .

وتصدر هذه المقدسات في تجربة ابن دريد من ثلاثة ينابيع يشير اليها بوضوح في صور تأخذ منه الخشوع والضرعة ، وتطوف به كاسمي ماتحمله حياة الانسان من رجاء . .

الصورة الاولى : المؤمن

النياق الصلبة منطلقات في قلب الصحراء . سراع الخطى . كأنهن اشباح القسي . غائرات العيون من الهزال . مقوسات الظهور . انوفهن راعفة من جذب اللجاب . حين ياتي الظلام يغين في لجة الدجى السحيقة وفي النهار يطفون فيما رفعت الشمس من مشرق السراب . اخفافهن المتشقة من الحفا والمشقة تخضب بالدم الحصى الابيض . يحملن كل شاحب تقوس ظهره من طول السفر واحتمال التعب . مؤمن خاشع انهكه التشف . ماض الى المكان القدسي (٣) .

الصورة الثانية : البطل

الخيال تعدو . اكنافها هزيلة ناشزة واعرافها مشعثة في الرياح . تنسابق كالنئاب الكواسر ، رانية بعيونها المائلة الى بريق الرماح ، تحمل كل مقاتل ماضى الى الكفاح ، كل محارب باسل ، قوي الفؤاد ، فاذف نفسه في غمرة القتال ، يغشى الحرب بحدي سيفه حين تكون الحرب مخيفة رهيبة ، لو مثل له الموت خصما لما صده الخوف عن الافتحام ، ولو اراد القدر حمايته من الموت لرفض واقتحم بنفسه الغناء (٤) .

الصورة الثالثة : الاجداد

الاجداد الشم ، اقدس مايقسم به الانسان ، الذين حملوا لواء المكارم واليهم ترجع المائر ، ان فاخرهم احد قال الفخر نفسه : ليمنلىء فمك ترابا ، الذين اجرؤا ينابيع السخاء فغمروا العالم بالهبات ، الذين اذلوا من تجبر وقوموا من سولت له نفسه القزور ، وجرعوا الل من تحداهم واراد لهم الهوان (٥)

الايمان ، البطولة ، الامة . . تلك هي مقدسات الحياة الانسانية في تجربة ابن دريد . . . الشواطىء الرحبة التي تفتح للانسان آفاق الامل حين تخطئه العزيمة الصادقة امام الماساة .

صدقي اسماعيل

دمشق

(١) والناس للموت خلا يلسهم . . .

عجبت من مستيقن ان الردى اذا اتاه لايدأى بالرقى

(٢) وهو من الغفلة في اهوية . .

(٣) البيت (٤٦) من المقصورة وما يليه .

(٤) البيت (٦٠) وما يليه

(٥) البيت (٦٧) وما يليه .

قصتي وكفائي ..

قصتي بقلم نجي زكي

ككل يوم بفروش زهيدة - على احسن الفروض - يستطيع بالكاد ان يستبقى منها الثمانين مليما اجر المبيت بعد ان يلف طبق الكشري من عربة الواد ابو سنة .. ويكمل باقي فراغ بطنه بالماء .. ثم يدخن له سيجارتين مع فنجان الشاي بالحليب في قهوة فؤاد الكبرى ..

نعم .. كانت الليلة توشك ان تنتهي كالعتاد .. ولكنه كان يشعر بالاطمئنان نوعا ما .. وبالثقة في انه سيجد اجر المبيت وثمان العشاء .. فالليلة ليلة الاحد .. ويده ثلاث اعداد قديمة من مجلة رومانيسو وبيساروس التي عود الخواجا كارلو ان يشتري منه بعضها مساء كل سبت ..

وهكذا قام في الساعة السابعة ليتجه الى قهوة عماد الدين .. فهناك سجد الخواجا كارلو كما عوده .. وسيكت الذئب الجائع في اعماقه طالبا طعاما ..

ولكنه لم يجده كما توقع .. وتهشمت آماله وتلاشت وهو يعثر نظرات مجنونة قلقة في انحاء المقهى .. ودار في المكان مرات وهو لا يصدق عينيه .. موش معقول !!! وسأل عنه الجرسون بلهفة .. فأجابه وهو يسير بالطلبات في يده مسرعا « مجاش كارلو ياخيبي » ثم سار وراء الجرسون واخذ يوطن معه بلفته اليونانية .. وكأنه يستجدي منه أملا باحتمال مجيء كارلو الليلة .. ولكن الجرسون تركه .. وذهب لحاله ينسم لزبون جديد ..

ثم ذهب يبحث عنه في المقاهي المجاورة .. كان يدخل المقهى بعدد الآخر وهو يقول « ربما وجدته هنا » .. وتأخذ نظراته وهو عند الباب تجري بين الموائد وتجري .. حتى تعود الى حيث يقف لاهة .. يائسة .. واخيرا عاد الى مقهى عماد الدين .. ووجد بعض اصدقاء كارلو هناك .. فتجرا وسأل احدهم .. فقال له وهو يضحك من ذقنه الطويلة ... وملابسه المتسخة .. ان كارلو ذهب الى السينما مع زوجته .. وعندئذ ذابت بقية الامل في صدره في بحر من العدم .. واحس انه يفرق .. وخارج المقهى .. جلس على الرصيف يتذوق مأساته الحقاء .. حقا ليست هذه هي المرة الاولى التي لا يجد فيها اجر المبيت وثمان العشاء .. ولكن .. ان يجد نفسه امام المشكلة بعد ان خدعه امل كبير ..

انه قد خلف من ورائه في الطريق خمسين عاما جائعة شديدة ... لم يشعر في يوم منها بشبع الاستقرار وحلاوته .. كم حرفة زاولها في صباه وشبابه .. حتى انتهى به المطاف في كهولته الى الطواف في شوارع القاهرة بالكتب والمجلات القديمة .. كمن يستجدي حظه البخل .. بعد ان عجزت الاثنتا عشرة لغة التي يتكلمها بطلاقة ان توفر له الحياة ..

ان الاتون الذي انصهر فيه جعل منه فيلسوفا .. وانه ليقبل في اوقات فراغه على قراءة المجلات والكتب التي يشتريها من سور الازكية من عند المعلم زغلول .. قبل ان يبيعها .. لقد اصبح اخيرا بعد هذا المشوار الطويل العقيم كأحدى هذه المجلات القديمة التي يبيعها مجلة

اخيرا جاء الصباح .. كانت بالنسبة له ليلة قلقة .. كم اخذ يتحسس جيبه الايمن في الظلام .. وهو يتقلب على السرير الخشبي الذي يصر المعلم دسوقي صاحب فندق السعادة في شارع كلوت بك ان يغطيه ببطانية كالحة لايهام الزبون انه سرير مريح .. لاتجد مثله في ارقسى لوكاندات شارع ابراهيم باشا ..

ومع ذلك فلن تكتشف السر الا بعد ان تضطرك الظروف السيئة الى ان تقامر براحتك وتقصد الى لوكاندة السعادة في اخر الليل .. هناك يستجد بلية ينتظرك بابتسامته محببا وهو ينوب شوقا الى اللحظة التي تخرج فيها الثمانية قروش .. اجر المبيت .. عندئذ فقط ستتحول ابتسامته الكاذبة الى خطوات مهرولة .. يصعد بها السلم الخشبي المتآكل .. ليقودك الى مقرك الاخير .. بعد يومك المتعب .. قبل ان تفكر مليا .. وتنظر الى المكان بامعان .. وتوشك ان تخونك الشجاعة .. فتهرب من حيث اتيت .. وما ان يفتح باب الحجرة حتى يشير الى احد الاسرة المهجورة وهو يتمنى لك ليلة مريحة في الفراش الوثير ..

عندئذ ستندم ندما شديدا على هذه المفامرة الفاشلة .. وعلى الثمانين مليما .. وستكتشف انه كان خير لك ان تمضي الليل في قهوة المحطة .. بواحد شاي .. عند بوسا الجرسون الامير .. مادام النوم متعلدا على اية حال !!

ولكن اغلب زبائن هذه اللوكاندة لا يمارسون الملل مثلك .. فقد مضى عهد طويل منذ ان قطعوا صلتهم بهذه العادة المتعبة .. انهم تعودوا هذه النوم .. والقا صوت المعلم دسوقي وهو يصيح في اي منهم فسي الصباح .. لو انه اطل اغراق راسه بالماء .. كما اعتادت ابدانهم على قسوة خشب السرير الحنون .. وهكذا يستسلم الواحد منهم الى النوم لاشيء فيه .. ولا احلام ..

ولكن الليلة الماضية كانت بالنسبة لبنيامين .. ليلة قلقة ومبعث قلقه لم يكن الحشرات التي نخرت اخشاب الاسرة ويحلو لها بالليل ان تخرج من الاعشاش .. لتداعب الاماكن الطرية من اجساد الزبائن .. لا .. انه كان طول الليل يتقلب على جنبه الايمن والايسر .. وهو ينظر الى حسيين ملوخية بارتياح ..

نعم .. فان بجيبه مبلغا ماكان يحلم مرة ان يمتلكه في يوم ما .. ان بجيبه خمسة وسبعين قرشا كاملة .. اوه يالها من سعادة ان يمتلك الرء مثل هذا المبلغ الكبير .. فماذا لو قلق ملوخية بالليل .. وقام يبحث في جيبه عن سيجارة كالعتاد .. ولطش المبلغ او شيئا منه ؟

وظل طول الليل يتسم وهو يتذكر كيف حصل على هذه الثروة من الدكتور ارتين .. فالحكاية صدقة .. احقا ماحدث ام انه يرى في خياله فيلما سينمائيا لايمت بصلة الى واقع عاله الذي ظل يحياه خمسين عاما ذاق فيها الكثير .. الكثير ؟! .. فانه ماكان يستطيع مهما فعل وجاهد ان يحصل على هذا الرقم القياسي ..

كان المساء قد اوشك ان يختم قصة تجواله بالكتب والمجلات القديمة

قديمة تساقط فوقها عرق السنين واتربتها .. ولكنها مفتوحة لكسل ناظر .. يقرأ فيها خلاصة مأساة دولية .. هو عنوانها المكتوب بالخط العريض . نعم انه ليس الا الطفح الجلدي الظاهر لمأساة تاريخية دفينه بدأت بمطامح حقير من رجال التاريخ يدعونه السلطان عبد الحميد كانت له مآرب في ارمينيا .. انتهت بحرب انت على قومه .. ومات فيها ابواه وهو رضيع .. ثم تقاذفته موانئ البحر الاسود والاحمر والابيض . حتى رسا اخيرا في مصر منذ ثلاثين عاما دون ان تدري اي سلطة في العالم .. بوجوده على قيد الحياة ..

وازداد صراخ الجوع المفترس في داخله وهو يجلس على الرصيف . واحس بانياه تدمي جوفه .. وشعر انه يوشك ان يموت من الجوع . وذكره هذا الاحساس ثانية بابيه وامه . فقد حكى له انها ماتا من الجوع ايضا في الحرب الاهلية بين ارمينيا والسلطان عبد الحميد مع ان الناس في مصر يقولون على سبيل الاستحالة : هو احد ييموت من الجوع ؟!

واخيرا قادته خطواته الحيرانية الى سور الازبكية .. للمرة السبعين . فليس امامه الا ان يرجع المجلات للمعلم زغلول .. ويعتذر عن عدم قدرته عن البيع اليوم . معلش .. سيسمع من المعلم كلمات نارية يقذفها في وجهه في نشوة وهو يهين كرامته .. ولكنه سينهب بعد ذلك ليجبث عن طريقة اخرى غير بيع المجلات . للحصول على طلبات الليلة فاحيانا يكون مع حسين ملوخية مايكفي حاجته ويزيد ..

وهكذا اقدم على تنفيذ الفكرة . وامره لله .. وهو يحاول ان يهين نفسه وحواسه لكلمات زغلول ونظراته الوقحة .. ولكن حدث هناك ما لم يكن يتوقعه .

فان نظراته المتعبة وقعت على عنوان ذلك الكتاب الذي كان الدكتور ارتين قد اوصاه مرارا بالبحث عنه . وكلمة من هنا وكلمة من هناك .. استطاع ان يقتلع الكتاب من المعلم بالثلاثة قروش التي كانت كسل مامعه عندئذ .

وحمل الكتاب تحت ابطه مع المجلات .. وهو يحتضنه بحنان امنياته المتواضعة . ان كل امله ان يعطيه الدكتور ارتين خمسة عشر قرشا يحل بها ازمة ليلته .. لقد قال له ارتين كثيرا واصاه مرارا بالبحث عنه .. فهل خمسة عشر قرشا بالشئ الكثير ؟!

ولا يدري كيف وصل الى الاجزخانة بالظاهر قبل ميعاد غلقها . انه لا يذكر . هل ركب الترام ؟؟ ام الاوتوبيس ؟؟ ام حملته قدماء ؟؟ ام طار به امله ؟؟ ذلك مالا يستطيع ان يؤكد .

كل ما يذكره انه عندما وصل .. قدم الكتاب للدكتور بابتسامة ... وتلقفه الدكتور منه بابتسامة ايضا بعد ان فتح عينيه من خلف نظارته السمكية .. ونظر اليه كمن لا يصدق .. ثم فتح درج البنك واخرج له جنبها كاملا .. فالتقطه بنيامين دون كلام . ولكن .. لماذا كان ارتين اللئيم يتشم بمكر ؟؟ لا بد ان الكتاب يساوي لديه اكثر من جنيه ! على اي حال فان بنيامين اسرع بالهرب خارجا من الاجزخانة .. قبل ان يرجع الرجل البخيل في كلامه ..

وكاد عقله ان يطير .. وهو يضع النقود في جيبه لأول مرة . امكدا تهبط الثروة كما يحدث في افلام السينما ؟!

وخرج الى الطريق .. وهو يحس ان الارض تهتز من تحته . كانت الساعة قد قاربت التاسعة مساء .. وكان كل شيء قد تغير في نظره . الهواؤ خف على صدره والانوار اصبحت تتراقص في عينه ..

وازدادت حلاوة النساء لدرجة لم يحس بها من قبل وانقلب كل شيء من امامه الى رقصة مرحة .. كم هي سعادة ان يمتلك المرء كل هذا المبلغ حتى لو لم يفعل به شيئا . يكفي ان يضع يده على الورقة الخضراء حتى تفرق في جيبه ويشعر لهذا بامتلاء وثقة !!

ووضع يديه في جيبه بنظونه .. وسار على مهل في الشوارع الراقمة الاضواء .. وقد انعكس رقصها في سيره المتباطئ . كان يجود بابتسامته على كل شيء .. فقد كان يحس بالحرية تسري في كيانه . وتوقف احاسيسها شامخة .. ان بجيبه جنبها كاملا .. يستطيع ان يفعل به ما يريد . اذا اراد ان يدخل فلن يضطر ان يتشم في وجه ملوخية .. ويقول له في كل جملة ياملوخية بيه .. حتى لا ينساه وهو يخرج من جيبه علبة الهليود .. ولن يضطر ان يقف ذليلا امام فترينة فسؤاد ليعطيه الرجل سيجارتين لودج بالشكك .. فان لديه نقودا .. نقودا اكثر مما يلزمه . وستحقق له الحرية الليلة ..

وسار يمشغ سعادته الجديدة في بطء .. ويشعر لمذاقها بنشوة تتراقص لها كرات الدم في عروقه .

ومرت امامه امرأة جميلة ... اخذ يلتهمها في ثقة من يملك في جيبه عشرة جنيهات .. انها جميلة .. وكل قطعة من جسدها تقنى مقطعا من اغنية حب جميلة ...

ولكن المرأة اخفت في الطريق .. ابتلعها تيار الناس قبل ان يفيق من سماع كلمات الاغنية .. ولكن لم تتج امرأة بعد ذلك من نظراته المتعبدة ..

وخيل اليه ان الجميع يتشمون له ويضحكون في وجهه .. واحس انه قريب منهم كما لم يكن في حياته من قبل .. الا يملك في جيبه جنبها ؟! ... انه متأكد ان بعض الذين يرتدون ثياب الافندية لا يملكون مثل هذا المبلغ . فقد مر عليه من قبل افندية مناظر كثيرون .

وتذكر ملوخية مرة اخرى .. انه يستطيع الان ان يمارس احتقاره له دون خوف .. فهو ليس بحاجة اليه .. فان بجيبه نقودا . ولن يضطر الليلة ان يجلس معه في القهوة ليستمع له وهو يحكي .. في غير قليل من الزهو والتظاهر اخبار مغامرات ماضيه العجيبة منذ ان كان مشغما عند منيره المهدي .. يضي على المسرح بملابسه الخضراء .. وكيف انه كان يمارس اخر كل ليلة اللذة مع زميلاته .. ويعيش كهارون الرشيد ..

ومع انهم يعرفون جيدا ان الحال قد انقلب اخيرا مع ملوخية .. فاصبح ياخذ اللذة في ظلام الليل الى بيوت غيره من الراغبين .. ويعود اليهم وفي جيبه ثمن المشوار .. الا انه يستطيع ان يظهر امامهم بالفروسية والمظلة .. وكل سلاحه في اخضاعهم هي علبة الهليود التي يمر بها عليهم وهو يجلس ليحكي اسطورة ماضيه التي يستر بها تهتك حاضره . ولكنه الليلة لن يضطر الى سماع الاكاذيب .

ولم يدرك وهو يسير مع خواطره في الطرقات - ماذا يفعل بالجنه . كانت به رغبة في ان يحقق به كل ما يملك من المتعة . انه لم يكن يحلم ان تهبط عليه هذه الثروة .. وقد جاءت على غير انتظار .. فلماذا لا ينفقه دون اسف في اي شيء يعود عليه بمتعة لم يكن قد جربها من قبل ؟!

وسال نفسه وهو يسير مختالا : ماذا يريد ؟! ولكنه لم يعرف ماذا كان يريد ! لقد تاه في زحمة الاشياء الجميلة التي يراها في الشوارع الضاحكة .. ونفسه تشير الى كل ما حوله : اريد هذا .. اريد هذه .. ولم يكن قد فقد عقله تماما حتى يظن انه يستطيع ان يلبي كل طلبات نفسه الظائمة بالجنه . حقا انه مبلغ كبير .. ولكن هناك ما هو اكبر

يمارس احساسه العذب بالفرار من اولئك الفجر .. وينشى وقد احس بالحرية . فهنا لا احد يعرفه .. ولن يقيد تصرفاته نظرات ملوخية ... ولن تتربح حركاته ففشات الاعرج .

وسبح لحظات في سعادته الجديدة .. لن يذهب اليوم الى السور ليأخذ مجلات من المعلم زغلول .. ليلف بها ويدور على الزبائن فسي القاهي .. فانه منح نفسه اليوم اجازة من العمل .. كاحسن موظف .. محدش احسن من حد !

ولما احس بانمل من جلسته قام من المقهى بعد ان دفع ثمن الشاي وترك للجرسون بقشيشا جعله يودعه بنظرات تعجب ... وذهول .

ثم سار في الشوارع مرة اخرى .. واحس بالجوع . ولكنه لم يرد ان يأكل اي شيء يقابله كما كان يفعل من قبل ... فانه كان يسأل نفسه : ماذا يأكل ؟! كان يريد ان يأكل شيئا شهيا فان لديه نقودا ... وانه ليستطيع بها ان ينال ما يريد .

واخيرا طرات له فكرة : لماذا لا يأكل كبابا في افخر مطاعم القاهرة ؟! فان بجيبه الان ستين قرشا او يزيد .. ولن يساوى غذاؤه في مطعم الشيمي مثلا اكثر من ثلاثين قرشا بعد دفع البقشيش للجرسون .. كاحسن زبون .

ولكنه عاد فاحجم عن الفكرة . فان هذه الاكلة ستقوض ثروته .. وسيعود شحانا كما كان . وعلى اي حال فان المثل يقول « عشوة ليلسة متقوش بهزيل » . ولكن الرغبة المجنونة عادت تعوي من جديد في داخله . فان متعته التي يبحث عنها ليست في الطعام في حد ذاته .. بل في الجلوس في المظم .. مثل باقي الزبائن المحترمين .. واستنشاق طعم المكان النظيف .. ورؤيته لاصحاب الوجوه النظيفة وهم يأكلون طعامهم في هدوء وهمس .

كان يريد ان يجرب هذه السعادة ولو لمرة واحدة .. والا فما فائدة النقود التي بجيبه والتي حصل عليها دون توقع ؟! ربما لن تتاح له فرصة اخرى . قد يقولون عنه بعد ان يعود اليهم مقلسا كما كان : افرع ونزهي .. ولكن لا يهم كل هذا بجوار ما سيحصل عليه من متعة التجربة .

ومرت ساعة .. اخذ يناقش فيها المسألة بكل احتمالاتها .. وقيمة الستين قرشا الباقية في جيبه تتضاءل .. وتلاشى كالسنة البخار بجوار النشوة التي اخذ يتوقها من ممارسة حقه في دخول المظم الفاخر .. كاي جنتلمان يصطحب حبيبته او زوجته الى ذلك المكان .. فانه سيصطحب الى هناك حرمان خمسين عاما .. وستنوب مع اللقيحات الدسمة كل مرارة ايامه المزقة .

واحس قليلا قليلا انه يصعد فوق قمة جبل من النشوة .. تاركها من وراء كل ما كان يعلق بخاطره منذ لحظات من خوف على ضياع بقية ما معه من نقود ليعود شحانا كما كان . واحس انه قريب من القمة فالظم على بعد خطوات من موقعه .. والنقود بجيبه .. وليس امامه الا ان يتقدم خطوة فخطوة .. حتى يجد نفسه جالسا في المظم يوزع على الجالس من امامه وبجواره نظرات تعارف يملؤها الاحساس بمشاركة الطعام .. الفة وزمالة واخوة .. والجرسون في ملابسه البيضاء ووجهه الاسمر اللامع ينحني له في احترام ليسأله وهو يتنسم عما يريد من طعام حتى تظهر اسنانه البيضاء كنجوم منيرة في ليل وجهه الاسمر . وتقدم .. واخذ يرفع قدميه وهو يملأ صدره بانفاس واثقة .. فقد اصبح قريبا من تحقيق هدفه ، ليس امامه الا ان ينحني يمينا في

من الجنيه . فكان عليه ان يختار من بين الرغبات اوفقها واحلاها . وبحث عن الجوع الذي كان يستبد بامعائه منذ ساعة .. ولكنه لم يجده . كان يشعر بامتلاء وزهد في الطعام لم يالفه من قبل . وهكذا ظل يسير ثلاث ساعات دون ان يتحرك الجنيه من موضعه في جيبه !! . واخيرا وجد نفسه في قهوة فؤاد . واعطى بائع السجائر ما عليه من دين .. واخذ علبة جولد صغيرة .. كما اعطى بائع البسطة التسعة فروش التي كان يدينه بها .. ثم شرب الشاي .. ودخن سيجارتين .. ومع ذلك بقي معه ما يزيد عن الثمانين قرشا وعلبة سجائر بها سبعسة سيجارات . واخيرا قادته قدماءه .. بحكم العادة .. الى لوكاندة السعادة .. وهناك ظل يتقلب طول الليل من القلق والخوف من ان يقوم ملوخية .. ابن اللثيمة .. بالليل ويسرق شيئا من ثروته الطائلة .

الى ان سمع قيقاب المعلم دسوقي صاحب اللوكنדה يزار في ظلام السلم متجها الى دورة المياه .. فعرف ان الفجر قد اقبل . واحس بكره غامض للمعلم .. الرجل الخسيس .. الذي يعمر .. رغم كل شيء ان يفتتح اليوم بالصلاة ... وتمتمة آيات قرآنية .

ثم سمع خشب السلم المتأكل يئن تحت وقع خطبات قيقاب المعلم التي يتحرك معها بدنه الضخم . واحس بنيامين بانين السلم يؤله .. ويهيب به ان يسرع خارجا من هذه المقبرة .. ولا يرى وجه احد .. وقبل ان يتبادل بسمع صوت دسوقي الكريه وهو يبدأ حملة الزعيق .. وقبل ان يتبادل الشناتم مع الزبائن الساخطين لانه بعد ان يتوضأ يقلل محبس الحنفة حتى لا تنزف الاقطرات .. كأنها دمه يوجد عليهم في سخاء حامي . فاذا احتد معه احدهم فانه يقول في غطرسة وثقة :

— اللي مش عاجبه يوريني عرض كنافه .. وميجيش ثاني

فانه متأكد من مجيئهم ثانيا وثالثا !

ولماذا ينتظر حتى يلتحم مع دسوقي في خناقة قد يستفحل امرها اليوم .. فانه لن يقدر ان يصبر على وقاحة المعلم . ان في جيبه نقودا .. فلماذا يحتمل اهانة هذا الرجل الخسيس ؟! . وهو ايضا يريد ان يهرب بجلده قبل ان تصحو فرقة الغتاب .. وتلتف حوله .. وتبدو عليه مظاهر الثراء .. ولا يستطيع الافلات منهم سالما . وفوق هذا فانه يريد ان يعرف كيف يستقبل الصباح من يملك ثمن افطاره !!

وعندما تغطي الصباح باشمته من خلال النافذة بعد قليل .. صعد بلية الى الغرفة وصاح بصوته الذي يستمد قوته من غطرسة المعلم دسوقي وفظاظته في بقية النائمين .. فاضطروا على مضض الى القيام . وفرك ملوخية عينيه المتفتختين في تناؤب وهو ينظر بجواره الى فراش بنيامين . فلما لم يجده طار النوم تماما من رأسه وفاق .. فسأل عبسده عنه في صوت يختلط فيه القلق بالخوف والرغبة في التدخين . فاجابه عبده في ملل .. ونظراته تلعن الصباح الذي يضطره للقيام :

— محدش حس بيه الليلة

— يكونشى داسه اتومبيل يا وله ..

— واللاخدوه تحرى ...

— مين عارف ؟!

وعند دورة المياه اصبح بنيامين حديث الكل . انهم لم يحسوا به الليلة الماضية .. والواد بلية يؤكد ان شغيره البركاني كان سيهدم سقف اللوكاندة .. ورجحوا ان يكون عسكري الطوف قد اخذه تحري وهو يعود بالليل الى اللوكاندة ..

ولكن بنيامين عندئذ كان يجلس في مقهى بسوق التوفيقية وهو

الشارع المقبل .. ويسير بضع خطوات حتى يصل الى كشك السجائر الذي هناك .. ويجد نفسه امام المطعم يدعو في ترحاب .. وما ان يدفع الباب دفعة بسيطة حتى يسرع الجرسون الذي يقف بالخارج ليكمل فتحه له .. ويقوده في ادب واحترام الى احدى الموائد الخالية ... ولن ينسى ان يكافئه ببقيش لا بأس به

وبعد لحظات كان قد وصل الى كشك السجائر .. وظهر المطعم الانيق في الضفة المقابلة من الطريق يزهو باناقته .. وابوابه الزجاجية .. ولم تستطع العربات التي كانت تمرق في انسياب ان تمنع عينيها عن رؤية بعض ما بدا بداخل المطعم.

فعلى المائدة القريبة من النافذة الزجاجية كان يجلس شاب مع حبيبته .. بأكلان في ابتسام .. كانت هي تمضغ اللقيمات في تدوق هادي .. وعيناها تنظران الى الطبق في خجل .. وكانت نظراته هو تمضغ جمالها الخجول في نشوة سعيدة .. كانا فوق قمة الجبل ، لا يشعرا الا بسعادتهما .. وتمنى لهما بنيامين مزيدا من السعادة .

واستطاع ايضا ان يرى الجرسون .. بحزامه الاخضر .. يسير بين الموائد كرافص رشيق حاملا الاطباق الشهية للجالسين في انتظار ..

رأى وهو يقف مكانه في الضفة المقابلة .. حارس الباب ينحني لاحد الزبائن وهو يخرج بعد ان يضع في يده ورقة نقدية .. وانساب السى اذنيه لحن جميل .. من فتحة الباب .. فالموسيقى تعزف اذن داخل المطعم. ثم بدأ يعبر الطريق .. الخطوة الباقية التي تصعد به فوق قمة الجبل .. واللحن الجميل ينساب من اعماقه .

وكانت نظراته مشدودة الى الباب الزجاجي .. وحواسه كلها مركزة في فتحته الصغيرة .. الفتحة التي سيمرّق منها بعد لحظات الى النشوة المنتظرة .. وكلما تقدم خطوة ازداد اللحن في اعماقه اضطرابا وصخباً .. فقد بدأت تتفصح له نظرات الجرسون الاسمر .. وهو يقف بالسباب كحارس عنيد للجنة .

وفجأة وجد نفسه فوق الرصيف .. امام المطعم .. واللحن في اعماقه قد بلغ قمة من الصخب توشك على الانفجار .. اما الحارس .. فقد رمقه بنظرة وقحة .. وشخط فيه .. وهو ينظر الى حذائه الممزق الملطخ بالطين :

- متحاسب يا اخينا .. وسخت البلاط . وفي غمار الصدمة لم يعرف بنيامين كيف يجيب .. شلت احاسيسه كلها .. واحس انه يهوي في بئر من الصمت المظلم . فلما رجسه الجرسون يتحرك نحو الباب مد ذراعه ليقفقه :

- حيلك .. مقلنا حاسب .. عاوز ايه ؟! اتحرك بالوح . وازداد ارتباك بنيامين . ابعد هذا الاستقبال الكريم يستطيع ان يروح للجرسون برغبته في دخول المطعم .. وممارسة حقه في الاكل .. كاي ذبون من الجالسين في جيبه نقود ؟!

وود بنيامين في تلك اللحظة لو استطاع ان يجيب على سبيل الاسئلة الذي كان يهفمه به الجرسون الالامع الوجه .. فانه في صمته المرتبك اخذ ينظر فيما حوله .. واستطاع ان يرى صورته في زجاج الباب .

لاول مرة منذ وضع النقود بجيبه بالامس ينظر الى مظهره الخارجي .. لحيته الطويلة وبنتلونه الكالج المتسخ .. وحذائه المبرقش بالطين والارربة .. وابتسامته الممزقة تملو ما على وجهه من صدا وبذل ان يصعد فوق قمة الجبل .. احس انه يهوي في قاع البئر المظلم . فقد سمع الجرسون يقول له لما راه صامتا كالجماد :

- انا عارف بتتحذفوا علينا من اين ؟!

ثم نادى بصوته النحاد على زميل له بالداخل :

- ياعثمان .. شوف لقمة للجدع ده خليه ينجر .

واحس بنيامين بالكلمات القاسية كسكين حادة تذبح كبرياءه . ولم يستطع ان يصبر اكثر من هذا . فصاح في الجرسون .. ولكنه لايعرف ماذا قال ..

ثم انسحب عائدا يتوارى من الخجل الى الذي اخذ يسمم لحظاته المخبئة . واستطاع ان يلوح المرأة الخجولة .. وقد تخلت عن خجلها الان .. تنظر اليه في ابتسامة وقحة . ساخرة من منظره .. وشفتاهما تتمتمان خلف زجاج النافذة بكلمات لايسمها . واحس بالرغبة في ان يصق على شيء .

وفي طريق العودة ... شعر انه متعب النفس .. وانه ضائع ووحيد . ومنذ الليلة الماضية لم يشعر بهذا الشوق الجارف الى ملوخية وبقيّة الاصدقاء . فاولئك لن ينظروا في سخريه منه ومن منظره الكالج .. فانهم ينظرون بقلوبهم ..

كان منذ الصباح يهرب منهم ويظن انه يستطيع ان يصعد من نطاقهم الى قمة الجبل ... وها هو يعود الان وقد ادرك شيئا اخر .. لابد ان يصعدوا معا .

وانحنى في الشارع الجانبي القريب من اللوكاندة .. عند مسمط الامراء .. واشترى من البائع مقدارا كبيرا من محمة الرأس .. حرص على ان تكون كافية للمجموعة كلها .. فانه سيولم لهم وليمة .. وليمة العودة .

ولما راوه يعود حاملا بين يديه هذه الثروة من الطعام .. استقبلوه بلذعاتهم الحادة وقال له ملوخية وهو يضربه على كتفه :

- ازيك يا بنيامين ...

ولاحقه عبسه :

- يخرب بيتك .. افترناهم خدوك تحري زي المرة اللي فاتت ..

ثم قال ملوخية دون ان ينتظر جواب بنيامين :

- معاكش سيجارة بقي ؟!

فاجاب بنيامين كمن يفيق :

- ازيك يا ملوخ .. انا بدور عليك من الصبح .. هوا انا اقدر

اعيش من غيرك .. معاي سيجارة ونص .

ولم تؤله هذه المرة كلماتهم وفشاتهم المريرة .. كان يشعر بها كبلمس يحس على جرح عميق في كبريائه .. على دمل ..

فتحي زكي

القاهرة

صدر حديثا

القومية والانسانية

للدكتور عبدالله عبدالدائم

(طبعة ثانية)

دار الاداب - بيروت

الجليل هذي انصر..

في الاساطير المصرية ، ان (سيت) شيطان الليل ، قتل (راع) اله الشمس ، وبعثر
جثته .. فقامت زوجته (ايزيس) وبعثته من الموت باسم (اوزيريس) بمساعدة بعض الالهة ،
وبينهما (هوروس) ، ولدهما ..

تنائري ..! تنائري خصل! (✱)
يا كومة مثلوجة من اللهب !!
وللمي القبل ،
والنور والامل ،
عن كل عين وشفه ،
عن سوسن أرهقه ونتفه ،
مخلب الغزل !!!
تنائري .. واساقطي شظايا ،
على دروب كلها جماجم ،
وكلها خطايا ،
وكلها دم ،
يلعنها الفم ،
ويبتغيها جاهل وظالم
يتيه في جمودها وعقمها ،
(سيت) اللئيم اللائم ..
انهمري ..! انهمري ..!
يا زورقا مناقبيا طار بالاهرام صوب
شعلة ،
ترعرع النيل على ضفافها ،
وفجر العطاء من جفافها ،
(✱) قيلت هذه القصيدة على اثر احراق
كتاب لي في الصيف الماضي

فأينعت في حضنها الزنايق ،
ونبتت مزارع الغداء ، والشرانق !!
*
... وناسك مغامر مراهق ،
تلمع فوق جيده ،
تمائم من الخرز
درزها ، درزها ، درز !!
حروفها الفستق وأكرز ،
وشدوها الرجز !
له الخلود هيكل
تنسفه المعاول
له البقاء تبنه
ترشفها الانامل ..!
تهالكي ..!
وكفني السفوح بالسأم
وسريلي الاكسم
بالليل والصقيع والالم !
ويتمي الجمال والنبوغ في بلادنا ..
وحولها
نمجدي .. خالدة انت على الحقب
اسطورة بطلها شيطان !
من فكره الجمود ،

وقلبه الحقود ،
وروحه الجبان ،
نسجها الشيطان !!
يا (سيت) يا خفاش ،
يا عاهل الركود والفراغ والدجى ،
ألمك الضوء ؟
وراعك الدفء ؟!
فسرت في قافلة الاقزام ،
في موكب الضئال والصعالك ،
في موكب اللثام
لتدحروا مملكة الممالك ،
يحدوكم اليباس ،
والعقم والنعاس ،
والهول والرعب
فانعدم الخصب ،
والخير والجمال والحب ،
وذبل الزنبق ،
والفل والنسر والحبق !
وانتصر الركب
والموت والحقد ،
والليل والبرد !!
*
يلوح لي من البعيد غيمة ،

مهیضة الجناح ،

شاحبة الضلوع والجراح ،

مفروشة على فؤاد شاعر ،

مخمش المحاجر !!

المح فيها نغما سلاحفيا

مثقل اللحون بالاسى وبالشرود والنواج

تقول : - ها اشراقة العصور ،

وحلم النسور ،

ورائد الاجيال في انطلاقها وزحفها ،

وناشر السناء ،

وباعث الضياء ،

كان .. فلم يداس ، لم تدأس عزته !!؟

تململت (ايزيس) في فراشها ،

فراشها الوثير

يغمرها السوسن والحرير ،

والماس ، والياقوت ، والزمرد !!

تململت واجهشت ..

- يا (راع) يا حبيب ،

يا مشعل الحرية الخصيب !

يا امسنا المجبول بالفداء ،

ويومنا المفرق في الابداع ، في العطاء ،

يا غدنا المثقل بالرجاء ،

يا (راع) يا الهنا

لنا الغد ، لنا الغد ، لنا الغد !! -

ارجوحة الشموس قد ترمدت ،

ونضب العبير والرواء ،

وغافل الذبول في القمر !

وانطفأ الزهر !

وخيم البكاء !!

وبعثروا جثته .. جثة (راع) بعثروا

شرائحا .. شرائحا !

فمزقت (ايزيس) ،

فسطانها النفيس ،

ونتفت فراشها .. فراشها الوثير ،

والماس والياقوت والحرير !

وانطلقت ، وانطلقت سلالم الدموع ،

مخمورة تلهث في خشوع :

- (هوروس) يا (هوروس) !

هوروس يا بني ،

هوروس يا اله ، يا بطل

يا رب ، يا نبي -

تطايير الشرر ،

من قلبه الاغر ،

وزمجر الاله وامثل ،

وامتشق المنجل !! ..

وانتشرت مواكب العمالقة

تعدو فرادى وزهر ،

على الذري وفي الحفر ،

على الروابي ، والتلال ، والسواقي ،

وبالبحار ، والشجر !!

وحصدت سنابل الركود ، والفراغ ،

والدجى

وللملمت ، وضمدت جراح جيفة

مجرورة على الثرى ،

قد رسمت صحائفها واسطرا ،

وحفرت خنادق .. خنادق !!

وزحفت مواكب العمالقة

وكسرت منابر العبران ، والمشائقا .

ونفتت طلاسما .. طلاسما !

فانبثق الربيع ،

وانملع الصقيع ،

وانبعث العملاق (اوزيريس) ،

كانه العريس !

وبعث الضياء والقمر !

وبعث الزهر ،

لانه القضاء والقدر ،

لانه الاله !!!

★

يا (راع) يا اله ،

يا مرضع الحياه !

يا (راع) يا رفيق ، يا رفيقنا

في حومة الرماد

في كل يوم قلم شهيد ،

وجبهة ومعركة !!

والم ، وامل ، جديد ،

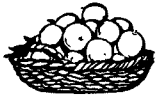
ونهبضة وفذلكه !!

لنبعث انتصارنا الكبير ،

وفجرنا الكبير ،

في غدنا الكبير !!

نجيب طالب



الخبز والكآبة

بقلم
محيي الدين صبيحي

معه ما يدفعه لاهله . وتلك هي المسألة في مجتمعنا . إذا احللت أزمة العمل برزب أزمة الجنس ، والاسنان في بلدنا خالص على الدوام لهذين الحافزين الفطريين ، وهو لا يفصل الحب عن الجنس ، كما أنه لا يستطيع إلا أن يحب ، فإذا فقد الحبيب المشتهى فليعشق تمثالا من الجص :

« محبوبتي تمثال مصنوع من الشمع أو من الجص ، إنها فتاة رائعة تقف باستحياء في واجهة محل لبيع الملابس النسائية ، وكم ياسرني في هذا التعبير الغامض الذي يظل وجهها الشاحب ، والذي هو مزيج من الوداعة والكآبة العميقة » ثم يناجي التمثال :

« - أنا حزين يا سوزي .

« - لا شيء في الحياة يستحق أن تحزن من أجله .

« - إن أحبك يا سوزي .

« - الحب حماقة كبرى ! »

أيه سخرية ولهفه ، في أن يحب الإنسان تمثالا من الجص ؟ .. ولو تعمقنا السطور ألا نراه يصف أثر النساء في بلدنا ؟ ألسن تمنيل من الجص ، في وجوههن تعبير غامض هو مزيج من الوداعة والكآبة ؟ ولو أنه التقى بالاحياء ، فهل تكون حاله أحسن ؟ ذلك ما يعرضه علينا في قصة « الصيف » حيث تستسلم له فتاته في غرفته .. وحين تصحو من غفلتها ، تطالبه بالزواج وتذهب ، حين يبعى وحيدا يتمطى في ذهنه سؤال عطاف : « متى نتزوج ؟ »

« أنا أشعر بالنفور من هذا السؤال ، فقد استسلمت لي ، وما هي طالب بالثمن : الزواج .

« أن كل ما في مدينتي له ثمن معين .. لا أحد يعطي شيئا دون مقابل . »

وهو بعد أن أعطى المومس كل ما في جيبه ، قال لنفسه : « ما أنعس حياتي .. لقد سئمت منها .. وفي يوم ما ساذبح قلبي المعتوه الذي يعيش هذه المدينة البخيلة » فقصته مع المدينة قصة قديمة . وهو يحملها مسئولية جوعه وكآبته .. وقد هرب منها بعد أن ترك المومس تلك وهو خالي الجيوب .. هرب من المدينة ، إلى « مدينة شنتق الجوع والكآبة والضجر ... لا تاريخ لها ، وأيامها تمر بلا أسماء . » حيث يجد السعادة في الكسل وفي حب امرأة . ومنذ هذه القصة يبدأ العالم الخارجي بالشحوب ، وتنمو أعماق البطل وتتخضم ، عارضة علينا كل انطباعات تجاه الحوادث . أن الأمور تخضع للضغط الذاتي فتبدو من خلال نفسية البطل متلاحمة مغلقة بالرمز . وهو بذلك من أوائل القصاصين العرب الذين يقدمون لنا الوجود ضمن إطار نفسي ، لا مفتعلا في ذلك لغة معقدة ولا هاربا إلى مجردات تفحمها ثقافته إلى النص ، مثل الذي نراه في

مثل قطار متآكل الخشب (١) .. يحمل صغيره الأبلح كل رغباتنا ونزوات الشباب في عروقنا .. تنحدر أقاصيص زكريا تامر إلى أعماق واقعنا النفسي بكل جوعه إلى الطمأنينة المادية والروحية . أنه تعبير عن تعبنا وفرارنا إلى الحلم اليقظان والحلم المخدر تحت سياط الحاجة اللاهبة إلى الخبز وإلى الحب .. وقد ولد قصاصنا وفي فمه هذا السؤال : « هل يمكن أن نعيش بلا حب ولا خبز ؟ » ذلك ما يجيبنا عليه زكريا في إحدى بواكيره « المسرات الصغيرة » :

« اني احب الجلوس في هذا المقهى المنزوي ذي المشروب الرخيص .. فهنا يحلو لي أن اغضض عيني نصف اغماضة ثم انصت إلى الصخب المتصاعد من حولي .. رنين الفرد المتدحرج على سطح الخشب الصاعد ، صيحات اغنية مناسبة من المديح ، ضحكات ، كلمات تصل إلى مسمعي متبشرة :

- اسكت متى أصبحت تفهم في السياسة .

- ليتنا نستطيع أن نعيش بدون خبز .

- كل النساء مومسات . »

ففي هذا الحوار الذي يصدر عن اشخاص مجهولين تتناثر مشاكل شبابنا : فليس من شيء أكيد في عالم السياسة ، وخبزنا اليومي مهدد بالانقطاع .. أما المرأة فهي علة العلل في حياتنا الصخرية .. نعرفها شبحا في السينما ومومسا في غرفة معتمة . والحب ؟ انه كآبة العمر !

أن الخبز يرمي البطل في ذل واستسلام :

« ليس هناك ما أشكو منه . اني مستسلم إلى طمأنينة تكاد أن تكون بلاذة .. فانا أحشو معدني في النهار ثلاث مرات من خبز ابي .. واعتصر من امي النقود التي احتاجها لشراء سجائر . » وفي قصة « الليل في المدينة » يقول : « انني افكر احيانا بنشر اعلان في الصحف بهذا الشكل :

« شاب للبيع ، عمره خمسة وعشرون عاما ، قوي الجسم ، يقوم بأي عمل ، والثمن تأمين طعام يومي له . » لكنه لا يستطيع فالاعلان يكلف مالا !

او يتجسد بؤس أسرته في نفسه فيناجي قطنه : « كلي يا قطني ..

ان امي تصرخ في وجهك دوما : لا تجوعي معنا يا بلهاء . »

وتترابط في حياته أزمة الشهوة والخبز ، على نحو ما تطرحها قصة « التثاؤب » حيث يدفع لاحدى المومسات اجره الاسبوعي بدافع من الشفقة والشهوة ، فلا يبقى

(٢) تأخر نشر هذا المقال ، وقد وصلنا قبل مقال الكاتب الذي يودع به الادب ، والذي نشر في العدد الماضي . ونأمل ان يعود الكاتب عن موقفه السلبي وان يواصل انتاجه ، فهذا وحده يزيل كثيرا من عقبات الحياة - « الاداب »

سطور مطاع صفدي .

وقد بدأ زكريا اتجاهه هذا بقصة من احسن القصص التي ظهرت منذ ثلاث سنوات ، ان قصة « الرجل الزنجي » ردت الى الشخص الآخر الذي يكمن في نفس كل مناه الشخص الآخر الذي لا يخضع للقيود الاجتماعية ، الى عرض الحياة الداخلية بلا طلاء في ستة مشاهد تمثل مختلف انواع الحياة اليومية ، في الشارع وفي المقهى ، ومع امرأة ، وفي العمل حيث يطرد ويعود الى الشارع منسكعا يرافقه احساس طازج بفورة الحياة في دمه : « .. وتسري في الهواء نبرة جافة ، فيلتصق وجهي بالتراب الخشن الذي له رائحة جسد انثوي .. ويهتف الرجل الزنجي ..

- الارض .. كم احبها .

وانمنى في تلك اللحظة لو تهطل امطار عجيبة تفقدني صلابتي فانحول الى سائل تتجرعه الارض بشوق .. »
بتلك الامنة تنتهي قصة رجل اخلص لنفسه ، فعاش في مأساة دائمة : ضحك منه عاشقان ، خنقته المقاهي ، أغوى حبيبته بعد ان خطبها غيره ، طرد من عمله وعاش وحيدا يفني انشودة الكآبة . وفي القصة التي تلتها ، ياتي الى المقهى ذات البطل المتعطل ، وقد انفصل عن العالم وانكره الناس حتى استحال اي تفاهم بينه وبينهم :

« قلت : انا ولدت في سنة ١٩٢١ .. امي لم تمت بعد .. العالم كله كئيب - قال : آه ما اجمل كلمة فخذ .

- قلت : ليتني كنت غرابا . »

ذلك النموذج من حوار يدور بين البطل وصديقه . كل مشغول بنفسه عن صاحبه ، وليس في الحديث فسحة لكلمة عزاء يتبادلها صديقان . وهو حين يترك المقهى ويعود الى « القبو » الذي يسكن فيه يسأل امه :

« - هل سأل عني احد ؟

« فاجابت ببرود : لم يسأل عنك احد .

« فامتلكني خيبة مريرة .. واحسست بانني من اشد المخلوقات بؤسا . ولم أستطع البكاء لان عيني امي كانتا تراقبانني بفصول ، فقصدت الارحاض . وهناك اسندت خدي الى جداره الخشن الوسخ وانتجبت طويلا دون خجل . »

انه ادرك الان كم اصبح معزولا عن الاحياء .. ومع ذلك فلم يستأنس بامه بل صنفها في عالم الآخرين الذين نسوه ، واصبح قلقها ولهفتها رقابة يفر منها . اما المرحاض فهو رمز لما تردت اليه حياته من العزلة النتنة والبطالة واليأس . وهو قد اسند راسه الى الجدار لانه لم يجد صدرا يستكين له .. لقد بكى مصيره الخالي من اي عزاء . ان وحدته تثقل عليه . لقد صلبه العالم وها هو وحده لا يجد مأوى يخلو به الى نفسه . وهو يعيش بلا امل : « اني اعيش في هذا القبو .. العالم يحثم فوقى .. اني سأظل حتى النهاية في قعر المدينة » ثم يتقيأ ويفشى عليه .. فيحلم بامرأة تثيره برقصها ، لكن الناس يفسدون عليه حتى الحلم ، اذ يشنقونه بتهمة انه قتل اباه .. وتلك نقمة اوديبية . في القصص الماضية كان الحلم يحمل كل التفاؤل والعالم الجميل الذي يتمناه كل شاب ، وفي القصة الماضية « القبو »

بدا اليأس يتسلل الى الحام . في الحلم كان يشعر بالحب واللذة والكرامة . لقد فقد الحلم « تفعته .. فأية منجاة له في الارض ؟ واذن فلينتحر . وهو منذ قصته الاولى « المرات الصغيرة » يقدم بطله مفكرا بالانتحار ، وكلما ازداد عزمه نما احساسه بنفسه حتى ليكاد ان يصيح في الناس ، ناكيدا لاهمية : « اني سأموت .. هل تعرفون معنى هذا ؟ » لكن حقه على العالم ليس اعمى : « اجلت النهاية حتى مقدم الربيع .. اني احب الشتاء واريد ان اتمتع بمباهجه ، ثم بعد ذلك لتأت النهاية الباكية . » اما في قصة « صهيل الجواد الابيض » فانه لا يؤجل المشروع لانه استعرض ماضيه وحاضره وابقن انه بلا مستقبل :

ماضيه « كان لك فتاة ، مدينة افراح ولذة ، سلبت منك .. »

حاضره « ها انت الان سكير .. شارع مقفر .. طين متراكم .. وحيد ككلب الاسواق الاجرب .. »

مستقبله « ستنهض في الصباح لحظة معينة .. ستمطى وتتأوب بتكاسل . ستفشل وجهك وتمشط شعرك وترندي ثيابك .. ستبصق ، تكهرم مهترى ، وانت تسير في شارع مقفود بشمس النهار الجديد .. ثم سيدفكك العمل في احشائه الشرسة »

واكد عزمه على الانتحار ادراكه لعيشية الطاليب : « لماذا لا اموت ... ماذا سأفعل لو كنت املك مدنا من ذهب .. لو احببتي اجمل امرأة ... ماذا سأفعل ؟ افنني ساحق في لمة حنائي الجديد واقول بضجر :

- اوه كل الاشياء تافهة وغبية . »

وبذلك رفض ما لن يحصل عليه قط . رفض حتى الافتراض ... وفي القصص السابقة كان العالم يلفظه لكن الحياة تحتضنه .. كانت رائحة التراب المندى ، وخيال حبيبة ، او حديث من صديق تعيد اليه الحياة . اما الان فقد رفض الحياة - ما عرفه منها ومالم يعرفه - ثم غادرها على صهوة جواد ابيض . ويمكن ان نعد هذه القصة وسابقتها تقطعتي تحول في اسلوب القصص وطريقة عرضه . كان عالم الحلم عنده منفصلا بعض الشيء عن عالم اليقظة ، وكنا نحس بانتقال البطل بين العالمين . اما في القصص التالية فاننا نعيش في عالم من الرموز بين الحقيقة والخيال ، مما يذكرنا بأسلوب توفيق الحكيم في مسرحية « شهراد » ان القصة الماضية مترابطة ومسلسلة وذات بطل واحد وجو واحد ومشاكل متشابهة ومواقف تتطور بتدرج بطيء في مجابهة مطالب الجنس والخبز والحب ، حتى يمكننا القول انها فصول من رواية واحدة وان كان لكل فصل فنيته واستقلاله ، ومما يؤكد رايانا ان البطل الذي ينتحر في القصة الماضية يبعث من جديد في القصة التي بعدها ، ويبعث من القبر :

« ولقد اطعمت لحمي وذكرياتي واحلامي الهرمة لغربان سوداء حومت فوقى في نهار شمس بارد هزيلة ، وساعاتها كلها مدفونة تحت الرماد المنهمر من جرح رجل بائس مصلوب وسط صخب مدينة كبيرة . وتعاقبت علي الاعوام الكثيرة وانا راقد على ظهري بدون فرح او كآبة .. احلق ببلاهة في عتمة موحشة .. وتسرب الي في احدى الليالي ضياء القمر من ثغرة في سقف قبري . »
تري اليس هناك صلة بين الانتحار والبعث من القبر

الحياة . والعصاة - بل ان انتاج زكريا تامل لله . يصور واقع حياة الفردية والاجتماعية بدل ما فيها من جوع ويس وحرمات وببت وعاطفه ديبحه وفق فكري وشعوري . ان سبانا محفوفون بالف قيد وفيد . وان القمر والتقاليد ومسوه الحياه تحيل الشاب الى انسان ميت الاحساس ووحس مقترس في ان واحد ، بينما تتحول الفشه الى مومس تترك من حب وتبيع جسدها لمن يدفع التمن مهرا عاليا .

ان زكريا هو الفنان الوحيد الذي يتعد واقعنا بمسوه دون ان يتحول نغده الى خطابات وتعارير ... واقول « الفنان الوحيد » في العصاة القصيره بعد ان ظهرت تباير تحول العجيلي الى تنابه الروايه . . وليس دنب زكريا ان قصته ، كما نقول نازك الملائكة : « قصه لا شيء فيها غير الرعب والعدا والشر والجريمة . ما من نبضه طيبه تخفق ، ما من ابتسامه ، ما من خفقه حب ، فمن اين جاءنا زكريا تامل بدل هذا لا واين مثل هذا في حياتنا العربيه ؟ » وانني لاسال الشاعر . وما حاجتنا الى الثورة والوحده لو لم تكن كل هذه الامور موجوده فعلا في واقعنا العربي ؟ ان فضح هذا الواقع واجب اخلاقي على كل فنان عربي . . ليس كذلك يا من نظمت « غسلا للعار » ؟

ولعل الشاعر ارادت ان تفرض موقفا حين كتبت : « والرجل الذي تتحول حبيبته الى مومس لا يمكن ان يبكيها في مقهى ، وانما يغلب ان يقتلها قتله شنيعه » ان الرجل الذي يقتل هو الرجل المتوحش وليس الرجل الذي يملك ضميرا ولا وعيا . ان وعي البطل لا يدفعه الى الجريمة لانه يعرف الاسباب الاقتصادية والتقاليد الاجتماعية التي حولت حبيبته الى مومس . والمومس هنا كل فتاة تترك من تحب وتتزوج من تكره في سبيل المال . وهذا ما يجعل زكريا مبشرا باخلاق جديدة في جيل جديد . اما ان العامل يخاطب الزغيف قائلا له : « يا عاري الكبير » فلان كل فرد في المجتمع - وليس العامل وحده - يشعر بثقل الأوضاع الاقتصادية وقسوتها . . . وليس القاص مسؤولا عن ايضاح اثر الاستعمار في ذلك .

ان الجيل الجديد شديد الوعي لحاجاته الاساسية : الخبز والحب ، وهو يشعر بصعوبة تحصيل الخبز فيحارب على جبهتين : في الخارج ضد الأعداء وفي الداخل عن طريق البؤس ، في سبيل ايجاد ضمانات اجتماعية . . وكل دعوة نقدية الى اسكات الاصوات الفاضحة هي دعوة مكارثية الى كم الافواه . . اما عن الحب فان الجيل يعلم تمام العلم ان التقاليد والتحرير الديني هما اساس هذا الخلق العاطفي ، لذلك يثور ضدهما يصيح « فليسقط ابي - لانه رمز التقاليد - ولتعش امرأة جارنا - لان عندها ما نحتاج - » . ومثل هذه الصيحة لا تصدر الا عن شبان عاشوا في مجتمع عربي رجعي حرمهم من حقوقهم الطبيعية . . وان علينا ان نناضل في سبيل الحرية الاجتماعية ، بمثل الضراوة التي ناضلنا بها في سبيل الحرية السياسية .

محي الدين صبحي

دعا

في فستين متتائيتين ؟ واذا كان هناك صلة ما فهل يكون الانتحار نابوسا من مشاغل الحياة يغيب الوعي تحت وطائه ويعيش الانسان في حاله لا مبالاة لا قد يكون هذا التساؤل صحيحا ، اذا تابعنا بقية قصة « ابتسم يا وجهها المتعب » التي نقلنا مطلعها آنفا .

يعود البطل من فبره الى البيت فتذكره امه واخوته ، صانحين : « اذهب عنا يا مجنون » وفي الشارع يمر باحد المطاعم فينبثق جوعه حملقا في الماكل حتى يساله احدهم : « انت جائع ؟ »

« انا بلا نقود . »

« اتبعني »

ولكن هذا المنفذ لا يخلصه من الجوع الا بعد ان يشترط عليه قتل امرأة . وبعد الجريمة يذهب الى المطعم حيث يستطيع الادل ، ويجري بينه وبين الجرسون هذا الحوار : « اللحم لذيق جدا . »

« هذا مطعم للاغنياء . . وهو لا يقدم الا افخر الاطعمة . . . اللحم

الذي اكلته لحم انسان بدين

« فتساءلت بصوت خفيض اجوف :

« - لحم انسان ؟ »

« واندفعت خارج المطعم ، وفي زاوية من زوايا الشارع حاولت ان

انخلص من الفئان بان اتفيا فلم انجح . . وسرت بغطي مهتاجة وانا اردد :

لحم انسان . . لحم انسان . . »

ومن الواضح انه ليس بإمكاننا فهم هذه القصة الا اذا اعتبرناها رمزية وان انبعاثه رمز لخلاصه من كابوس التبلد ، وان الانسان لا يمكن ان ينقذ نفسه في مدينة ليس في قوانينها ضمانات . . . لا ينقذ نفسه الا بقتل الآخرين . . اي بمزاحمتهم على خبزهم . . وانه اذا آذى احدا في سبيل عيشه فان ضميره سوف يظل يؤنبه وينغص عليه حياته . . ويؤكد ذلك ان الندل يقول للبطل : هذا المطعم للاغنياء . ومن المعلوم ان الاغنياء يأكلون من لحوم الناس ولو بشكل غير مباشر . وهو يختم القصة بسيل - من الرموز توحى بان المدينة في نظره « مومس عجوز ذات وجه شاحب لا يعرف الابتسام » وبان القمر الذي ابصر شعاعه من خلال القبر ، كان املا ومضى في ذهنه لحظة ثم انطفأ . . « القصة منشورة في عدد فبراير في مجلة الاداب » . . لمن شاء ان يعيد النظر في رموز القصة .

★

« قرنفة للأسفل المتعب » . . اخر قصة كتبها زكريا تامل . وهي تدور حول موضوعاته الثلاثة التي يفضلها : « الموت ، الحب ، الخبز » ، وهي اقانيم تلبس لبوسا رمزيا ، بل اسطوري . . تبدأ القصة بتصوير فتاة مراهقة . . ان جوعها لا يرتوي الا بان يختطفها سبعة رجال ويرضي غرورها الانثوي ان يركع كل واحد منهم مبتهلا الى جمال قطعة من جسدها . . اما الحب فينزوي ذليلا في آخر القصة اذا ان الحبيبة قد هجرت وتحولت الى مومس صغيرة . وما بين الحب والتشهي تتصارع الحياة والموت في مشاهد سريعة متلاحقة مفتحة على الحياة . . كانها

اليك يا مسافره
اغنية مسافره
ليس لها أرض ولا قرار
الشط ناء .. والمزار يا فريدي مزار !
وغنوتي قصيرة .. وعابره
اليك يا مسافره

الحلم أثقل الجفون
فلننم ..
وعششت في المقلتين زغب أمنياتنا الصغار
ودبيعة الغد الفريق في رحابة العيون ..
والألم ...
والهفتا .. لو أقبل النهار !
طارت ..
وزف خافق لدي مستطار
يا ليل .. يا حكاية الفراغ والشجون
يا أنت ..
ملتقاي والهموم والصحاب ..
وموعدي مع السراب ..
ما زال بين راحتي كتاب ..
أوراقه البيضاء في نقاوة العذراء ..
والأحرف العجماء في سطوره .. شتاء !
كثيبة .. كمقبره ..
والهفتا ..
لم تنخلع لومضة أو خاطره !
ولا انتهت الى كلمة تضيء في الضباب
حياتي المهاجرة ..
اليك يا مسافره

اللفظة التي تموت دون أن تمسها شفه ..
وكان في أعماقها بحار ..
والهمسة التي وراء مقلتين تختنق
وملء صدرها أنهار ..
وغنوة قصيرة وعابره
وسائلي اليك ..
لو يسعف النهار !
تهاوت السنون ..
واحترقت عيون ..
وانهار من سقيفتي جدار ..
يا طول ان بلفنا أنتظار !
اليك يا مسافره

فاروق شوشة

الغامرة

الميسرة يا فريدي!

قصص

بقلم
ألفريد ادلبي

انه ما يزال محتفظا بوسامة ونضارة تثير استغراب الكثيرين من اصدقائه ومعارفه لاسيما الذين يماثلونه في العمر .

ولكنه في هذه الليلة بالذات بدأ يشعر بخيبة مبررة لا يستطيع ابدا ان ينكرها ، او يموهها ، وتجاه من ؟؟ . تجاه المرأة التي انهي عندها مطافه واختارها بعد حين طويل ، وبعد تفكير وروية لتكون شريكة حياته مدى مائتي سنة له من العيش . وكان قد ازمع فيما بينه وبين نفسه ان يخلص لها كما لم يخلص لغيرها ابدا .

فأي خيبة مبررة يعنى بها الان ؟؟

ولا يدري لم مر في خاطره في زحمة افكاره المضطربة وهو مستو على سريره في جلسته تلك في الظلام الدامس اسما رجال من معارفه اخذ عليهم انقيادهم الاعمى لزوجاتهم وطفيان هؤلاء الزوجات عليهم حتى اصحوا هزاة ، وكان هو قبل ان يتزوج اكثر الناس تنديا بهم ، وتنكيتا عليهم .

ويتنبه ذهنه فجأة الى نظرة كان تبادلها اثنان من ضيوفه هذه الليلة اثناء السهرة ، والى ضحكة اخفيها عندما غير هو رايه في قضية تتعلق بالسياسة مسيطرة لراي سخيف ابدته زوجته ، كما تذكر ايضا كيف عدل مرة عن مشروع هام كان قد استعد لمباشرة العمل فيه في قرية نائية عندما لم توافق زوجته عليه ، وما زالت به حتى اقنعتة بالدول عنه لانها لا ترغب ابدا في سكنى القرى ولم يسمع الا النزول مستكينا عند رايها ، - شأنه معها دائما - رغم تحمسه للمشروع ، وايمانه بنجاحه .

وثبت له انه اصبح دون وعي منه ، واجدا من هؤلاء الرجال المستكينين الزوجاتهم والذين يتندر بحوادثهم الناس ، ويجعلونهم هزاة المجالس .

ولاول مرة منذ تزوجها شعر نحوها بشيء من المقت والكراهة ، واخذ يتساءل لماذا تتأبى وتكبر عليه هذه الصغيرة الحمقاء ؟؟ انها ليست ذات جمال نادر ، او ذكاء فارط كما تظن نفسها . وهو في الواقع لا يهتم بها ، ولا يتألم من اجلها فما اكثر امثالها في النساء . ولكنه يخشى ان تهان كرامته ، او تجرح كبريأؤه .

ماله يقف حيران مرتبكا امام هذه الصعلوكة التي هي زوجته ؟؟ . هو الذي كان الى حين قريب تياها على نساء يفقنها في كل شيء ، وكن يتهاقن على وده رغم كهولته وشبابهن ، ورغم ما عرف عن شدته في معاملتهن ، لا شك انه اخطأ عندما افترط في تدليلها ، حتى اصبحت تستهتر به ، ولا تأبه له ابدا ، ويتذكر حدنا طريفا مر به وهو في عز شبابه فقد صفع مرة خفيفة له غالية عليه امام الناس في حفل كبير لانها ابتسمت لرجل كان يكرهه ويفار منه . ثم ندم على ما بدر منه من فسوة ، وعدم لياقة . فقرر ان يعود اليها اذا اصبح الصباح يستغفرها ويسترضيها . فاذا هي تسبقه الى ماعزم عليه وتسعى اليه في الصباح الباكر باكية تطلب عطفه ورضاه . كانها هي المذنب ، ويعود اليه صلفه وتيهه فلا يرضى عليها الا بعد جهد طويل . قال في نفسه : بمثل هذا يجب ان تعامل النساء .. ومالي حدت عن الطريق ؟؟

اطفئي الضوء انه يرهق اعصابي ، ويتعب عيني .

قالت ذلك - وهي تتحاشى النظر اليه - بصوت خفيض ، فيه رقة وفيه عنوية رغم لهجته الاميرة .

ودون اي اعتراض - شأنه معها دائما - وضع الكتاب السني كان يقرأه جانبا ، ومد يدا معروقة طويلة الاصابع ، قد انتشر عليها شعر اسود ، وادار زر الكهرباء فعم غرفة النوم الانيقة ظلام حالك ، وسادها سكون ثقيل .

وظل هو مستويا على سريره كما كان متجها صوبها . وظلت هي ممدودة على سريرها المقابل لسريه ، مشبكة يديها على صدرها ، متجهة بناظرها نحو السقف .

لكم تمنى هو في تلك الليلة الباردة ذات العواصف الهوجاء ان يحتوي جسمها اللدن الصغير بين ذراعيه ، فينعم بدفء انفاسها ، وطيب عبقها . ولكنها كانت قد افهمته وهي تخلع ملابسها ، وترتدي غلالة النوم : انها تعب جدا هذا المساء يرهقها النعاس ، ومنذ اكثر من ساعة وهي تمنى ان ينصرف عنهم الزوار الذين اطلالوا السهرة اكثر مما ينبغي لترومي فسي سريها ، وتستسلم الى النوم الذي ألح عليها كما لم يلح ابدا .

قال في نفسه :

يا لهذه الصغيرة الماكرة كم تجيد اختلاق الاعذار ، وكم تتقن التمثيل !

اتراها تكرهني ، وتضيق بي ، حتى تهرب مني على هذا النحو ؟؟ ..

متى ألح عليها النوم ؟ . منذ لحظة فقط كانت تبدو امام الضيوف نشيطة مرحة .. حتى اذا اغلق الباب خلفهم بدأت تتشأب وتكاسل وقد فسر لحظها وتراخت اجفانها ..

ومنذ اكثر من اسبوع وهي تصرفه عنها كل ليلة بمنزلة من هذا القبيل ، فيخادع نفسه ، ويفالطها ويرغمها على تصديقها ، ويتقبل العذر برحابة صدر ، كان يفعل ذلك كله وهو لا يمي ، ليثبت لنفسه انها لا تكرهه ولا تضيق به ، وان كانت تبدو له غير متدفعه في حبه الاندفاع الذي يتمناه ويتوق اليه .

وكان منذ تزوجها - ولما يمض على زواجهما سوى شهور قليلة - قد آلى على نفسه ان يكون معها مثال الوداعة والتسامح والكرم وحسن الخلق . لانه يشك في حبه لها ولذا فلن يثقل عليها ابدا ، ولن يفرض عليها نفسه فرضا . بل سيسئتملها اليه وسيستجلبها على مهل ، حتى يفوز بحبها كما يرغب ويشتهي ، ولو ان الفارق بين عمرهما ثلاثون عاما . فهي لم تتخط العشرين ، وهو قد دلف الى الخمسين ، ولكنه رغم ذلك مازال يثق بنفسه الى حد بعيد ، فهو لم يتقن شيئا في حياته كاتقانه فن مفاولة النساء . وانه مؤمن ان لديه من الاساليب التي اكتسبها من كثرة معاشرته لهن ما يجعلها تتدله في حبه يوما ما ، كما سبق ان تدله كثيرات غيرها .. وما قيمة العمر وعدد السنين ؟ مادام يشعر انسه ما يزال شابا يتمتع بكل ما يتمتع به الشباب من حيوية ونشاط . كما

ليست هذه واحدة من النساء ؟

وانتف نحوها وهم ان يصيح بها يوقظها من نومها لينافسها حسابا عسرا . ولذنه عاد فترجع وتطم عيظه وارجا ذلك الى الصباح . وقال في نفسه :

سم كل هذه المجلة والايام بيننا ؟؟

وانت المواقف مازالت تصطرع بشدة . فالرعد يزجر ، والمطر يهطل . وتوقف سير تعبيره عندما بدت له من النافذة العريضة التي تواجه سريره تدمأ صفحة السماء الدكناء يرسم عليها البرق اشكالا غريبة رائعة . فراح يتأملها ساهيا لاهيا ، واذا ومضة برق هائلة يقتحم سناها النافذة ، ثم تنبعا ومضات متتالية ، فيلتمع في الغرفة المظلمة نور وهاج . وبمنظرة خاطفة يلح وجهها الذي ما يزال متحيا نحو سقف الغرفة ، وقد تلمصت فسماته بشكل يدل على انها تبكي فظل في مكانه سادرا يفكر ، ثم نأهى الى سمعه عند هداة الرعد صوت انفاسها مطريرة مبهورة تتخللها شهقات مكبوتة . فأكاد له يكاؤها . واخذت ثورته عليها تهدأ شيئا فشيئا ويحل محلها حنان واشفاق . فما كان ليخفى عليه - وهو العليم بطيانع النساء - انها تقاسي كثيرا فقلما تبكي المرأة في الخفاء الا اذا بلغ منها الالم كل مبلغ . فماذا يشقيها ويؤلها ياترى ؟ . لاشك انها تخفي عنه امرا هاما . وبحركة لاشعورية اضاء الكهرياء . فاختفت هي بسرعة وجهها بزندها ، وظلت ساكنة لاتأني بحركة وصدرها يملو ويهبط كانها تعانسي ضيقا في تنفسها . فقام عن سريره وجلس على حفة سريره ، وسالها بلهجة تكلف فيها اللامبالاة :

- مالك تبكين ؟

- اشعر بصداع أليم . فالت ذلك دون ان تتحرك او ترفع زندها عن وجهها .

- ها ها ! ان الصداع لا يبكي ... وملك تحمليه ولدينا كثير من المسكنات ؟

- اشعر ايضا بضيق يكاد يخنقني .

- اجلسي ، اجلسي . ان لي معك حديثا . تعالي نتفاهم بهدوء وراحة . وأؤكد لك بان الصداع سيزول وبان الضيق سينجلي . .

- لاداعي لكل مانقول . ارجوك ان تتركني الان ، فلا طاقة لي على الحديث معك !!

- لن اترك ايدا . كفاني مالميت منك . قال ذلك بصوت عال ولهجة قاسية اكسبته السيطرة على الموقف حالا . ثم سحبها من يدها بشدة وهوة . فاستوت جالسة امامه وجها لوجه على حافة السرير . وقد بدا الرعب على وجهها فزادها روعة وجمالا . وراح يحديق اليها النظر فلم يرها ايدا اجمل منها في تلك اللحظة . كانت شاحبة اللون ، وقد اسعت عينها السوداء ان المخلتان بالدموع دهشة لما حدث ، ولما سيحدث . وانتشر شعرها الاسود الغزير على كتفيها بلا انتظام ، واحت ان غلالة النوم قد مالت عن عنقها ، وانحسرت عن كتفها البضة المستديرة فسحبها بعصبية واحكمتها حول عنقها كانها تحاول ان تستر امامه ما يمكنها . ولاحظ هو ذلك فابتسم بمرارة . ومنذ تلك اللحظة شعر كان هوة كبيرة قد انشقت بينهما ففصلتهما عن بعضهما وترك كل واحد في ناحية .

وبعد فترة صمت ثقيلة كان هو يفرس في وجهها وهي تتحاشى النظر اليه فقال وقد استطاع ان يتقلب على اضطرابه فبدا هادئا :

- انني اشعر منذ تزوجتك انك لاتحييني . . وانك لست سعيده

بالعيش معي . فلم رضيت الزواج بي اذن ؟؟

- انا لم ... وملت الكلمات . واحدت دموعها بنسائط على خديها فطرب نبيره . وهي مطرفة بصمت محزن ، وفهما مطبق .

- فهمت كل شيء . ولو ان فهمي جاء متأخرا !! . لقد اجبر على الزواج بمن لا تحيين . ولكن هذا كله على ما فيه من ظم لا يبعث على البكاء اردف : انه ابوك العجبي ومن ورائه زوجة ابيك الماكرة التي عرفت كيف تمنني ، وكيف تستعمل ضعفك فتسيطر عليك بامسكينه وتجبرك على الزواج بمن لا تحيين . ولكن هذا كله على ما فيه من ظم لا يبعث على البكاء المرير في مثل هذه الساعه من الليل الا اذا كان هناك شخص اخر ترفيق به وتتحرفين على فراقه .

- لا ، لا ، احلف لك انه . .

- لاتحلفي ايدا . ولا تورطي نفسك في اثم ، ولا تحاولي النكران انه لا يجديك نفعا . فلست انا ممن تخفي عنهم مثل هذه الامور . اصديقي الفول ، وفي انني ساكون معك حتى نهاية الشوط .

وكانها انست بعض الشيء بلهجة التي تتم عن الصدق فظلت صامتة مطرفة ترتجف من شدة الانفعال دون ان تحاول تبرير نفسها بكلمة واحدة كانها تفره على ما يقول .

- لم لم يزوجوك منه اذن ؟ أفقر هو ؟ . . .

فظلت مطرفة ودموعها تتساقط بغزارة .

فاخذ يتأملها مشفقا ثم قال :

- او تبكين كثيرا من اجله ؟ . .

فتنهدت من عمق ثم زفرت زفرة حرة لم تستطع كتمانها . فقال :

- لملك سمعت عنه مايسوءك هذه الليلة ؟ . .

فهزت رأسها ايجابا دون ان تنظر اليه . وتذكر هو حديثا دار بين صيوفه قبل انصرفهم بقليل عن طلاب جامعيين القي القبض عليهم عندما قاموا بمظاهرة ضد المستعمرين وادعوا السجن ، ويقال انهم يعذبون فيه عذابا منكرا . وتذكر كيف تلقت هي الخبر بشهقة عالية اثارت استغرابه ولغيت نظر الجميع ثم بدا عليها وجوم وشروء ، فقال :

لعله احد هؤلاء الطلاب الذين يعذبون الان في السجن ؟ . . .

وكانه قد فرغ صبرها فوضعت كفيها على وجهها واجهشت بالينكساء بصوت عال . . فتيقن ان غريمه واحد منهم . ولاحت على فمه ابتسامة مريرة لانه استطاع ان يحزر ولان حدسه جاء في محله . ورغم هذه الحقيقة التي انجلت واضحة امامه ظل صامتا هادئا ، كان الامر لايغنيه في قليل او كثير ، ثم راح يعجب من نفسه اشد العجب ، ويكاد ينكرها ، كيف استطاع ان يطلع على هذا الواقع الفظيع بهدوء وبرود لايهدهما ايدا في طبعه ، لاسيما في مثل هذه المواقف . أي تغير طرا عليه فاحاله شخصا اخر كانه غيره بالامس ؟ . . .

ثم راح يتأملها وهي تبكي وتنشج فبدت له كطفلة صغيرة حيرى مرتبكة مغلوقة على امرها لاحول لها ولا طول ، وأحس ان شعوره نحوها اخذ يتحول بسرعة الى حنان وعطف ، وود من صميمه لو يستطيع ان يهدد حزنها فيأخذها في حضنه يمسح دموعها . ولكنه لم يجرؤ ايدا ان يمد اليها يدا كان قوة خفية تصده عنها . وظل جالسا امامها حيران مدة من الزمن لايعلم اطالت ام قصرت ، كان يستمع الى نسيجه المرير فيشعر كان قلبه يتقطع عليها حسرة ، ثم قام متثاقلا دون ان يفوه بكلمة واحدة ، وخرج من الغرفة وتركها على وضعها الذي هي فيه .

- التتمة على الصفحة ٧٩ -

ومضة برق

- التمتة من الصفحة ٣٥ -

واخذت العاصفة تهدأ شيئاً فشيئاً ، فانقطع الرعد ، وانقشعت السحب عن سماء زرقاء فيها قمر يتهادى بين الفيوم ، وبدا الصبح يتنفس عن نهار مشرق وضاح . واخذت هي تستعيد هدوءها وتستوعب ما حدث لها كأنها كانت في غيبوبة وصحت لتوها . فكبر عليها الامر وتملكها خوف شديد وراحت تسائل نفسها مرثاة :

كيف استطاع هذا الماكر ان ينتزع منها هذا الاعتراف الخطير بسهولة ويسر ؟ لقد اغتتم فرصة ياسها وانهار اعصابها فكان له ماآراد . .
الى م ينتهي امرها ياترى ؟؟ .

وراحت تصفي الى صوت خطواته وهو يتنقل بين غرف البيت ، والى صوت حركة متوالية في غرفة الزينة المقابلة لغرفة النوم ، والى صرير ابواب الخزائن والادراج وهي تفتح وتغلق . ماذا يعمل يا ترى ؟ ليست لديها ولو قليلا من المشجاعة لجابته وسؤاله عما يفعل ، ثم سمعت صوت خطواته على الدرج ، ثم صرير باب البيت الخارجي وهو يغلّق بشدة فتيفقت انه برج البيت . فخرجت من غرفتها واسرعت الى الشرفة واطلت منها فلمحته وهو يركب سيارته وينطلق بها . تساءلت الى اين ياترى ولما تشرق الشمس ؟؟ . لاشك انه ذاهب الى ابيها ليخبره بكل ماحدث بينهما . فياهول ماينتظرها !! . . .

وعادت الى غرفتها مستسلمة الى الياس والقنوط . رأت في طريق عودتها على احدى المناضد رسالة تركها لها فتناولتها وفتحتها واخذت تقرأ وتعيد ما تقرأ بدهشة واستغراب وتكاد لا تصدق ما تقرأ . احقا ياترى ما يقول ؟ انه ماض الان الى مشروعه في القرية الثانية . وسيظل ما حدث بينهما هذه الليلة سرا مكتوما حتى عن ابيها وزوجه لانه يعرف تماما ماسيلحقها من ضيم اذا عرفا حقيقة امرها ، تلك الحقيقة التي يراها هو حقا مشروعا لها ، ومن الظلم ان تحرم منه . وسيلقيها في بيته وتحت حمايته - ان ارادت - ريثما تدبر امورها كما يحلو لها ، لانه لن تربطه بها بعد اليوم رابطة تجيز له التدخل في شؤونها الخاصة ، وسيعيد اليها حريتها ساعة ترغب ، وسيكون لها خير نصير . ويختم رسالته بجملة بدت لها اول الامر كلفز اذ يقول :

انا رجل كهل تستطيع امرأة مثلك ان تسمدني ولكنها لا تستطيع ابدًا ان تشقيني ، ولذا فانا احمد الله الذي سخر لي ومضة برق عابرة اضاءت لي حقيقة امرك ، وكانت معوانا لي على كشف سرّك الذي تخفينه عني وتشقني به ، واحمديه انت ايضا لانه اومضها في نفسي فانتهيت الى هذا القرار الذي ارتاح اليه ضميري ، ولن احيد عنه ابدًا مهما قال الناس فيه .

بينما كانت هي تقرأ وتعيد ماقرأ في دهشة واستغراب ، كان هو - ماضيا في طريقه ، تنهب سيارته الارض نهبًا وقد جلس خلف مقودها شامخ الرأس متعاليا راضي النفس ، يبدو لعينيه كل شيء جميلا ، ويشعر معتزًا بان الغلبة كانت له ايضا على المرأة في هذه الليلة العاصفة بكل شيء كما لم تكن له ابدًا . . .

الفه ادلي

دمشق

من جمعية الادباء العرب

فيرى حكمة الزمن اقوى من ان ينالها التثني فالوت حقيقة (١) ومن الحمافة ان يغفل المرء عن هذه الحقيقة ويفتر بالحياة (٢) ولكنه من خلال موته ، من خلال فنائه الشخصي ، يتطلع الى الابدية ويؤمن ان له مايرر هذا التطلع ، على الرغم من الفساد الذي يتخلل حياته .

الحقيقة ان الابدية تنراى لنا في الحياة نفسها ، ونستطيع ان نتيين ملامحها في المقدسات التي تهيم على نفوس الجميع بالطمأنينة واليقين . والاشياء المقدسة ليست من صنع الفرد ، بل هي امل يتوجه اليه الجميع كشاطيء راسخ لانتاله امواج الزمن وعواصف الغناء . وحين يلتفت الفرد الى هذا الشاطيء فانما يستجير من الاسى وانخية اللذين تحملهما اليه تجربة الحياة ، خلال اعوام وجوده . فهو فان ، ولكن الانسان باق بعده ، تفره المقدسات ابدًا بضياء الخلود .

وتصدر هذه المقدسات في تجربة ابن دريد من ثلاثة ينابيع يشير اليها بوضوح في صور تأخذ منه الخشوع والضراعة ، وتطوف به كاسمي ماتحملة حياة الانسان من رجاء . .

الصورة الاولى : المؤمن

النياق الصلبة منطلقات في قلب الصحراء . سراع الخطى . كأنهن اشباح القسي . غائرات العيون من الهزال . مقوسات الظهور . انوفهن راعفة من جذب اللجاب . حين ياتي الظلام يغبن في لجة الدجى السحيقة وفي النهار يطفون فيما رفعت الشمس من مشرق السراب . اخفافهن المتشقة من الحفا والمشقة تخضب بالدم الحصى الابيض . يحملن كل شاحب تقوس ظهره من طول السفر واحتمال التعب . مؤمن خاشع انهكه التشف . ماض الى المكان القدسي (٣) .

الصورة الثانية : البطل

الخيال تعدو . اكتافها هزيلة ناشزة واعرافها مشعثة في الرياح . تنسابق كالنئاب الكواسر ، رانية بعيونها المائلة الى بريق الرماح ، تحمل كل مقاتل ماض الى الكفاح ، كل محارب باسل ، قوي الفؤاد ، فاذف نفسه في غمرة القتال ، يغشى الحرب بحدي سيفه حين تكون الحرب مخيفة رهيبة ، لو مثل له الموت خصما لما صده الخوف عن الافتحام ، ولو اراد القدر حمايته من الموت لرفض واقتحم بنفسه الغناء (٤) .

الصورة الثالثة : الاجداد

الاجداد الشم ، اقدس مايقسم به الانسان ، الذين حملوا لواء المكارم واليهم ترجع المائر ، ان فاخرهم احد قال الفخر نفسه : ليمنلىء فمك ترابا ، الذين اجرؤا ينابيع السخاء فغمروا العالم بالهبات ، الذين اذلوا من تجبر وقوموا من سولت له نفسه القزور ، وجرعوا الل من تحداهم واراد لهم الهوان (٥) .

الايمان ، البطولة ، الامة . . تلك هي مقدسات الحياة الانسانية في تجربة ابن دريد . . . الشواطىء الرجبية التي تفتح للانسان آفاق الامل حين تخطئه العزيمة الصادقة امام الماساة .

صدقي اسماعيل

دمشق

(١) والناس للموت خلا يلسهم . . .

عجبت من مستيقن ان الردى اذا اتاه لايدأوى بالرقى

(٢) وهو من الغفلة في اهوية . .

(٣) البيت (٤٦) من المقصورة وما يليه .

(٤) البيت (٦٠) وما يليه

(٥) البيت (٦٧) وما يليه .

الهابيت من الحرية

بقلم غالب هلسا

كما كانت الكنيسة تبرر شقاءه في هذا العالم ، معزية اياه ، بان هذه الحياة ما هي الا مرحلة لدار اخرى ملأى بالنعيم والخيرات .

وكان من الطبيعي في مجتمع كهذا الا تطرح ، بالنسبة للانسان العادي ، قضية معنى الوجود الانساني ، وهدفه والعلاقة مع الآخرين . اذ ما دام هو في وحدة مع الظروف الخارجية فمعنى وجوده وهدفه مستمدان من معنى وجود العالم الخارجي وهدفه .

ويمكننا ان نجد شبيها لهذه العلاقة ، علاقة الطفل بامه ، اذ يظل طيلة سنيه الاولى جزءا من امه - من ناحية وظيفته - فهو يحس بتفرده وانفصاله عنها ، وهذه العلاقة هي مصدر شعوره بالاطمئنان والضمان الوحيد لاستمرار حياته . كما ان المرحلة التي اعقبت العصور الوسطى ، تشبه تطور علاقة الطفل بامه ، اذ ان نمو الطفل العضوي وازدياد قدراته في السيطرة على الاشياء تخلق في نفسه الشعور بالانفصال عنها . ثم ياتي دور الثقافة التي تشمل خبراته الخاصة ، ورغباته التي كثيرا ما تصطدم بارادة ابويه مما يؤكد شعوره باستقلاله وفرديته .

واخذ نظام العصور الوسطى ينهار بسبب عوامل اقتصادية ، مفسحا المجال امام المجتمع الرأسمالي ، ولقد تم ذلك على يد طبقة مغامرة انتهت جميع القيود التي كان يفرضها ذلك النظام على حرية تنقل راس المال . واستمرت هذه الثورة المجيدة عشرات السنين وبعنف واندفاع لم يشهد التاريخ السابق لهما مثيلا حتى حطمت جميع القيود التي كانت تغل الانسان . ولكن اي مجتمع خلقت تلك الثورة ؟ عندما حررت الرأسمالية الانسان اقتصاديا وسياسيا ومنحته حرية ممارسة دوره في المجتمع الجديد ضاربة عرض الحائط بكل الاعتبارات التي تقف في طريق التقدم الانساني كالوضع العائلي والفئة الاجتماعية التي ينتمي اليها الخ . حررته في الوقت ذاته من تلك الروابط التي تمنحه الشعور بالاطمئنان والانتماء . اصبح العالم الجديد بالنسبة له واسعا ومتراميا الاطراف ، واخذ يحس بعدم وجود اي معنى لحياته ، كما اخذ يشعر بقوة العزلة والوحدة . ان القوى الهائلة التي خلقها ، قوانين السوق الرأسمالية ، اصبحت قدرا لاراد له وجعلته يشعر بانه مهدد من كل النواحي .

لقد استطاعت الطبقة المالية الكبرى ان تجد مهربا من

تقوم (١) نظرية فرويد للعلاقة بين الفرد والمجتمع ، على ان هنالك تعارضا بين الاثنين ، كما كان يؤمن بالراي القائل بان الانسان ذو طبيعة شريرة . وان دور المجتمع هو ان يجعل الانسان اليفا ، اذ هو اساسا غير اجتماعي ، ويتم ذلك بالطريقة التالية :

يدخل الفرد المجتمع وهو محمل باحتياجات غريزية معينة يسعى لارضائها ، ولكن التنظيم الاجتماعي يكبح هذه الغرائز ، فيتم ما يسميه فرويد بالاعلاء Sublimation الذي يحول هذه الغرائز المكبوحة الى سلوك حضاري . وكلما ازداد كبح الحضارة لاحتياجات الانسان الغريزية اصبح سلوك الانسان اكثر حضارية .

فهناك اذن علاقة ثابتة بين الفرد والمجتمع ، تماما كذلك العلاقة القائمة بين الفرد وبين السوق الرأسمالية : الفرد يحمل احتياجات غريزية معينة ، ولما كان ارضاؤها لا يتم الا من خلال الآخرين فهو مضطر ان يقيم علاقات معهم . يتنازل فيها عن بعض غرائزه واحتياجاته البيولوجية ، او يؤجلها ، حتى يستطيع تحقيقها من خلال المجال الاجتماعي الذي يصبح المجال الطبيعي لتبادل احتياجاته مع الآخرين . وهذه النظرة ، وان تكن قد ادت دورا هاما في دراسة الشخصية الانسانية ، عاجزة عن تفسير العديد من العلاقات الاجتماعية ، وهي تتعارض مع النظرة الدينامية للعلاقات الانسانية ، تلك النظرة التي تنفي كون الانسان ذا طبائع ثابتة ، كما انها لا تعترف بوجود علاقة ثابتة بين الفرد والمجتمع . انها تنطلق من العمل - بمعناه الواسع - ، فعندما يعمل الانسان لارضاء احتياجات طبيعية معينة فهو يقيم علاقات مع الآخرين ، ومن خلال محاولته لتغيير الاشياء - وهي طابع العمل الاساسي - يتغير هو ، ويصبح متميزا بخصائص نفسية وحضارية معينة .

على هذا الاساس نطرح مسألة الحرية الانسانية في العصر الحديث ، على اعتبار انها نتاج العلاقة الدينامية بين الفرد والمجتمع .

لقد بدأت المشكلة مع انتهاء العصور الوسطى . كان الانسان يعيش في تلك العهود في عالم مفهوم ومعقول ، بالنسبة له ، تماما ، عالم بسيط ومحدود بدو فيه قريته او اقطاعيته كأنها مركز العالم كله . كان جزءا من الآخرين ،

(٢) معظم الخطوط الرئيسية لهذا البحث مأخوذة عن كتاب أريك فروم ،

« الخوف من الحرية »

هذا الاحساس باتجاهها العدواني نحو جمع المال ، كما كانت تستطيع تحقيق نفسها من خلال قدراتها الاقتصادية الضخمة ، وكذلك الامر - لحد ما - بالنسبة للفلاحين والفئات الدنيا من السلم الاقتصادي، فقد دفعها احساسها الجديد بعدم الاطمئنان الى ثورات دامية - كثورة الفلاحين في المانيا - استطاعت بها ان تتغلب على الاحساس بوحدها .

وكانت الطبقة التي وقعت في المصيدة ، هي البورجوازية الصغيرة ، ففي الوقت الذي تحطمت فيه الضمانات الاقتصادية والنفسية التي كانت تحميها في القرون الوسطى ، اكتشفت انها في الوقت ذاته ، وقد خسرت كل شيء ، لم تربح شيئا .

ان خير تصدير لسيكولوجية هذه الطبقة هو دراسة مذهبي لوثر و كالفن . ان هنالك نقطتين هامتين في مذهب لوثر . الاولى : انه حرر الانسان من سلطة الكنيسة ومنح هذه السلطة للانسان ذاته . والثانية : ان الشر كامن في النفس الانسانية ، مما يجعل من المستحيل على الانسان ان يقوم بعمل صالح من تلقاء نفسه ، ان ذلك ممكن فقط اذا تخلى الانسان عن حريته و ارادته واذل نفسه امام الله .

وفي عام ١٥١٨ نزل على لوثر وحي مفاجيء مؤداه ان خلاص الانسان مرهون بالايمان الذي لا يدع ذرة واحدة للتشكك او التساؤل .

ان التفسير السيكولوجي لهذا الموقف المتناقض الذي وقفه لوثر يمكن تفسيره على انه تعبير عن رغبة في الخروج من عزلة نفسية رهيبة واعادة انتماؤه للعالم ، كما انه رد فعل لشعور معذب بالحيرة والقلق . ولوثر في هذا يعبر عن التعارض الوجداني **Ambivalence** الذي كانت تشعر به الطبقة الوسطى ازاء جبروت راس المال وقوانين السوق وكان الحل الذي قدمه لوثر هو الخضوع المطلق لهذا الجبروت ، والاحساس الصوفي بالانتماء اليه .

ان هذا التعارض يبدو اوضح ما يكون ، في رأي هذا الثائر على الكنيسة الكاثوليكية في السلطة الزمنية في عهده ، اذ يقول :

ان الرب يفضل وجود سلطة حاكمة مهما كان طغيانها على ان يدع الرعاع يشورون ، مهما كانت ثورتهم عادلة . . ان الامير يجب ان يظل اميرا مهما كان طغيانه . . . الرب لا يكره شيئا شيطانيا كالثورة .

اما مذهب كالفن فهو يضيف الى مذهب لوثر نقطتين هامتين: اولاً: ان الانسان منذ الولادة قد قدر له ان يصبح شريرا او صالحا . ثانياً: على الانسان ان يظل في حركة دائبة لجمع الرزق ، والنجاح في ذلك دليل على ان الله اختار ان تكون صالحين .

ان هذا المذهب يصور تصويرا دقيقا سيكولوجية الطبقة الوسطى ، فكون الانسان قد تحدد مصيره قبل ان يولد هو نفس احساس هذه الطبقة تجاه قوانين السوق الرأسمالية التي تمثل عوامل ضاغطة لا يمكن التحكم فيها .

كما ان الحركة الدائبة هي احد اعراض سيكولوجية المعابين بالحصص العصائبي **Compulsive neurosis** الذي يتسبب عن شعور حاد بالقلق والوحدة . كما ان هؤلاء المرضى يؤمنون بالغيبيات ، اذ قد يحجم احدهم عن القيام بعمل كان قد عزم عليه لجرد ان نوافذ العمارة المقابلة ، مثلا ، فردبه وليست زوجية .

ليس نشوء هذين المذهبين في الفترة هو وحده ذا الدلالة ، ولكن الامر الاشد دلالة هو اقبال الناس المنقطع النظر على تبنيهما في هذه الفترة ، وبالاخص افراد الطبقة الوسطى .

واذا حاولنا تلخيص ما تقدم نقول : ان الانسان حين تحرر من الروابط والعلاقات الاولى التي كانت تتوحد مجتمع القرون الوسطى ، فهو في الوقت ذاته قد تحرر من تلك الروابط التي تمنحه الاطمئنان والاحساس بالانتماء للعالم وجعلته وحيدا ، ومنعزلا ، وخائفا . ثم جاءت البروتستانتية وحاولت ان تخلصه من شعوره بالقلق بدفعه الى العمل المتواصل ، وان تعيد انتماؤه للعالم بالخضوع لقوة جبرارة هائلة تستطيع تخليصه من شقائه .

وبدون شك ان هذه العقيدة الجديدة قد مهدت للنمو الهائل للمجتمع الرأسمالي ، فهي اذ خلصته من الضغوط الخارجية التي تغل تقدمه ، قد ساعدت على وجود ضغوط داخلية تدفع الانسان للحركة الدائبة ، كما ان دعوتها للانتماء والخضوع لقوى خارجه عن ذاته ، والالحاق على تحطيم كبرياء الانسان قد مهدت لقبول الانسان الحديث لوضع يصبح فيه جزءا من جهاز ضخ لا يخدم اهدافه كإنسان .

هذا ، بينما نجد ان الرأسمالي النموذجي في المجتمع الحديث هو ذاك الذي يجمع المال ليوظفه لينتج مالا جديدا يعيد توظيفه وهكذا ، وعلى الرغم من اهمية هذا الاتجاه لدفع المجتمع الرأسمالي للتطور والنمو السريعين فانه ادى لخلق مجتمع ذي اهداف متعارضة مع اهداف هذا المجتمع . ان الادعاء القائل بان المجتمع الرأسمالي يتميز بان كل فرد فيه يحس بالانانية والفهم ، لا ينفي هذه الحقيقة ، بل بالعكس يؤيدها . فالتهم - كما تقول ارباك فروم - هو رد فعل تكيفي **Conditionnel Reflex** لحماية الذات الانسانية من كره عميق يحس به الشخص نحو نفسه .

وهكذا فان هذا الانسان الضائع المنعزل الذي يعيش تحت وطأة ضغوط نفسية رهيبة لا يمكن احتمالها ، قد أخذ منذ اللحظة يبحث عن مخرج للخلاص من العبء الذي القى عليه - وما يسميه البعض عبء حريته - ان هذا يضيء جانبا كبيرا من المذاهب الفلسفية والفكرية التي نشأت في العصر الحديث ، كالوجودية والسريرية وغيرهما . فهذا الانسان قد وجد تعبيرا رائعا عن ضياعه وتعاثه في مؤلفات كافكا . ففي روايته « المحاكمة » نجد (ك) قد اعتقل في صباح يوم جميل دون ان يكون قد جنى ذنبا ، وفي نهاية الرواية والسكين تغمد في صدره يصرخ محتجا على نهايته

وعلى كون آخرين قد رضوا ان يعيشوا ليلاقوا مثل هذه النهاية بقوله .. « مثل كلب »

وفي روايته « القلعة » نجد انسانا يحاول جاهدا ان ينال قدرا من الاطمئنان وهكنا تحت الشمس ولكنه يواجه بقوى غامضة لا منطق لها تضغط عليه وتسحقه وهو لا يملك الحق ولا القدرة على مناقشتها وتحديدها .
كما ان « روكاتان » سارتر ، صورة اخرى للعنانة الانسانية ، اذ يواجه الانسان وضعا زائفا لا يستطيع ان يحقق نفسه من خلال علاقة معقولة بالعالم .
والان سنحاول ان نرسم صورة سريعة للاتجاهات التي اندفع اليها الانسان الحديث ليتخلص من عبء وحدته .

١ - السادو - ماسوكيه

تتميز الشخصية الماسوكيه بالرغبة في الخضوع ، والاستمتاع بالابناء والإهانة التي تقع عليها من الآخرين . ان التحليل النفسي لهذه الشخصية يكشف عن احساس بان الحياة بالنسبة لها قاسية ومعادية الى درجة رهيبية ، وعن شعور حاد بالعجز والضعف ، وان اي وضع يطلب اليه فيه ممارسة حريتهم يثير في نفوسهم هلما ورعبا لا حد له .
فالسلك الماسوكي هو تعبير عن التخلص من ذواتهم ، بالتعذيب الجسدي ، وسيكولوجيا بالخضوع المطلق والتلاشي في الآخرين ، او في قوة عليا توحى لهم انها ذات قدرات هائلة وسيطرة مطلقة .
اما الشخصية السادية فهي الوجه الاخر للتعبير عن نفس الوقس تجاه احساس الانسان الحديث بالوحدة والعجز والضياع . فهي تتميز برغبة آسرة في السيطرة والابناء - هذا ليس مقتصرا على الجانب الجنسي وحسب ، وانما ينسحب على سلوك الشخصية بشكل عام - كما انها تعتمد اعتمادا كبيرا على موضوع سيطرتها الى حد - كما يشير فرويد وفروم وآخرون - ان فقدان موضوع سيطرتها يجعله شديد التماسك والحيرة .
ان هذا ملاحظ جدا في العلاقات الزوجية في كثير من المجتمعات ، اذ نجد الرجل الذي يعامل زوجته بقسوة لا حد لها ويردد على مسامعها انه لا يود ان يرى وجهها ، وما يكاد يرى زوجته تحاول مفادرة البيت حتى يتهاوى طالبا اليها ان تعود .

ان هذه الشخصية ، كما يقول فروم ، تحاول بسلطانها وايجاد اتباع خاضعين لها التخلص من الاحساس بالوحدة والعجز .
كما ان هنالك انماطا انسانية مماثلة كذلك الانسان الذي يكرس حياته كلها لتكديس المال ، معوضا بذلك عن احساسه بالعجز . ان سلوكا كهذا لا يلقي الشعور بالعجز والوحدة فحسب ولكنه يلقي الذات الانسانية والحرية الداخلية للفرد .

لقد وجدت هذه الشخصية تعبيراً كلاسيكياً في « اوهام ضائعة » لبلازك ، اذ يقول على لسان احدى الشخصيات :
« ان هذا الشاب لا علاقة له بالشاعر الذي توفي الان . لقد التقطتك ومنعتك الحياة ، فانا املكك كما يملك الخالق المخلوق ، او كما في قصص الجان الشرقية ، اذ ينتمي العفريت للروح ، او كما ينتسب الجسد للروح . بايد قوية ساقودك الى طريق النفوذ ، واعدك بحياة ، رغم هذا مليئة بالملذات والامجاد ؟ حياة اعيادها سرمدية . لن تحتاج للنقد ؟ ستضيء ؟ ستصبح لامعا ؟ بينما انا ساغوص في الوحل لاوفر لك النقد ؟ ساضمن لك مركزا مجيدا . انني احب القوة من اجل القوة ذاتها ! ساستمتع بملذاتك على الرغم من اضطراري لاستنكارها

وباختصار ستكون شخصا واحدا .. ، سوف احب مخلوقي ، سوف اكيفه ، واسويه لخدمة اغراضي حتى استطيع ان احبه كما يحب الاب طفله . سوف اسومه عربتك يابني العزيز ، وسافرح لمقامراتك النسائية .
سوف اقول : انا هو هذا الشاب الجميل . لقد خلقت هذا المركز دي رومبري ووضعته بين الارستقراطيين ، ان نجاحه هو نتاج جهدي . انه صامت وينطق بصوتي ، ويتبع نصيحتي في كل شيء . »

٢ - الشخصية المتسلطة

ان هذا النمط من الشخصية يمثل السادو - ماسوكيه في التطبيق ، انها تنبع من ذات الجذور الاجتماعية ، وهو يمثل دوما القاعدة الانسانية التي تسند النظم الفاشية وتدعمها .

وتتميز هذه الشخصية بان اعجابها وحبا وخضوعها يستثار اوتوماتيكيا نحو السلطة اذا كانت قوية ومتماسكة ، كما ان مظاهر الضعف في السلطة والاشخاص تستثير احتقارها ورغبتها في السيطرة والاذلال .
انها تخضع لاية قوة او سلطة مادامت ترضي نزعاتها الماسوكيه ، ولكن ثور بعنف ضد كل سلطة اخرى ، حتى تبدو الرغبة في الخضوع التي تنصف بها هذه الشخصية في المؤخرة ، حتى تلك السلطة التي تهدف للمحافظة على مصالحها .

ولهذا كثيرا ما يخلط الدارسون بين الشخصية المتسلطة وشخصية الثوري التي تمثل اعلى مستوى من التماسك ومن ممارسة الانسان لحرية ، بينما الشخصية المتسلطة تمثل هرب الانسان من ممارسة حريته بالخضوع لسلطة مطلقة من ناحية ، وباخضاع آخرين من ناحية اخرى .
ومن الملاحظ ان الحركات التي تعتمد على هذا النمط من الشخصية

دواوين نزار قباني

من منشورات دار الاداب

الثلثون

قالت لي السمراء	٥٠٠ ق.ل
طفولة نهد	٣٠٠ ق.ل
انت لي	٢٥٠ ق.ل
سامبا	١٠٠ ق.ل
قصائد نزار قباني	٣٠٠ ق.ل

زينة لكل مكتبة

دار الاداب

بيروت - ص.ب ١٢٣

وترخي نزعاتها تنتقل بسرعة من الحد الأقصى الذي تحارب فيه سلطة معينة بدعوى انها تحد من الحرية الى خلق نظام ؟ او تأييد شكل من اشكال الحكم الذي يقضي على كل اثر للحرية .

كما ان هنالك ظاهرة اخرى تميزها وهو ايمانها المطلق بقدر حتمي يسيطر على الحياة الانسانية ولا يمكن مقاومته او تحديه ؟ وبالرغم من انه يأخذ اشكالا متعددة ، كمباداة الماضي ، او القانون الطبيعي ، او المصير الذي لا مفر منه ، او الزعيم ، او الواجب ، فان له ذات المضمون وهو قوة عليا قد قررت مصائر البشر مسبقا .

وهناك صفة اخرى ذات دلالة : وهي ان هذه الشخصية تبدو دوما متحركة ، وثائرة ، ولكن الكشف عن العوامل السيكولوجية الكامنة وراء هذا السلوك يثبت ان هذه الشخصية تفتقد صفة الابداع وان هذه الحركة لا تختلف عن تشنجات العصابي وهوسه اللذين يخفيان مشاعر المزلّة والمجزر .

٣ - الرغبة في التحطيم

ان الرغبة في التحطيم هي رد فعل للشعور بالعجز والوحدة وعدم القدرة على تحقيق طاقاتها الحسية والانفعالية في المجال الاجتماعي ، فهي تنتج عن نفس الدوافع التي تقود الشخصية السادو - ماسوكية . الا انها تختلف عنه بأنها لا تقود صاحبها الى الاتحاد بالآخرين ليصبح جزءا منهم وانما الى تدمير القوى التي تشعره بالعجز والضعف ، اي انه يهرب من عزله عن العالم الخارجي ومن تهديده بتدميره .

وغالبا ما تكون هذه الرغبة والتعبير عنها مبررين اجتماعيا ، بسل ان التدمير يكاد يكون طابع مبدئي متخفيا تحت اقنعة زائفة من دعاوى الحب والواجب ، والدفاع عن المدينة .. الخ .

وهناك سببان يدعوان الانسان الذي يعيش في عزلة نفسية الى مثل هذا الاتجاه . الاول : القلق الذي ينتج عن الشعور بخطر خارجي يتهدد الذات : جسديا وانفعاليا ، فيهاجم تلك القوى التي تهدده .

السبب الثاني : انه عند افتقار الاطمئنان الداخلي والعفوية اللذين يتيحان له تحقيق طاقاته الانفعالية والحسية في الخارج فان شعوره بالعجز والوحدة يرتدي طابعا عنيفا حادا . كما ان حجز الطاقات الانسانية يزداد فعالية نتيجة للحجز الاجتماعي على التمتع بكل انواعها . فالرغبة في التدمير اذا هي نتاج تلك الحياة التي لم نعشها .

٤ - التلاؤم

الملاحظ - ظاهريا على الاقل - ان تبني التقاليد الاجتماعية والمحافظة عليها يزيل قدرا كبيرا من التصادم والخلاف مع الآخرين ، كما انه يكسب الانسان رهبا المجتمع واحترامه .

ولذا اصبح التلاؤم الاجتماعي خير الوسائل واكثرها شيوعا لخروج الانسان من وحدته . اذ ان تبني الالوان الثقافية السائدة والعادات الاجتماعية المتعارف عليها يزيل - ظاهريا - التعارض بيننا وبين المجتمع ، اذ مادما نقول ونتصرف ونستمع ونعقد الصفقات ونزوجه بالطريقة التي ترضي الآخرين فنحن قد ازلنا الى حد كبير اتجاهاتهم العدوانية نحونا . كما ان النجاح الاجتماعي مرتبط بفعل ماينتظره الآخرون ، فنحن ننتظر من الطبيب ان يكون مطمئنا ، واثقا من نفسه ، لطيفا وان يدلنا على مرضنا ؟ وان اي نقص فيما ننتظره من الطبيب يجعله يصبح في نظرنا غير صالح . وهكذا يتحول الناس الى اناس في السوق ، ينتظر منهم ماينتظر من السلعة - غير مفشوشة وصالحة للاستعمال - او على حد تعبير بيراندلو « انا مانتظرنى ان اكون . »

كما ان الاهداف التي نسعى لتحقيقها ليست الاهداف النابعة من رغباتنا والتي يمكن ان تحقق طاقاتها في المجال الاجتماعي ؟ بل هي اهداف محدودة اجتماعيا وهي في الغالب ما تكون مخالفة لكل رغبة حقيقية نحس بها ، فالجهد الذي لا مبرر له لتكديس المال - مثلا - والذي يأخذ بخناق جميع الافراد لا يمكن ان يكون تحقيقا لاية طاقة انسانية اصيلة .

ولكن ماذا يحدث خلال عملية التلاؤم الاجتماعي ؟ ان الانسان خلال هذه العملية يفقد ذاته وتفرد ، ويستبدل بها ذاتا اجتماعية ذات ردود فعل ميكانيكية مرضية . ان العصبيين هم وحدهم ، ومن خلال اعراضهم المرضية ، الذين يعبرون عن رفضهم لعملية التلاؤم وفقدان الذات . ولكن كيف نعالج هؤلاء ؟ انه يعالجون بسيكولوجية التكيف - وهي اكثر انواع العلاج شيوعا في اوروبا وامريكا - التي يتم على اساسها ازالة جميع الاعتراضات النفسية على تلاشي الذات واحلال ذات اجتماعية بدلا منها .

ان النتائج النهائي لهذه العملية ، عملية تأليف الانسان وجعله اجتماعيا هو الغاء تفكيره وارادته . ان التفكير يصبح مجرد عملية تبرير ، والارادة تتحول التي تبني اهداف محددة اجتماعيا .

سيكولوجية النازية

لقد قدمت النازية نموذجا ممتازا لتطبيق التخطيطات النظرية السابقة . وسنكتفي بدراسة النازية من زاويتين : الاولى التركيب السيكولوجي للاشخاص الذين اعتنقوا النازية ، والثانية ، العناصر المميزة في الايدولوجية النازية التي جعلت انصارها يقبلون عليها ، ان الطبقة التي اقبلت على الايدولوجية النازية واعتنقتها بحماس ، هي الطبقة البورجوازية الصغيرة . كانت الطبقة العاملة تقف موقف المعارضة الشككية ، اذ ان خيبة املاها بعد الحرب وما رافقها من ازيمات وعدم استقرار جعلها منهكة ويائسة من جدوى اي كفاح . كما ان البورجوازية الصناعية كانت على استعداد لقبول اي وضع فيه حد ادنى من الاستقرار . اما البورجوازية الصغيرة فلقد وجدت فيها الحل الامثل لجميع ما يصادفها من ازيمات ومشاكل وذلك لاسباب عديدة اهمها :

١ - ان الهجوم الذي كانت تشنه النازية ضد الاقليات ، ورغبتها في السيطرة على الامم الاخرى ، قد كان فيه ارضاء لنزعاتها السادو - ماسوكية .
٢ - لقد كان سقوط القيصرية الالمانية انتهاء لقوة عظمى كانت تقمصها فتبعث فيها شعور التفوق على الطبقة العاملة .

٣ - ان ظروف ما بعد الحرب قد رفع من اهمية الطبقة العاملة ، وفقدت البورجوازية الصغيرة الاحساس بان هنالك طبقة ادنى منها في المستوى الاجتماعي الامر الذي كان يرضي حجبها في السيطرة والتعالي .

٤ - لقد ضاعت هيبة الدولة من النفوس ، اذ مادامت هذه الدولة لا تستطيع ان تحافظ على قيمة النقد الذي يحمل توقيعها ، فهي بالفعل لا تستحق الاحترام . ومن المعلوم ان سعر المارك تدنى في المانيا بعد الحرب تنبها رهيبا حتى اصبح الدولار الامريكي الواحد يساوي بليونين ونصف البليون من الماركات ، وهكذا فقد اصبحت تحوينة القمرا لقيمة لها على الاطلاق ولم يعد هنالك اي فارق بين هذه الطبقة والطبقة العاملة .

٥ - كانت العائلة بالنسبة للبورجوازي الصغير هي المجال السني يستطيع فيه ان يثبت سلطته ، كما انها كانت تعطيه بتماسكها وخضوعها له الاحساس بالاتحاد مع الآخرين . ولكن الحرب واضطراب الاحوال المعيشية في المانيا دفعت جميع افراد الاسرة للعمل مما ادى الى تحطيم الوضع الابوي للعائلة ، كما ان الشبان الذين كانوا اشد تلاؤما للظروف

الجديدة وقدرة على التكيف خلقوا فيهم الشعور بان الحياة تخطتهم .
لهذه الاسباب مجتمعة كانت تحس هذه الطبقة بالوحدة والعجز وترغب
في ايجاد وضع ابوي كذلك الذي كان سائدا ايام القيصرية .
اما النازية فيجب ان تفهم اساسا على انها حركة انتهازية ؟ واصدق
دليل على ذلك هو موقفها من الاحتكار المالي . انها في الوقت السدي
كانت تعد فيه الجماهير بتعطيم سيطرة الاحتكار والبنوك ؟ لم تفعل
شيئا سوى انها عززت سلطة الاحتكار واشركت الطبقة البورجوازية
الصفيرة في الحكم وخلقت وضعاً تستطيع هذه الاخيرة من خلال خضوعها
ان تستريح فيه من عناء وحدتها .

كما ان النازية اعادت تربية الشعب الالاني بحيث يصبح خادماً مطيعاً
للاحتكار ، تماماً كما قام لوتنر بخلق انماط انسانية اصبحت فيما بعد
الدعامة الاساسية للتوسع الالاني .

ان نزعات هتلر والنازية السادية قد اصبحت مجرد مكاسب للاحتكار
الالاني ، هذه النزعات التي تبدو خلال كتابه « كفاحي » ؟ فهو يصف
الشعب الالاني .. « كالرأة .. التي تفضل الخضوع الرجل القوي
على ان تسيطر على الرجل الضعيف .. ان الجماهير تميل الى عقيدة
لاتقبل النقاش ، ويفضلون مثل هذه العقيدة على الحريات الديمقراطية
التي غالباً مايشعرون بعدم جدواها ؟ والتي تؤدي الى احسانهم
بالوحدة . »

وفي مكان اخر يتحدث هتلر ان خير توقيت لعقد الاجتماعات الجماهيرية
هو في المساء حيث يكون الانسان متعباً وبائساً ومستعداً للخضوع ،
« انهم في المساء اكثر استعداداً للخضوع لارادة متفوقة » .

ويشعر هتلر ان الجماهير التي ارضى رغبتها في الخضوع ، عليه
ايضا ان يرضى رغبتها في السيطرة ، ان زعيم الجبهة العمالية في عهد
هتلر يقول :

« نود ان يمتلكوا ارادة القائد ، وان يكونوا سادة ، وبكلمة
مختصرة لان يحكموا .. نود ان نسيطر وان نستمتع بذلك .. سنعلم
هؤلاء الرجال ركوب الخيل .. حتى نخلق فيهم شعور السيطرة المطلقة
على كل كائن حي .. »

ولا يحاول هتلر ان يخفي مايشعر به من احتقار للشعوب المتخلفة : « ان
بعض الفقراء الاسيويين ، او امثالهم ممن لايمني امرهم قط ، بعض
الهنود الحقيقيين ، الكافحين من اجل الحرية ! » كانوا يجوبون اوروسيا
هادفين تجنيد بعض الاذكياء لتبني الرأي الفائل بان الامبراطورية البريطانية
على حافة الانهيار في الهند ، التي تسمي درة التاج البريطاني . ان التمرد
الهنود لن يحققوا شيئاً من هذا ... اذ يستحيل ان تستطيع جبهة من
الكسحاء ان تعصف بدولة قوية .. انني لعلمي الاكيد بانخطاطهم العرقى
لن اربط مصر امي بمصر من يسمون انفسهم بالشعوب المظهدة . « كما
ان هتلر ذاته كان يعتقد انه خاضع لقوة عليا ت امره وتسيره السى
الاهداف التي نذر نفسه لتحقيقها ؟ « ان المهمة الملقة على عاتق الالان
الالانية هي ارادة الرب » ؟ كما يقول في كتابه كفاحي .

الخروج من العزلة

لقد اصبحت في اذهان الكثيرين كلمة ديموقراطية
مرادفة لكلمة فردية ، واصبح المجتمع الفردي هو ذا
المجتمع الذي يتمتع فيه الفرد بحرية كبيرة في ان يعبر
عن نفسه ، وفي ان يختار الطريق الذي يتلاءم مع طبيعته ،
ولكن لاشيء ينقص مجتمعنا كما تنقصه الحرية .

ان الانسان يشعر دوماً بوضاعته وعجزه ، فهو يواجه
بالعمارات الهائلة ، المنظمات السياسية الضخمة ، القوة
الجبارة التي تستطيع ان تغني الالاف في رمشة عين ؟
وعشرات المظاهر التي تبدو له انها اهم من اي انسان
بالذات .. ان المجتمع يمتص منه كل طاقة على التفكير وكل
شعور بالكبرياء .. انه بدلاً من ان يعطي منهجاً للتفكير
يفرض عليه ركاباً هائلاً من الحقائق يسحقه ويجعله في
حيرة ويأس من ان يصدر حكماً على اي شيء . انـه
يذكر كل يوم ان الحقائق نسبية وان لا فائدة من البحث
والوصول الى نتيجة لانها ستكون صحيحة بالنسبة لـه
فقط .. ان اية محاولة لبدء الرأي مضحكة وضارة فهناك
المختصون وعليه ان اراد ان يحكم على اي مظهر من
مظاهر الحياة ان ينتظر حتى يفرغ من دراسة الموضوع من
جميع نواحيه ، لكل فرع ، بل لكل جزء من فرع اختصاصيون
يفنون اعمارهم لاتقان هذا الجزء ، فكيف للانسان العادي
البسيط ان يصدر حكماً او حتى ان يجد في نفسه الثقة
للحظة واحدة ان يفكر باصدار حكم ؟

ويعود هذا الانسان ليدبر جهاز الراديو فيسمع المذيع
بصوته الامر القوي يذكر اخبار فيضانات ومذابح راح ضحيتها
مئات الالوف ، وعن طبق طائر ، وعن مزايا الصابون المعطر ،
ورجال الملايين الذين وصلوا الى ملاينهم لانهم يدخلون احد
اصناف السجائر .. وكل ذلك بنفس الصوت الامر المليء
بالثقة .. وفي الشارع يواجه باعلانات ضخمة عن مسرحية
لارثر هيلر ، وعن الكوكاكولا ، وعن كتاب عن الصواريخ يشيد
بجمال حسناوات المريخ ..

ويقنعه العليمون ببواطن الامور ان الانسان المتحضر
هو ذا الذي يفكر دون انفعال ، يقال ان التفكير عملية باردة
كمجموعة ارقام ، وتقوم فلسفات كاملة ينشرها فلاسفة
ينوعون بعدد ضخيم من الجوائز الرسمية تحت اسم الوضعية
والتجريبية وغيرها من الاسماء لتأكيد هذه الفكرة ؟ ولتأكيد
رأي اخر اكثر خطورة وضرراً وهو ان كل الاشياء مجموعة
ظواهر متفرقة لارابط بينها ، ولا علاقة .. ان الذين يفكرون
وينفعلون بافكارهم هم مثيرو الفتن .. وهكذا يبدو
المفكرون الذين غيروا وجه التاريخ والذين كانوا يتحمسون
لافكارهم حتى التضحية بانفسهم ، يبدو سقراط وجاليلو
ولافوازيه ، وروسو ، وفولتير وتوماس بين مجرد اناس
ذوي ذقون طويلة ومضحكون .. ان الحماس والانفعال
— يقال له — هما طابع الافلام المثيرة ، وموسيقى الجاز ،
والاغاني السخيفة ..

ولا تكتفي المدنية الحديثة بان تملأ الانسان بكل هذه
الروائع فهي تضع له المثال الذي عليه ان يحتذيه .. انسان
يحرره الشعور بخطة غامضة يندفع ليل نهار باحثاً عن
النجاح .. يدفعه القلق والخوف من غضب المجتمع عليه ،
والشعور بالوحدة ، وانهك داخلي ..
ان انساناً تخلقه هذه الحضارة هو الانسان المتكيف والمحدد
اجتماعياً وحسب ، انسان لم يتفاعل مع المجتمع بل جعل

من ذاته معرضا لجميع القيم الاجتماعية دون نقاش ، ان مثل هذا الانسان وان يكن حيا بيولوجيا ، ولكنه يعتبر ميتا عقليا وانفعاليا .

ولكن هل يعني هذا ان كل تطور زائف ؟ وان الحل هو ماينادي به رجعيون امثال ت.س. اليوت وهو الرجوع لحياة القرون الوسطى ولسلطان الكنيسة الكاثوليكية ؟ هل هي الخطيئة الاصلية التي لازمت ادم وحواء مذ اكلا من شجرة معرفة الخير والشر ، فاكشفنا فجأة العناء والعذاب والالام والصراع الذي يرافق المعرفة والحرية ؟ ان التوراة تقول لنا ان باب الجنة قد اغلق دوننا ، كما ان الكروبيم يحمل سيفاذ ليهب متقلب لحراسة طريق الجنة حتى يمنع الانسان من العودة .

وليس عدم امكانية الرجوع الى حياة القرون الوسطى هو مستحيل وحسب ولكنه ضار ايضا ؟ فان التحرر من قيود الحياة الاقطاعية ، والتخلص من العلاقات الاولية التي كانت تغل حرية الانسان هو خطوة ذات اهمية بالغة ، وما علينا الا ان نخطو الخطوة الاخرى وهي تحقيق المعنى الايجابي للحرية .

ان الخطوط العريضة لهذا الحل في المجال الاقتصادي هو التخطيط والتوجيه الاقتصادي ، حيث تصبح القوى الاقتصادية وبالتالي القوى الاجتماعية خاضعة لسيطرة الانسان ومفهومة له تماما . ان هذا ينقل معركة الانسان من مرحلة التخبط والضياع داخل صراع اجتماعي لا مبرر له الى مستوى معركة الانسان ضد الطبيعة مباشرة .

ان فهم العالم وقوانينه في المستوى الاول للمعركة يقود للثورة ، ولهذا السبب يجهد فلاسفة المجتمع الحديث لتميع وعي الانسان بالعالم ، وان الانفعال الذي يرافق الفكرة يقود الانسان الى تحقيق هذه الفكرة في العالم

كتابان خطيران

عارنا في الجزائر : لجان بول سارتر

الجلادون : لهنري اليغ

ترجمة عابدة وسهيل ادريس

دار الاداب

الخارجي . اننا ننتقل بالانسان من مرحلة التحرر السى مرحلة الثوري ، ونعيد انتماءه الى العالم وللآخرين .

ان العفوية تصبح طابع فعل الانسان الجديد تقوم به الشخصية ككل متكامل حيث لا تفصل بين الانفعال والتفكير . ويمكن ان نضرب لذلك مثالا بالعمل الفني الممتاز حيث يلتحم الفكر والانفعال والحدث في كل عضوي موحد ، ان الفعل لا يعود محددا بقيم النجاح الاجتماعي والتفوق على الآخرين ، ولا يعود دافعه الخوف من الوحدة ، او عدم الاطمئنان للمستقبل ، ان الفرد يصبح هو ذاته ، وينتقل من مرحلة التاجر المضارب الى مرحلة الانسان .

ولكن قد يعترض البعض بان مثل هذا المجتمع سدى يكون طابعه الفوضى . الواقع ان العكس هو الصحيح ، ان الفوضى التي تعم المجتمع الحديث هي نتاج الفوضى الاقتصادية والرغبة في التخطيط وحسب السيطرة التي تنبع كلها من جذر واحد وهو رغبة الانسان في الربح ، التي اخذت مكان هدف اخر هو ان نعيش حياتنا بعمق وسعة .

الانسان العربي في المازق

ان التخطيطات السالفة لا تنطبق على مجتمعنا العربي تماما بسبب اختلاف المرحلة التي يمر بها العالم العربي وبسبب اختلاف الظروف التي تواجهه . فالمجتمع العربي مازال تسيطر - بشكل عام - عليه العلاقات الاقطاعية التي نمت في داخلها بعض علاقات واشكال الصناعة المتقدمة التي غالبا ماتمو وتتأكد خلال صراعاها مع العلاقات الاقطاعية ، ولقد استطاعت ان تحقق انتصارات هامة من مظاهرها النمو السريع للمدن في العالم العربي والتحول التدريجي الذي طرأ على اسلوب استغلال الارض : من المحاصصة السى العمل المأجور .

الا ان الاسلوب الذي يتم به هذا التغير تجعل الانسان داخل هذا المجتمع متوترا وخائفا . ان الشاب او الفتاة اللذين يفادران القرية ليصبحوا طلبة ، او عمالا ، او موظفين صفارا يواجهون بعالم يرفضهم ويخلق فيهم احساسا مريرا بالقرية . ويشعرون دوما بانهم مهددون . وبكلمة مختصرة انهم يواجهون عالما قد تخلص من جميع العلاقات الابوية والاولية التي كانت طابع قريته .

ووضعت حلول كثيرة لمعالجة هذا الموقف ، ولكن ، حتى الى وقت قريب ، كان اكثر هذه الحلول شيوعا هو الدعوة للرجوع الى العلاقات الاولية . فخلقت منظمات ضخمة ذات طابع ديني متطرف لاقت اقبالا منقطع النظير يؤكد هذه الدعوة للرجوع للعلاقات الابوية والحق ان سبب الانتشار السريع لهذه الدعوة لم يكن سببه غربة الانسان في المدينة وحسب ، وانما هنالك سبب يفوقه اهمية وخطورة وهو انه حتى الان مايزال طابع الافكار السائدة هو طابع المجتمع الاقطاعي .

ولتأكيد هذه الفكرة ساضرب مثلا مطولا بعض الشيء . في كل يوم تتلقى معظم المجلات في العالم العربي وغيرهامن وسائل النشر مئات الرسائل التي تحمل هموما ومشاكل

شخصية وتطالب بالحل . ولو أننا القينا نظرة على الحلول التي تذاغ لتأكدت لدينا هذه الفكرة .

فمثلا هذه مشكلة لا تكاد تخلو منها مجلة : فتاة تحب شخصا اسلمت له نفسها في لحظة ضعف وهو لم يعتزم على الزواج او يؤجل هذا الزواج بسبب ظروف معينة .. فما هو الحل ؟ ساختار بعض الحلول من عدد من المجلات ، فهذه مجلة تعتذر لعدم احتواء قاموس اللغة على نعوت كافية لتصف مدى انحطاط هذه الفتاة .. وعلى كل حال فالذنب ذنبها.. وترد مجلة اخرى : انها تستنكر انتماء هذه الفتاة الى بنات حواء الطاهرات الديبول الخ .. وتجمع هذه المجلات ان اخلاص الفتى - وهو غالبا ما يطلق عليه اسم الذنب - مرهون بالذهاب الى والد الفتاة وعصر يديه طالبا القرب . اي ان هذه المجلات ترى ان الطريق للعلاقة بين الفتى والفتاة يجب ان يمر اولا خلال الاب - وتحمد الله لجهل هؤلاء السادة والسيدات اذ هم لا يعلمون ان هنالك مجتمعات ليست طريق الاب فيها سهلة يسيرة الى هذا الحد ، ففيها على طالب القرب ، قبل ان يتوجه للاب ، ان يحمل على راس رمحہ رؤوس عدد من الرجال والاسود والنمرة .

وعندما يطرح الشباب مشكلة قلقه من عالم غير مفهوم وغير حنون ، ينصح بان ينضم الى احدى الجمعيات الخيرية وان يشد على وجهه ابتسامة لكل من بلفاه . فهذا شاب قد طرح المشكلة التالية : انه يحس ان العلاقات الانسانية اصبحت مجرد علاقات تبادل ، وان مدى الاحترام والحب الذي يناله الانسان مرهون بالمركز والجاه والقدرة ؟ وان الابتسامة لها دلالتها النفعية قبل ان يكون لها دلالتها الانسانية ... ترى بماذا جوزي هذا الشاب على حساسيته وفهمه الممتاز للعلاقات الاجتماعية ؟ كان الرد بان ما عليه الا ان يتخطى عتبة احدى النوادي حتى يفتح الله ويزيل ما بنفسه من الوسواس والاوهام .

وعندما يختار الشباب فتاة اقل منه في المركز الاجتماعي وخلافا لرغبة الوالدين ، فهنا الطامة الكبرى ، فما عليه الا ان يفيق من نشوة فسوقه لينال جزاء فعلته النكراء .

وتتساءل احدى المجلات باستمرار : كيف تعرفت به ؟ واي جنون دفعك الى الخلوة به ؟ الم تعرفي بعد قسوة الذئاب البشرية ؟ وتبدو المسألة كأنه من المستحيل ان تتعرف فتاة على فتى في مجتمعنا وان تخلو به ؟ وكان حدوث ذلك امر مخالف لكل نوااميس الطبيعة . واذا عزم اثنان من دينين مختلفين على الزواج فينصحان بان السكرة ستذهب غدا وتاتى الفكرة او شيء كهذا !

ان اخطر ما في المسألة ان يكون طالبو النصيح هؤلاء ممن تنقصهم روح الفكاهة فيحملون كل مايقال محمل الجد ، وهم لا يدركون ان معظم هؤلاء الذين يسدون لهم النصيح هم احرى الناس بملء عشرات الصفحات شكاوي من جور الزمان ومصائب الدهر .

هذه عينات قليلة ، وهي في رأيي ، ذات دلالة على نمط الافكار السائدة في مجتمعنا ، ونحن بالطبع لانستطيع ان نناقشها بمعزل عن الظروف الاجتماعية ، فال تصنيع والمدن الكبيرة تتيح للجنسين فرصا كبيرة للتلاقي والتعارف وتفرض علاقات معينة بين الجنسين ، فعندما نحاول ان نتجاهل هذه الحقيقة ونصر على ان العلاقات ذات الطابع الانفصالي هي التي يجب ان تسود بين الجنسين فاما ان يؤدي ذلك الى تجاهل هذه الافكار كلية ، او الى ان يحيا الانسان حياتين مختلفتين ، فمثلا الفتاة تمثل دور الخجل والبراءة في الظاهر ، وتخفي ، من ناحية اخرى ، علاقاتها التي

لا يرضى عنها المجتمع والتي لانستطيع تحقيقها من خلال مجال اجتماعي معترف به . ومن الواضح ان شخصية تعيش مثل هذا الانفصال لا يمكن ان تكون منتجة ومفيدة .

اننا عندما نمنعها من ممارسة حريتها فنحن نسلبها احترامها لنفسها واحترامها لكل قيمة اجتماعية . اننا نخلق زوجات يخن أزواجهن ، ونساء ضيقات الافق ومتعبات نفسيًا . وهكذا فان دور الافكار هنا هو دور معكوس ، لا يعجل بتحطيم العلاقات الاقطاعية ولكنه يؤكدها ، ولا يساعد على تطوير مجتمعنا ولكنه يشده الى الوراء .

ان ما تقدم يطرح مسألة في غاية الاهمية : وهي ماهو موقفنا من تراثنا الاجتماعي ؟ هنالك فكرة شائعة - للأسف - وهي اننا مادما امتدادا لاجيال سبقتنا لها تراث وثقافة معينة فان علينا ان نحافظ على ذلك ونتبناه . ويضيفون ، في العادة ، كلمات لا يعنونها كان نحافظ على الجوانب المتقدمة في تراثنا ونأخذها لنا مثالا نحتذي به ، وعندما ينسحب هذا الرأي على التطبيق ترى انه يقتصر على احياء ذكرى بعض الادباء العرب ، وذكر امجاد الخلافة العباسية ، مما يدل دلالة قاطعة على ان هؤلاء الناس لا يدركون معنى التراث ولا سبل تطويره .

وسأضرب مثالا لمشكلة في تراثنا تواجها ، ان الذين نشأوا في بيئة الفلاحين او اختلطوا بهم الاختلاط الكافي يدركون الحقيقة التالية جيدا : وهي ايمان الفلاح المطلق بالقدر وبعدم جدوى مقاومة اي سلطة تبدو له انها ذات طابع حتمي . ويأخذ هذا الاعتقاد في نفسه طابعا دينيا . فهو هذه بالطبع ظاهرة مبررة في ظروف الفلاح نفسه ، فهو

دراسات ادبية

من منشورات دار الاداب

للدكتور محمد مندور

قصايا جديدة في ادبنا الحديث

لرجاء النقاش

في أزمة الثقافة المصرية

لمحي الدين صبحي

نزار قباني شاعرا وانسانا

الكتاب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب. ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

★

الإدارة

شارع سوريا - راس الخندق العميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٦ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الاداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

يعتمد في زراعة ارضه على المطر الذي قد يجيء وقد لا يجيء ؟ وحياته تنتهي لاسباب لا يعرفها وهو غالباً ما يرجعها الى اسباب خلقية ؟ وهو يرى من الحكومة ذلك الجانب الذي يرغمه على دفع الضرائب ويسوقه للسجن بسبب قوانين لا يفهمها . كما ان جميع ثوراته كانت تمنى بالفشل ، وهكذا يبدو العالم له وكأنه مفروض عليه ولا حيلة له فيه . وعندما ينتقل هذا الفلاح الى المدينة كعامل او كموظف صغير فهو لا ينسى هذا الجانب من تراثه ، ففي اماكن كثيرة من العالم التي اتيحت لي زيارتها كنت اشاهد السيارات تعلق على واجهاتها تماثيل وحجبا وخزرا ازرق كما تكتب عليها شعارات كالتالية : وما توكلني الا على الله ، او ، سيري فعين الله ترعاك ، عين الحسود فيها غود يارضا الوالدين ... الخ ... والظروف التي تدعوه لهذا الاعتقاد لا تختلف عن الظروف التي تدفع الفلاح للايمان المطلق بالقدر . انني ساطرح هنا خطوطا عريضة تشكل في رأيي الاساس لتطور مجتمعنا ولمعالجة مشكلة التراث :

١ - ان الملاحظ ان المنظمات ذات الطابع الديني المتطرف التي كانت تقوم في العالم العربي ، والتي كان تنظيمها يقوم على اذابة كل اثر للحرية الفردية وخلق علاقات ابوية تشبه الى حد كبير العلاقات الابوية التي كانت سائدة في القرية كانت تتلاشى بسرعة عجيبة بمجرد ان تواجهها ازمة من الازمات . ان دلالة هذا هو استحالة الرجوع الى العلاقات الاولى التي كانت تنظم حياة القرية فيما مضى . يضاف الى ذلك ان محاولة الرجوع الى تلك العلاقات فيه قضاء على الحرية الفردية وتعطيل لكل القدرات الانسانية المبدعة ولكل ما حققناه وضحينا في سبيله من مكاسب . ان تأكيد هذه العلاقات من خلال المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية يعني تعميق الاستغلال الاقتصادي ، والرجعية السياسية ، والتأخر الاجتماعي .

٢ - التصنيع لكل المرافق وادوات الانتاج ووسائله اذ هو يشكل العامل الاساسي للقضاء على هذه العلاقات ولخلق مجتمع جديد متقدم . ولكن هذه الخطوة ، اذا اقتصر عليها ، ستصبح عديمة الجدوى لانها ستؤدي في النهاية الى خلق انسان مفرغ ، ضائع ، هدف لكل دعاية رجعية لان تسوقه وتتحكم فيه . ان انسانا متحررا من العلاقات الاقطاعية والابدية ، يفتقد في الوقت ذاته الاطمئنان على مستقبله ، معطل الطاقات والقوى ، يفتقد حريته ، والفرص لتحقيق طاقاته الحسية والانفعالية خلال اطواره الاجتماعي هو اسوأ نتاج لاي مجتمع ، انه انسان من الناحية البيولوجية وحسب .

٣ - ان هذا يستلزم خطوة ملازمة لعملية التصنيع وهي تنظيم اقتصاد المجتمع بشكل يتيح للاكثرية من الناس ان تشارك في الثروات الاقتصادية والثقافية للمجتمع ، كما يتيح له السيطرة على هذا المجتمع وتوجيهه حتى يصبح مفهوما وخاضعا لارادته ومصالحته .

غالب هلسا

القاهرة

اجواب الأخير

قصة

بسم الدكتور سلمان قطاية

« ايها المعرفة المرة التي نستخلصها من
الترحال ان العالم الصغير الرقيب يرينا
اليوم وأمس وغدا يرينا دوما صورتنا
واحة من الرعب في صحراء من الضجر »
« بودلير »

فعذرتة وقلت : لعله لا يزال على غضبه !
فنهضت وذهبت اليه توا ، وكان رأس العصفور في ذلك الحين يتكلم
معه وقد بدأ منشراح الصدر !
قت لصديقي « ك » وكأنني اتابع حديثا سابقا :
- لست اسفا على ما حصل ! المهم ان ترضى وارضى ثم ننسى .
فالتفت « ك » الي كالمصعوق وقال :
- شكرا .
واحبست بهذه الكلمة كالقذيفة .
والتفت الي رأس العصفور متابعا حديثه .. ولكنني لم اياس ولم
انزعج وداخلني شعور التلميذ امام عتبة الامتحان فقلت لنفسي : ساجتاز
هذا الامتحان بنجاح . فاستقيمت ، واصلحت من وضع ربطة عنقي .
وتحننت وهمست :
- لا شك ان القدر قد داعبنا بخشونة ! أليس كذلك ؟
فالتفت عيناؤه نحوي ثم عادتا الي مكانهما السابق ..
وتابع الحديث ..
وهمت بالمشاورة حتى النجاح ، ولكنني وجدت ان هذا عمل لا جدوى
منه ، وان « ك » سخياف تماما .. وبعد فالحياة هكذا ..
فابتسمت طويلا، طويلا ؟! ولبثت في مكاني محملا في الرجلين اتابع
كلامهما بعيني . وكأنما شعرا بوطاة نظراتي « الذكية » فابتعدا .. فرفعت
يدي ، لاضع وجه « ك » ، باللقا ، كما يجب ، وكما كان من حقي ان افعل
لأبرهن على حريتي في الوجود .. كنت اريدها صفة مدوية لتوقظ
حواسي .. وارتفعت يدي بالفعل .. ولكن حانت منه التفاتة فسقطت
يدي الي جانبي ..

وصعد الاستاذ « ه » الى المنصة ، وانهاه علينا بكلام . فحدقت فيه
وقد لمت نظارته الذهبية فوق انفه الضخم . تخيلت انه ابكم ، وانه
يحرك يديه ، ويفتح فاه .. بدون صوت . فضحكت بسرور لهذه الفكرة
.. اللذيذة .. واستدارت الرؤوس ، وصويت النظرات علي . وعلمت
ان ضحكتي جاءت بعد حملة مليئة بالمواقف الحزينة ، والمرارة الاكيدة
عن حبيب هاجر لثيم ، وصفه احد الشعراء !
فتركت المحاضر ونظارته ، وتحولت الى الآخرين . وراعتي مشهد
الرؤوس من الخلف ، وقد استدارت كمكرات البطيخ ورحت اعددها مرارا
وتكرارا . وفجأة وقعت على شخص غريب في الطرف المقابل .. أبيض

« استيقظت صباحا مستريح الخاطر ، هاديء البال . كأنما ولدت
نفسي من السديم من جديد .
ورغم الصداق الذي كنت اشكو منه ، فقد كنت اشعر براحة نفسية
غريبة عميقة .

ولكن .. وبكل أسف لم يدم ذلك الشعور وتلك الراحة زمنا طويلا،
فسرعان ماهاجمتني افكاري اليومية التي كنت ارددها دوما حتى اعتدتها
 واصبحت اشعر بالحنين اليها كلما شغلت عنها ، وافرح بلقاها كلما طال
بعادها .

ولكنني في هذه المرة شعرت بنفسي ببضاء نظيفة جديدة ، واضطربت
عندما عادت افكاري المعتادة الي ، فاستقبلتها بفتور !
كان علي مساء ان اذهب للاستماع الي محاضرة الاستاذ « ه » ولقد
قررت الذهاب الي « الجمعية الادبية » وليس ذلك حبا بالاستاذواعجابا
به ، فهو رتيب كتيب ، انما كي اشعر بنفسي كلما وجدت في مجتمع
اكاد ان اجعله بكليته .

وهكذا كان .. وفي المساء ذهبت الي مقر الجمعية الفاخر وقبل
الساعة المصروبة بنصف ساعة ، فلم اجد هناك سوى فئة قليلة من اعضاء
الجمعية ، بالبستهم الانيقة ، ووجوههم « اللامعة » الهادئة ، ومنها تطل
الرفاهية والدعة ، والراحة .. والحقارة ايضا ..
واقبلت عليهم مسلما .. فردوا التحية بفتور ، ثم نظروا الي شزرا،
وبأزدراء !

فضحكت بهدوء ، ثم بعنف شديد . وكنت اريد ان ابين لهم حقارتهم
فقلت : « سادتي .. انه ليشرفني ان ازور جمعيتكم الموقرة . وان استمع
الي المحاضرة القيمة التي اسهمتم في تقديمها »

فاجابني احدهم ، وهو رجل قد جاوز العقد الرابع من عمره ، وعلى
انفه الدقيق نظارة سميكة ، وكان رأسه كراس عصفور . اجابني بقوله
وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة مصطنعة : شكرا ... عال .. حسنا .
فضحكت في قرارة نفسي . وقلت : ياللسخف ، والتناقض ! اين الكرم
وحب الضيافة ؟

وهززت كتفي استخفافا ومضيت الي اول مقعد فالقيت بنفسي فيه .
وبدأ الناس بالتوافد ، وامتلات القاعة تقريبا .
وفجأة لحت وجه صديقي « ك » الذي تشاجرت معه البارحة بسبب
قصة عادنية . فاقبلت بنظراتي عليه مسلما ، فلم يعرني التفاتا .

الوجه ، أزرع العينين .. زرقة باهتة سخيقة بلون دخان السيجارة .
وانتابني شعور قوي بكراهية العيون الزرقاء وعجبت لألوان العيون !
كان الرجل قد جلس بهدوء واطمئنان صفيق ، واضعا رجلا فوق رجل ،
ووضع امامه : كرشا صغيرا مكورا .
كان ينظر الى الامام برقاعة ! وما لبث أن اخرج من جيبه غليوننا دليطا ،
فوضعه في زاوية من فمه وراح يدخن بفطرسية ! .. فتأملت لذلك انحال
وقلت : يا له من مسكين لو كان مكاني لادرك انه لا شيء .. لا شيء على
الاطلاق .

ولكنه - الصفيق - كان يبدو مفتبطا بوصفه اذ كان يحرق بشقة
واطمئنان فاسفت لكوني مرتبطا بشعوري مع الآخرين . وبأن حريتي
مرتبطة بذلك الشعور . وقلت : آه . لو كانت لي حريتي المطلقة الكاملة
اذا لقدفت بوجه هذا التكبر المتفطرس بشيء ما ... بحذائي مثلا ؟ ..
واللحق هذا المفروور درسا في الوجود العادي .. العادي جدا لهذا الجدار .
ولكنه لو ادرك نفسه هذه المشكلة لداخله الشعور بالحفارة .. الحفارة
لنفسه وللجميع ، ولعدل من جلسته هذه حالا وبسرعة . ولدخل في
طور جديد مثلما دخلت انا .

وتركته ، بنظراتي ، رغم شعوري الشديد بالانجذاب نحوه . واستقرت
النظر ، كطائر ، الى قلمي الاستاذ المحاضر ، فراعني انهما . ضسسخمان !
وتخيلته حافي الاقدام .. فابتسمت ، ثم ضحكت فالتفتت الرؤوس
(كرات البطيخ) ونظرت الي .. فزاد ضحكى .. وحانت مني التفتة
الى جاري فرايت الدموع تظفر من عينيه ، وعلمت فيما بعد ان المحاضر كان
قد استرسل في حديثه عن نفس الشاعر والحبيب الهاجر ! .. عجباً .
قلت : فلنقلب الصفحة ولنغير الموضوع عمدا .

ونظرت الى اليمين فرايت امرأة في الثلاثين من عمرها ، وقد استقرت
على كرسيها بهدوء واحتشام . وضعت يديها على ركبتيها منبسطة ،
والصقت ساقها الواحدة جانب الاخرى . واستكانت تقاطع وجهها ، كوجه
لعبة ، لا تنطق بشيء .

واعت ، فجأة ، عيناها الخضراوان بنور غريب ، بينما انتصبت شفاهها
الصغيرتان ببعضهما دون حراك . وخيل الي بفتة انها قطعة ، ذات عيين
خضراوين براقين ، وقد القت على مؤخرتها ، وانكأت على طرفيها
الاساسيين ! وعدت بسرعة ، بعد ذلك ، الى المرأة نفسها احماق فيها .
وقلت انفسى : انها قطعة حتما .. وككل قطعة فهي تحب اكل اللحيم .
وشعرت بان هذا الاستقراء ذو حقيقة . ورغبت ، أسفا ، لو اننسى
استطعت بعد المحاضرة ان اتأكد من ذلك بصراحة .. ولكن هيهات !
ويظهر ان المحاضرة قد انتهت ، او هكذا خيل الي ، لست أدري ،
وصفق الناس ، فنهضت لاني شعرت بالتعب والصفيق وافسحت لاني
طريقا بين الحاضرين وخرجت .. واذا بجاري « العاطفي » يخرج لثم
يستدير نحوي ويقول باسمي :

- لم تنته المحاضرة بعد .. فلماذا خرجت ؟

فأجبت :

- لقد انتهى كل شيء ، بالنسبة لي .. انه العدم !

ضحك فقال :

- لقد ضقت ذرعا بكلامه آخر امري ، وادركت عقدة نفسه الحقيقية ،

ونقطة الارتكاز !

قلت :

- ما هذا ؟ ماذا يقول ؟ بل ماذا تريد ؟ قل ، افصح ! ..

ضحك .. وتنهى ، ثم قال :

- فلنمض .

ووددت ان اقف لاصبح به مستغفرا :

- اين تريد الذهاب ؟ ومن انت ؟ انا لا اعرفك !

ولكنني لم انبس بينت شقة وتابعت المسير . بينما وضع يديه في
بنطاله وانطلق بخطى وثيدة حثيثة !

قال :

- لعلك من عشاق الادب ؟

فقلت ببرود :

- كلا .

قال :

- اذا فانت من اولئك المدعين الذين يدافعون عن اغرب النظريات في
الادب بغية الشهرة !

فقلت :

- وما هي الوجودية هذه ؟

وهنا توقف عن مسيره وحدق في وقال بهدوء رهيب :

- هل انت موجود ؟

ففكرت لحظة بجد ووقار واجبت :

- لست ادري !

وارتسم العجب على وجهه، وجحظت عيناه حتى كادتا ان تتركما محجرتيهما
وقفل راجعا وقال :

- سأعود .

فقلت ، وكانني في غيبوبة

- وداعا !

ورفعت يدي الى اعلى ثم سقطت الى جانبي .

تنفست الصعداء بعد لحظة ، كأنما أزيح ثقلا كان يزرع على كاهلي .
وقلت لنفسي : يا للحماقة ! .. بل يا للجهل .. ولكن فلادعه مع الشاعر
وحبيته .. والمحاضر والقطعة .. فليسوف يصل الى نفس النتيجة ..
وظللت بضع دقائق وانا انظر ريمته ويسرة ، فلم يكن لي وجهة معينة ،
والوقت مبكر ، ولم اكن اشعر برغبة في النوم . ورحت افكر في وسيلة
لتمضية الوقت والسهرة ! ورغبت في زيارة مكان لم أزره منذ زمن بعيد .
ولكنني بعد ان استعرضت الاماكن التي اعتدتها وجدت انني قد زرتها
منذ امد قريب .

وهنا ، جاءني فكرة جديدة (وشد ما احب في نفسي هذه الطبيعة
ايجاد الافكار السريعة والحلول العملية ؟) ان اذهب فازور طبيبا منا
وافص عليه قصة طويلة عني ، فقد مضى زمن طويل لم أر فيه طبيبا . وقد
اقع على ما يسليني ويريطني بوجود الآخرين .

مشيت وانا اقول : سأدخل الى ثالث طبيب اصادفه في طريقي .
وبدأت اعد وانا اتصفح لافتات الاطباء : واحد .. اثنان .. ثلاثة
وصعدت السلم بسرعة ودخلت .. واذا بفرقة الانتظار ، وشاب (يظهر
انه الممرض) يستقبلني بابتسامة ترحاب ، ورجاني ان انتظر لحظة ففعلت .
وعندما استدرت وجدت نفسي امام وجهي .. في المرأة .. فافتربت
وصحنت :

- يا الله لشد ما تغيرت حتى لم اعد اشابه نفسي القديمة مطلقا . ما
اصعب تحمل الحقيقة والاعتراف بها !

شعرت بسرور عميق ، سحيق في قرارة نفسي .. لان شيئا ما قد

تغير ! ورحت احدى من جديد واتفحص التفاصيل والدقائق ، ووجدت ان عددا من الجزيرات قد بدأت في الظهور في رأسي بسبب سقوط شعري مع تقدمي في السن ، وازدادت تجاعيد وجهي عددا وزادت عمقا وحدة . وراعتني ، خاصة ، هزالي وشحوبي . فاصابني ما يشبه الذهول . وجاء المرض يدعوني لدخول غرفة الفحص .. وفعلت . فوجدت الطبيب وقد انتصب وراء منضدته مرحبا !

وجلست بعد ان دعاني وقال :

- ما بك ؟

واستدركت شجاعتي فجذعت اطرافها وحملت في الجدار امامي هنيهة

وقلت :

- انني اشكو .. اشكو من كل شيء .

فقال :

- حسنا ولكن اليس هناك من موضع يؤلك اكثر من غيره ؟

قلت :

- هذا بالضبط ما عانيت !

قال :

- عال .. اين ؟

- هنا

واشرت بسبابتي الى صدري . قال :

- هنا ؟

قلت :

- نعم انني اشعر بنخرة هنا .

قال :

- هل تسعل ؟

قلت :

- احيانا ، واضفت :

- ثم انني معدوم القابلية والنوم ، ولقد فقدت من وزني الكثير . وبدا الجد والصرامة على وجهه . وتناول ادواته وبدأ يفحصني بدقه وعناية . فقلت لنفسني: لقد نجحت وها هو مهتم بالامر جديا .. ستكون هناك مفاجأة !

ولم يلبث الطبيب ان فطب حاجبيه ووقف هنيهة ثم قال :

- من المستحسن ان ارى رثيك خلال الاشعة . فاحثيت رأسي موافقا .

واطفا النور ، ووقفت وراء الجهاز . وعدت اردي ثيابي بينما جلس

خلف منضدته وتهمل ، ثم سعل .. وحدى في قدميه قليلا وما لبث ان رفع نظاره وثبتها في وقال :

- يؤسفني ايها السيد ان اخبرك بنبا غير سعيد .. ولكن لا نخف .

فقلت ببساطة :

- لست خائفا .

قال :

- امتزوج انت ؟

قلت :

- لا

قال :

- اتميل احدا ؟

قلت :

- لا ، انتي وحيد

فقال :

- اذا ليس علي الا ان اصارك بحقيقة الامر .

ونهض ثم ادار لي ظهره ، ونظر خلال النافذة الى بعيد ، وما لبث ان استدار الي ، بحركة مسرحية ، وقال :

- انك مصاب بسرطان الرئة !

.. تابعت ارتداء ملابسي بهدوء . وظل الطبيب منتصبا يحدق في بذهول . ثم جلست على المقعد واخرجت سيكارة وقلت له :

- اتدخن ؟

فهر براسه ان لا . قال :

- هل تعلم ماذا يعني : سرطان الرئة ؟

قلت او بالاحرى تساقطت الكلمات من فمي بهدوء ورتابة كاوراق الخريف :

- نعم . انه الداء القتال ... العضال . اليس كذلك ؟

فيدا عليه العجب والغم وصاح :

- الا يحزنك ذلك ؟

قلت :

- لا .. ما دام هذا السرطان لا يشعرني بوجوده ، فانا لا اهتم به ولا اقيم له وزنا فكلانا مستقل عن الآخر ذاتيا .

فتمتم بكلام غير مفهوم ، وهز رأسه بهدوء .

والقيت على المنضدة بورقة مالية وانصرفت .

✱

عدت الى غرفتي تواءا وابتعدت الى الفراش في الحال وانا افكر في المحاضرة وفي الوجوه التي رايتها هناك . ثم نمت نوما عميقا لم اسعد بمثله من قبل .

في اليوم التالي عندما ذهبت الى المكتب في دار البريد حيث اعمل وجلست خلف الكرسي العتيق القديم وراء منضدتي . وبينما كنت اقلب الاوراق تذكرت ما قاله الطبيب « انك مصاب بسرطان الرئة » فضحكت غبطة وسرورا ، والتفت الى زملائي وهم منهمكون في الحديث عن السهرة التي امضوها ليلة البارحة .

فوففت ، بغتة ، وحدقت فيهم طويلا .. فالتفتوا وقد استرعب اذانهم الضجة التي حدثت عندما دفعت الكرسي الى الخلف لانهض واقفا .. اتخذت وضعية الجد والرزانة وقلت برنة رهيبية :

- ايها السادة الزملاء .. انني مصاب بسرطان الرئة ؟

فوجدوا كالمصعوقين ، امام هذا النبا .

فخامرني شعور غريب ولكنه لذيق . قلت لنفسني : لقد القيت بتلك الجملة مثل « يوسف وهبي » او احسن منه . لقد استطعت ان اوقف ثروتهم التي لا تنتهي ، لقد تمكنت من صعقهم بقصة عن ذاتي وكياني . لقد ربطت مصيرهم بمصيري ولو لبضع دقائق سفار .

قال احدهم :

- كيف ؟ هل هذا صحيح ؟

قلت بلنة وغبطة :

- نعم . لعلمكم لاحظتم شحوبي ونحولي في الايام الاخيرة .

فاجاب اخر :

- هذا صحيح ، ولقد لغتنا نظرك الى ذلك مرارا دون جدوى .

قلت :

- لقد ذهبت البارحة الى طبيب اخصائي بامراض الصدر ! وبعد الفحص الدقيق على الاشعة تبين له ذلك .

فوجئوا من جديد . وزاد شعوري باللذة الغريبة عمقا .
ثم قال اخر :

- لا تصدق . لعله مخطيء ... اذهب واستشر غيره .
قلت :

- انه واثق من ذلك .

ثم تهالكت على الكرسي ، ووضعت رأسي على جبهتي كانسي اريد اليكاه .

وسمعت احدهم يقول :

- لا حول ولا قوة الا بالله .. يا للمسكين !

فوددت لو شتمت هذا الخبيث الذي كان لا يكف كل يوم عن الحديث عن النساء وماكسته لهن . وفلت لنفسي : لعل ذلك يذكره بالموت فيتعظ .

واقبل البعض حولي ليمشوا في الامل ، عارضين خدماتهم ، مغرحين اسماء اطباء اخرين في دمشق وبيروت والقاهرة ... بل حتى عرضوا علي المساعدات المادية . ولكني كنت واجما لا اجيب وفجأة ، نهضت وقلبت :

- زملائي ، اخواني . اشكركم جدا على تصرفكم هذا . ولكن دعوني وشائي ، دعوني وهمي فانا رجل مسكين !
فقال احدهم :

- يا للمصيبة . يكاد الرجل ان يفقد وعيه .
فانفجرت صائحا :

- انتم سبب علتي ، انكم تنظرون الي دوما كهذه الطاولة ، كهذه الطاولة ، كهذه الطاولة .

وضربت بقبضة يدي على المنضدة ثلاث مرات . والحقيقة انني احب جدا رقم ثلاثة . ولست ادري لماذا ؟ ولكن في تلك اللحظة بالذات وعندما سمعت هذه الضربات الثلاث تذكرت الضربات التي تسبق رفع الستار في المسارح !

عندئذ دفعت زملائي بعيدا عني بخشونة وانطلقت خارجا بسرعة .
وسمعت اثناء ذلك ، احدهم يقول :

- دعوه . لا بأس عليه . فليذهب للراحة هذا اليوم وستدبر الامر .
مضيت حتى الشارع الكبير ... الشارع المعتاد حيث كنت كل مساء اقوم بنزهتي اليومية ، فاصعد الطريق واعود مرارا وتكرارا حتى تكل قدامي فاعود الى الغرفة وانطلقت افتش عن تلك الوجوه التي اعتدت مصافحتها بانظاري كل يوم .. ولكني في ذلك الصباح لم اجد احدا ... لعلهم في اعمالهم فما كنت اراهم الا في المساء . كنت اريد رؤيتهم لاقول بطريقتي الخاصة اي يا بقاء دون كلام : انني مصاب بسرطان الرئة !

اقتربت من المقهى المعتاد قائلا : لعلهم فيه . ودفعت الباب الزجاجي ودخلت انظر مستطلعا يمنة ويسرة ، واتصفح الوجوه بدقة ... دون جدوى . لم تكن هناك تلك الوجوه التي كنت احس نحوها بالاخوة ، والمحبة .

اجتزت الشارع وذهبت نحو المقهى الاخر ولم ادخله انما اكتفيت بالتطلع خلال الباب الزجاجي : فلم اجد احدا . ولحقت صورتي منعكسة على الزجاج فرامني منظرها : لقد وجدت فيها نشاطا وحيوية لم اعهدهما

من قبل . وحدثت في عيني : يا الله . ما هذا التالى والاستعمال ..
ما هذه النظرات ؟!

وجدت في تقاطيعي علامات القبضة العميقة ، والحياة المتفجرة ...
والمرح ! كدت لا اصدق الزجاج ورحت اتلمسه باصبعي قطعة قطعة لانك من انني انا نفسي .

دام الامر بضع لحظات . حتى جاء احد الزبائن يريد الدخول فتوقف هنيهة محملا في عجا ثم دفعني بخشونة ودخل !

مشيت وانا اشعر بنفسي خفة ورشاقة وحيوية لم اعهدا من قبل . بل احسست برغبة في الفناء (مع انني لم احاول ذلك مطلقا بل انسي اكرهه) فافقتعت بالتصغير .

وفجأة : لمحت المرأة القطة . . . آكلة اللحوم .

كانت ترتدي معطفا انيقا جدا يكشف عن عنق طويل ناعم رقيق ، وقد نسقت شعرها على شكل حلقات ودوائر ، وازداد وجهها جمالا وبهاء ، كانت تمشي بهدوء وثقة واعتزاز .

فاتجهت نحوها مسرعا وقلت : ساقدم لها نفسي ، وساسالها اذا ما كانت فعلا تحب اكل اللحوم ؟

ولما اقتربت منها توقفت لحظة كأنما فاجأتها فكرة طارئة ثم انعطفت ودخلت محلا لبيع الملابس النسائية .

فوقفت امام واجهة المحل اتأمل معروضاته ، مترددا في الدخول ! ولكن العنقوان الجديد الذي كنت اشعر به آنذاك دفعني الى الدخول .
فقلت ..

كانت القطة تقلب بعض المعروضات من البسة واقمشة وتناقش البائع الشاب الذي اقبل عليها وقد ارتسمت على فمه ابتسامة عريضة .
والقى الشاب علي نظرة سريعة ، وعاد يكلمها كأنما افهمني ان انتظر حتى يلبي طلبها .

ولكنني تقدمت منها ، فالتفت الي ، فقلت متلعثما :

- سيدتي ... هل لك ان تجيبي رجائي ؟

فقالت لي بعينها : لماذا ؟ ثم ألقت نظرة فاحصة ، وركزت نظرها في

اطلب ((الاداب))

في المملكة المغربية الشريفة

من وكيلها العام السيد احمد عيسى صاحب

مكتبة الوحدة العربية

١٧ شارع الملكة (الاحباس)

الدار البيضاء

عيني ، وانتظرت .. فقلت :

- سيدتي انني لا اجد العبارة المناسبة انما ..

وكانما تأثرت بمنظري الشعث البسيط ، فابتسمت برفقة مشجعة ،
وعيناهما فلقتان خائفتان . اردفت فجأة كأنما اريد ان اتخلص من
كابوس مخيف :

- انني مصاب بالسرطان ..

فتقلص وجهها الرقيق هنيهة . ففرحت بذلك فرحا شديدا ، كدت
القي بنفسي عليها ... ولكن ... ولكنها ما لبثت ان مدت لي يدها .
وفيها قطعة نقود !! وقالت :

- شغالك الله !

صعقت لهذه الحركة الغير المنتظرة . واعتبرت الامر اهانة لا تقتفر .
قلت بحدة :

- سيدتي ، انني لست شحاذا .. انني ايتها القط (وكدت اقول
القطعة) السيدة المحترمة ارفع من ذلك . اريد ان تجيبيني على سؤال
... هل تحبين اكل اللحوم ؟

فبدأ على وجهها الاستغراب والدهشة مع شيء من التقرؤ .

فعرفت الجواب : انها حتما لا تحب اللحوم !

واستدارت نحو الشاب بانظارها كأنما تطلب النجدة . فقال لي هذا
بغلظة :

- اذهب من هنا ايها الحقيير ، ايها الشحاذا الغبي ...

فاجبت ، وقد سررت ضمننا لان الامر تطور حتى هذا الحد ، وشعرت
باعماقي بمرح كطفل يلعب .

- لا .. لا لن اذهب حتى انال ما اريد ..

فاقترب مني مهددا وقال :

- يا للصفاقة . اخرج .

ودفعني بيده . ولكنني صممت على المقاومة حتى النهاية . قلت :

- مهلا ... الا فاعلم من انا ؟

ورفعت راسي فلاحت مني التفاتة عبر الباب ، فرأيت صديقي ((ك))
في الطريق :

تركت البائع مع القطعة واسرعت نحو ((ك)) .

اقتربت منه ، فالتفت الي باسما . فقلت له بسرور :

- صباح الخير .

استغرب موقفي . لكنه قال :

- مرحبا . كيف حالك ؟

قلت :

- سيء للغاية .

قال :

- كيف ؟

فوقفت عن المسير ، وقلت وانا اللفظ كل كلمة اثر اخرى بهدوء :

- انني .. مصاب .. بسرطان .. الرئة .

فففر فاه عجا . وقال بعد هنيهة :

- كيف ؟ سرطان ؟ هذا عجيب .

قلت :

- وما وجه العجب ؟ الست بشرا كالاخرين ؟ ..

ولاحظت ان الالم قد رسم على وجهه خطوطا عميقة ... ففرحت
وقلت في نفسي : سانتقم منك ايها الحقيير ... من اهانتك المتكررة

لي .. ويوم المحاضرة ، يوم استكبرت فهرت مني . فاردفت :

- نعم انه السرطان ذلك الداء الخبيث

فقال :

- هلم ... اريد ان اساعدك بكل ما يمكنني . من هو الطبيب الذي
قال ذلك ؟ وكيف جرى الامر ؟ هيا .. قص علي كل شيء .

وامسك بذراعي يجري . فسحبته منه قائلا :

- كلا ... دعني وشاني فانك رجل مسكين .. مسكين .

وتركته وهربت سرعا .

دخلت غرفتي الرمادية ، وذهبت الى النافذة ففتحتها على مصراعيها
فوجدت امامي وفي العمارة المقابلة « نوال » بنت الجيران .

كانت نوال فتاة شابة من عائلة بسيطة ، تمتاز بالحيوية والاذونة
الناضجة .

كنت احب عينيها العسليتين وقدها المياس .

وطالما عشت معها ساعات جميلة ولذيذة وانا وحدي . ولم افكر
ان اعترض طريق حياتها يوما ما . ولماذا ؟

انها حتما ، ككل النساء ، تعتقد انه يجب على الرجل ان يحسب
فيتزوج فينجب الاطفال ... يا للتفاهة ! ان المرأة تجعل الرجل يحتقر
نفسه الى درجة لا تطاق .. فوق درجة الاحتمال .

رنت نوال الي بانظارها من الشرفة وراحت تفني :

« الفرام اصله نظرة » ! فهزئت كتفي استخفافا : نظرة .. نظرة ..
يا لها من نظرية ؟!

كنت كثيرا ما اراها فاتخيلها عارية في الطريق .. فاضحك لهسهذه
الفكرة . والغريب انني ما كنت ادرك وجود المرأة الا من خلال الجسد .
فكلما صادفت احدا من قارنتها بالرغبة التي تثيرها في وحكمت عليهما
كلما من خلال ذلك .

واحسست انني اريد ان اتكلم «نوال» لاقول لها انني مريض اوبالسرطان!
ولكنني طرحت الفكرة قائلا : لعلها ستظن انني واقع في غرامها وانني
ساطلب يدها ثم .. وشعرت بالفثيان الشديد .

كنت دوما اشعر بالفشل والقنوط وبالجزيرة .. ولكن اليوم وجدت
هدفا : انني مصاب بالسرطان !

والغريب انني اشعر بسعادة لم احلم بها في حياتي وعلمت ان القناعة
كنز السعادة الذي لا يفنى .

وفي ذلك اليوم تناولت طعامي بشهية لاعهد لي بها . ونمت في المساء
نوما عميقا .

واستيقظت في صباح اليوم التالي على قرع شديد على الباب .
فففزت من السرير بسرعة وانا في غاية الانزعاج . لان تلك اللحظة
الصباحية التي كنت اشعر فيها بالصفاء والنظامية الروحية قد ضاعت ..
فتحت الباب واذا باخي الاكبر امامي .. انه هو بالذات بقامته
المديدة واكتافه العريضة .

كنت اقدر فيه رجولته ، ولكنني اتضايق منها في ذات الوقت . وكنت
كلما جالسته شعرت بالضييق لقوة شخصيته وجبروتها .

ودخل اخي الغرفة والقي بنفسه في احضان الكرسي الخشبي المريض .
وقال :

عنكبوت

وطني اخاف عليك حين اراكا
تمتد للجاني الاثيم يداكا

شركاته شرك وكل عهوده
خدع فحاذر طامعا افاكا

ما ان تلوح له المغام ساعة
حتى يبالغ في بلوغ رضاكا

كالعنكبوت متى تقارب صيدها
شرهت وسال لعابها اسلاكها

نصبت على خيط الضياء شباكها
من حيث يلتبس الاسير فكاكا

لايخدعنك « مغرب » في وده
او « مشرق » اما شكا وتباكي

للاجنبي مطامع معروفة
سيان هذا في الدهاء وذاكا

النصح ان لاستمعين بناصح
آذى الوف الابرياء سواكا

من لايفيد من التجارب عبرة
جرت تجاربه عليه هلاكها

وديع ديب

- لقد جئت لنجدتك !

فقلت ببرود :

- لست بحاجة الى احد .

قال :

- بلى .

قلت :

- كيف ؟

قال :

- لقد علمت انك مصاب بسرطان الرئة ؟

فصحت فيه :

- ومن قال لك هذا ؟

فضحك وقال :

- انه صديقك « ل » لقد اتصل بي هاتفيا واخبرني بالامر ، فاسرعت اليك .

قلت محتجا :

- ولكنني لست بحاجة الى نجدة ... دعني وشأني بالله عليك . كنت طيلة ذلك الحديث اتحاشى النظر اليه وفي عينيه لانني اخاف نظراته ، وكان الخبيث يعرف ذلك تماما .

نهض واقفا واقترب مني ، وحدثني في عيني وقال بصوته الاجش ولهجة أمرة :

- هيا . ارتد ثيابك ستذهب معا وسنجد للامر حلا .

قلت :

- دعني ارجوك .

وكانني اقول :

- امرك مطاع .

... وخرجنا من الغرفة . وذهبنا الى الطبيب « غ » امهر طبيب في البلد ، والاختصاصي في امراض الصدر .

لاستطيع ان اصف آلي وحزني واكتأبي خلال تلك اللحظات التي قضيتها مع اخي لدى الطبيب . وبعد فحص دقيق ، وفحوص مخبرية وشعاعية .. انتهى الطبيب الى حكم قاطع حاسم فقال :

- « ليس هناك اية علامة لاي مرض كان ! »

فصحت فيه حانقا وبكراهية :

- لن نخدعنا يا هذا واولى بك ان لاتنسى الضمير والواجب .

فوجم الطبيب واحمر وجهه غيظا .

وغضب اخي غضبا شديدا ، وكاد ان يلتمهني بنظرانه ، ولكنه احتفظ بهدونه ، واعتذر بلطف .. ثم امرني بالخروج .

وفي طريق كانت مشاجرة عنيفة كدنا نصل بها الى الايدي .

وتركتني اخي والغضب ينهش فؤاده .

عدت الى غرفتي فجلست على سريري واجما انظر كمشدوه في الحائط الرمادي . وشمرت بحرقه وغصة . فانكببت على وجهي فوق السرير ابكي بالأم ومرارة واقول :

- لقد فقدت معنى الحياة ... كنت حيا فقتلوني .. المجرمون !

سلمان قطاية

عنكبوت

وطني اخاف عليك حين اراكا
تمتد للجاني الاثيم يداكا

شركاته شرك وكل عهوده
خدع فحاذر طامعا افاكا

ما ان تلوح له المغام ساعة
حتى يبالغ في بلوغ رضاكا

كالعنكبوت متى تقارب صيدها
شرهت وسال لعابها اسلاكها

نصبت على خيط الضياء شباكها
من حيث يلتبس الاسير فكاكا

لايخدعنك « مغرب » في وده
او « مشرق » اما شكا وتباكي

للاجنبي مطامع معروفة
سيان هذا في الدهاء وذاكا

النصح ان لاستمعين بناصح
آذى الوف الابرياء سواكا

من لايفيد من التجارب عبرة
جرت تجاربه عليه هلاكها

وديع ديب

- لقد جئت لنجدتك !

فقلت ببرود :

- لست بحاجة الى احد .

قال :

- بلى .

قلت :

- كيف ؟

قال :

- لقد علمت انك مصاب بسرطان الرئة ؟

فصحت فيه :

- ومن قال لك هذا ؟

فضحك وقال :

- انه صديقك « ل » لقد اتصل بي هاتفيا واخبرني بالامر ، فاسرعت اليك .

قلت محتجا :

- ولكنني لست بحاجة الى نجدة ... دعني وشأني بالله عليك . كنت طيلة ذلك الحديث اتحاشى النظر اليه وفي عينيه لانني اخاف نظراته ، وكان الخبيث يعرف ذلك تماما .

نهض واقفا واقترب مني ، وحدثني في عيني وقال بصوته الاجش ولهجة أمرة :

- هيا . ارتد ثيابك ستذهب معا وسنجد للامر حلا .

قلت :

- دعني ارجوك .

وكانني اقول :

- امرك مطاع .

... وخرجنا من الغرفة . وذهبنا الى الطبيب « غ » امهر طبيب في البلد ، والاختصاصي في امراض الصدر .

لاستطيع ان اصف آلي وحزني واكتأبي خلال تلك اللحظات التي قضيتها مع اخي لدى الطبيب . وبعد فحص دقيق ، وفحوص مخبرية وشعاعية .. انتهى الطبيب الى حكم قاطع حاسم فقال :

- « ليس هناك اية علامة لاي مرض كان ! »

فصحت فيه حانقا وبكراهية :

- لن نخدعنا يا هذا واولى بك ان لاتنسى الضمير والواجب .

فوجم الطبيب واحمر وجهه غيظا .

وغضب اخي غضبا شديدا ، وكاد ان يلتمهني بنظرانه ، ولكنه احتفظ بهدونه ، واعتذر بلطف .. ثم امرني بالخروج .

وفي لطريق كانت مشاجرة عنيفة كدنا نصل بها الى الايدي .

وتركني اخي والغضب ينهش فؤاده .

عدت الى غرفتي فجلست على سريري واجما انظر كمشدوه في الحائط الرمادي . وشمرت بحرقة وغصة . فانكببت على وجهي فوق السرير ابكي بالأم ومرارة واقول :

- لقد فقدت معنى الحياة ... كنت حيا فقتلوني .. المجرمون !

سلمان قطاية

اتجاهات في حياتنا الجبرية

بقلم علي بدور

تطور الشعر العربي

عندما تعاني تجربة مصير الانسان ، ومأساة حياته ، وعذاب ضميره ، وقلقه وخوفه من تعاقب الجديدين ، بلغة شعرية يفهمها البشر على اختلاف لغاتهم ووسائل تعبيرهم . والشعر الحق ما كان ترجمانا لحياة العصر . فتسعرنا في العصر الجاهلي ، والاسلامي والعباسي ، وعصور الانحطاط ، كان مرآة للعصر ، من حيث صدق التعبير عن نوازع البيئة ، وشيوع الثقافة ، واتجاه المجتمع نحو التطور ، وفهم الجماعات آنذاك للقيم الفكرية والجمالية والتعبيرية والبلاغية . فمن شعر البساطة وتمثل الحياة في بطاح الحجاز ، الى شعر التساؤل في العصر الاسلامي الى شعر العقل في مدرسة ابي تمام ، الى شعر الصنعة في عصور الانحطاط ، كانت كل هذه الخطوات مرسومة بحكم واقع الحياة الفكرية ، وتطورها وامتزاج العرب بغيرهم من الامم والشعوب ، ومساهماتهم في الحضارة الانسانية .

واليوم ، والشعر العربي بعد ان استعاد ديباجته العربية على يد شوقي ، وصفاء على يد الاخطل الصغير ، ومعانيه على يد ابي ريشة ، ورقته على يد شعراء المهجر ، اوشك ان يدخل منعطفًا جديدًا ، تفرضه طبيعة التطور لحياتنا العربية الجديدة ، ومحاولتنا خلق ثقافة عربية تسهم في الثقافة العالمية وايجاد شعر عربي ، لا يعبر عن حيائنا العربية الجديدة ، بقدر ما يبينها ولا ينفخ روح الحماسة في الاكف المصفقة بقدر ما يزودنا بالهدوء الذي نراه في عين الأعصار الثقيل .

فاذا تساءلنا عن ملامح هذا المنعطف الجديد لشعرنا العربي ليستطيع التعبير عن حياتنا العربية الجديدة وجدنا ان ثقافة العرب عندما امتزجت بثقافات الامم والشعوب الاخرى في الماضي ، قدمت للانسانية ابا العلاء المعري ، كشاعر عربي اصيل ، عبر عن قلق الانسان ومأساة البشرية من خلال تمثله الحق لتجربة الوجود التي عاشها بقلبه وفنه . واليوم ، والعرب ، على ابواب فجر جديد ، تتمثل فيه مطامحهم وامالهم ورغبتهم في التحرر من ربة عصور الظلام ، وقحط العقول التي انطفت في دنياها شعلة الفكر المتوهجة ، تنظر طبيعتهم المثقفة الى الشعر نظرة خاصة . تلتقي عندها آمالهم في ان تكون الثقافة العربية ، معبرة عن الحياة العربية والتجربة العربية التي قدمت المعري ذات يوم ، ومستوحية خطى التطور الفكري ، والتحرر العقلي

الشعر في حياة الانسان ظاهرة قد لا نجد دليلها العلمي في اللغة بقدر ما نجده في طبيعة الانسان وامتزاجه بالحياة من خلال الزمان والمكان . والشعر لدى الامم قديمها وحديثها انما هو وجدانها المعبر عن اعمق احساسها وعواطفها وافكارها في ملاحم البقاء ، وتبيان اغوار النفس الانسانية وما هي هذه الاغوار من حالات قد لا يصفها مجهر العالم المدقق ، بقدر ما يصفها خيال الشاعر المبدع .

والشعر قبل ان يكون ابجرا وعروضا وقوافي ، هو ألهام ومقدرة على ضبط عنان الفكر والقلب البشري ذي العواطف للتعبير عما يتجمع في عين الشاعر من مناظر وحوادث وخواطر واوصاف . فهو الموسيقى حيناً ، وهو الالهام حيناً آخر . . وهو اولا واخرا ، مقدرة على اتيان الخارف والغوص على الاعماق ، وجلو ما يعتري الانسان وحياته من خلال تجربته للعيش وخضوعه لسطوة المصير . ونظرة الى الحياة والكون واصطراع البشر فيهما ، نظرة تضيق كلما اتسعت ، وتعمق كلما تبسطت ، وتشف كلما بعد مجال رؤيتها ، فهي انسجام بين ما يراه الشاعر ويحسه قلبه البشري ، ويحاكمه منطق الانسان فيه ، فاذا المزيج افكار متناسقة ، ومشاعر مرسومة ، وحالة شعورية سامية تحيط باذرع رحيمة ، تلك الافكار والمشاعر ، في قصيدة شعرية ، هي في اللغة خلق ، وفي الفن دلالة على مجازاة الطبيعة في عملية الابداع الفطري ، فاذا تداول البشر هذه القصيدة باللغة التي يفهمونها ، ولدت فيهم حالة شعورية وعاطفية وفكرية . تدفعهم للتجرد من مظاهر تعارفوا عليها في حياتهم ، والتحلل من موروث الطعام والشراب ، للتحليق في عالم خاص ، يخلقه الشعر الجيد في النفس والفكر النيرين .

في هذا المفهوم للشعر والشاعر ، خطا الزمان خطواته الفسيحة ، فنقل الشعر العربي بعامة ، من مضارب انخيام في الصحراء الى حياة المدن المزدهمة بناسها ودخان معاملها وضجيج الاتها . وبعد ان كان الشاعر الفحل من كانت له حنجرة قوية ليسمع الصحراء بوديانها وكتبانها ، اضحى الشاعر الحق من ملك وترا ناعما كوتر الحمامة الصادية ، يخاطب به الانفس المتعبة ، والقلوب المرهقة ، ويحرك الافكار التي اتعبتها العواطف ، والعواطف التي اتعبتها الافكار ، ليسمو بالفكر المثقف الى سوية تحليل النفس الانسانية وكشف مشاعرها وعواطفها وافكارها ،

الذي شهده بلاط المأمون ، ليكون من مخاض هذه الثقافة التي ينسج خيوطها المثقفون العرب ، ثوبا لمجتمعهم العربي العتيق ، شعر يعبر عن حياتنا الجديدة ، وحضارتنا الجديدة . اذ ما دام الشعر لا ينفصل عن الثقافة ، والثقافة لا تنفصل عن المجتمع وما دام المجتمع يبدع حياة جديدة بحكم واقع اتصاله بالحضارة الحديثة ، فان الشعر الذي تفرضه حياتنا الجديدة ، هو الشعر الذي لا يحفل كثيرا بالالفاظ الضخمة الفخمة ، وان لا يكون الهدير الذي فيه ، هدير نفس فارغة تهوى الضجيج ، وتحب اثاره الغبار ، وان لا يخاطب العواطف البدائية والمشاعر الباهتة ، والعقول الساذجة ، بقصد الاثارة والتهيج ، لان طبيعة المجتمع ، وطبيعة الثقافة المعبرة عن تطوره ، تريد شعرا عميقا في صفاء ، جليلا في بساطة ، بعيدا ولكن في تناول العبين التي تلمس جماله ، والقلب الذي يستعذب صدق التعبير فيه ، فيخاطب الضمائر والعقول والانفس التي هذبته ساعات التأمل في هذه الحياة ، ويزيد من وقدة الجمرة الملتهبة في القلب ، بحب الشعب والوطن والانسانية ، وينمي فينا حاسة تذوق الجمال ، ومحبة الفضيلة ، وتعشق الحرية ، ويفتح لعقولنا كوى على جنة الفكر ، ويبني لارواحنا محاريب لعبادة المثل العليا في الحياة . ولا يعقل ان ينجح شاعر من الشعراء بله شاعرة من الشاعرات في رصف طريق تطورنا بالشعر ، المعبر عن حياتنا ، الا اذا كان الشاعر على درجة كبيرة من الوعي والفهم والتذوق ، والثقافة ، والنظرة البعيدة الى اعماق الانسان وحياة

ليستطيع ان يبدع من خلال تأمله وانصهاره في بوتقة الابداع ، شعرا تتمثل فيه نهضتنا الاجتماعية ، وثقافتنا القومية وحسنا الانساني ، وحياتنا ومطامحنا وآماننا وآلامنا ، فنقدم للانسانية الجديدة المعاصرة ، شاعرنا المبدع ، كما قدمنا في تاريخنا القديم ابا العلاء ، اما ما على مبصري زمانه ومشعلا هاديا لمن ضلوا الطريق .

لقد جعلت الحياة الجديدة من النفس الانسانية ، نفسا معقدة قد لا تذيب جمودها قصيدة من الشعر ، لها موسيقاها ووزنها ، وانتظام طولها وعرضها . . ولكن ليس فيها تلك الروح الملتهبة التي تصهر آلامنا لتجعل منها افراحا وصمودا في وجه خطوب الحياة . والثقافة التي نمت في رؤوس المثقفين وقلوبهم ، اوضحت بحاجة الى شعر ، له توتره الخاص ، وحساسيته الخاصة ، وتركيزه للأفكار والعواطف ، ليكون الطرب نابعا من صميم واقعنا ومجتمعنا وحياتنا ، وان لا يكون همنا ان تصطفق الاجنحة فحسب ، دون ان نهتم بمقدرتها على التحليق في الفضاء .

ولعلها ظاهرة جديرة بالانتباه ، تلك التي تشير الى التزام هذا المنهج الشعري ، وفق ما اسموه بالشعر الحديث . يلتزم التوطيد له شاعرات وشعراء ، محاولين بذلك تجديد شعرنا العربي ، بتجديد طريقة التعبير نفسها واصطناع الابحر الشعرية التي تناسبها . هذه المدرسة الشعرية الحديثة - وسلمى الخضراء الجيوسي من روادها - لا تنظر الى الشكل التقليدي للشعر ، نظرة عدا كما يصور ذلك بعض انصار الشعر التقليدي ، بقدر ما تنظر الى طريقته التعبير نفسها ، تلك التي لا تتلاءم معها الى حد بعيد ، الابحر التقليدية المعروفة . لان الشكل في الاساس لا يقدم ولا يؤخر في عملية الخلق الفني للشعر الجيد اذا كانت معانيه على غرار المعاني التي اتى عليها شعرنا القديم . والسليقة العربية التي ابدعت وطرقت دروبا واشكالا للتعبير جديدة في الاندلس بحكم التطور ، لن تعجز اليوم بحكم داعي التطور ايضا ، عن اصطناع اساليب جديدة في الشكل والمضمون الشعريين . ذلك ان الموسيقى باقية ، اذ لا شعر بلا موسيقى . . . ولكن التوزيع الموسيقي هو الذي يتغير . واذا كانت الموسيقى في الشعر التقليدي قائمة على اساس من ملائمة الكلمات كالفاظ للعرض الشعري ، فان الموسيقى في شعر المدرسة الحديثة ، قائمة على اساس من ملائمة المعاني قبل الالفاظ للسلم الموسيقي . والنماذج الجيدة من شعر هذه المدرسة ، تثبت ذلك بعد دراستها ، لانها في الاساس تقوم على امتزاج التأليف الموسيقي ، باللغة ، كمعان اولاً . والفاظ ثانياً . . وليس العكس كما هو متبع في اكثر شعرنا التقليدي ، وفي اكثر النماذج الجيدة منه على التخصيص .

والنقاد القدامى واكثر النقاد الحديثين اذا كانوا قد درسوا الشعر العربي كله على اساس من فصل الشكل عن المضمون ، فقد آن الاوان لدراسة شعرنا العربي القديم والحديث معا على اساس من عدم الفصل بين الشكل



مكتبة هاشم

شارع سوريا - بيروت

تلفون : ٢٦٠٧٩

سليمان العيسى

« « «

ف.و. فرو

محمد سليم رشدان

علي ابو حيدر

ليسنك

علي ناصر الدين

احمد قاسم البوريني

اربعة اجزاء

وليم ليكيه

فلاديمير نابوكوف

رمال عطشى

مع الفجر

بقلم العالم الاسلامي (٢٠١)

بطولات من تاريخنا

طريق فلسطين

المرس الماتم

قفية المغرب

الامارات السبع

فتاة نابلس

راسيوتين

ضحكة في الظلام

مع جميع منشورات دار المعارف المصرية

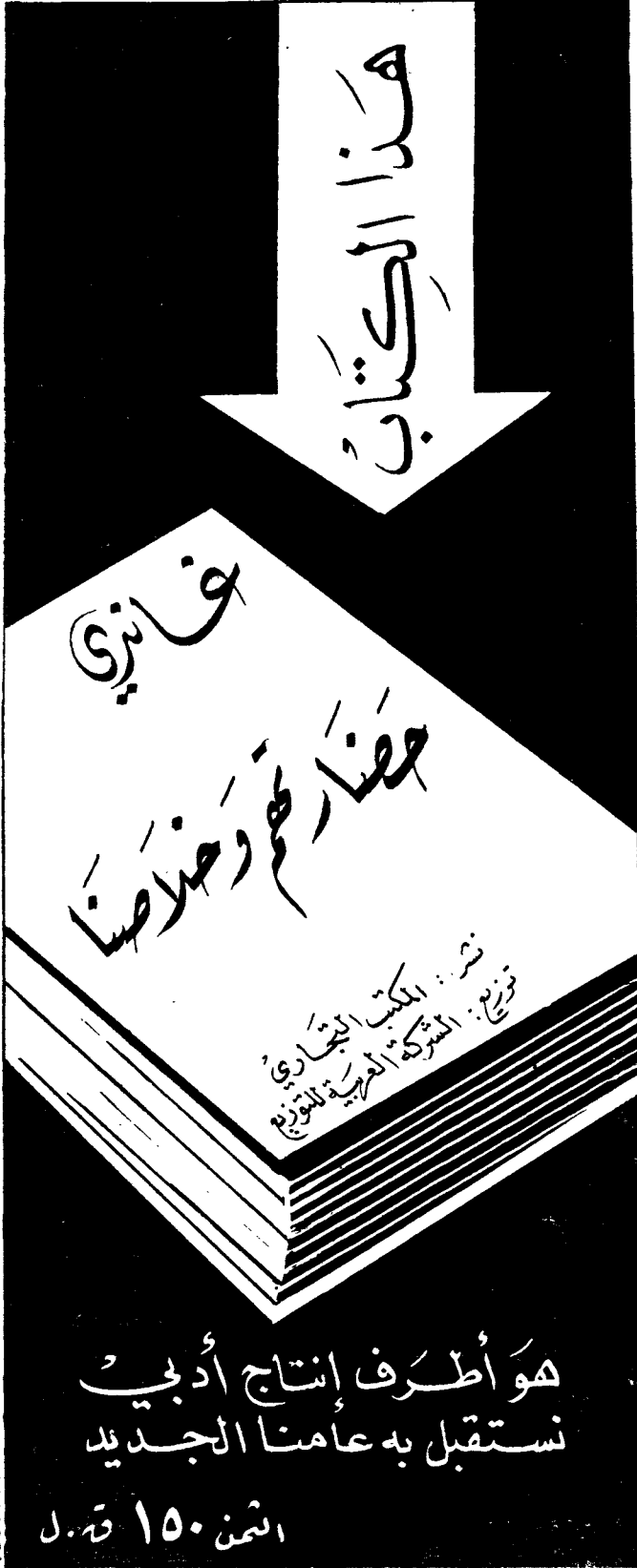
والمضمون . لان الشكل في الفن - اي فن - مرتبط بالمضمون ، في القصة والمسرحية والرواية ، والموسيقى والرسم .. وحتى في الشعر .. والذين يفصلون الشكل عن المضمون اما يجردون العضية من جوهر وجودها ولا ينتهون الى شيء جدي .

وتقيينما لطاهره المدرسة الشعرية الحديثة ، نقودنا الى ان الشعراء الجدد باتروا بالثقل الجديدة التي نمست في المجتمع العربي ، بعد امتزاجه بثقافات الامم المعاصرة . فلما فاضت نفوسهم بالحس الشعري وارادوا التعبير ، وجدوا ان الشكل القديم لا يسعفهم للتعبير عن احساسهم الجديد ، الذي هو من نتاج الحياة الجديدة . فحاولوا الاستعانة من الابحر القديمة لتوليد ابجر شعريه جديد منها ، تتلاءم مع المعاني الجديدة والافكار الجديدة . فوافرغنا المعاني التي عبر عنها الشعراء الجدد بأشكالهم الجديدة في القوالب القديمة لفاضت . وكذلك لو حاولنا ان نعمل المعاني التي حوتها القوالب القديمة الى الاساليب الجديدة لما بقي منها شيء . والذات العرييه لا يضرها ان تجرب السعر الحديث وان تمنحه الفرصة كي يثبت جدارته بصدق التعبير عنها ، وبخاصة اذا كان بعض من هذا الشعر الحديث ، تعبيرا عن واقع الثقافة التي تمت في رحاب المجتمع العربي ، ومحاولة مخلصه لوضع الانسان العربي على حدود واجبه الذي فرضته الحياة العربية عليه .

فاذا درسنا شعر الشاعرة السيدة سلمى الخضراء الجيوسي ، حسب مفهومنا للشعر والشاعر ، وتطور الشعر العربي وانعطافه الجديد ، ومتطلبات الحياة العربية الجديدة والثقافة الجديدة ، وامتزاج ثقافتنا بثقافات الامم والشعوب المعاصرة ، وحاجة الذات العربية ، لشعر يعبر عن انتفاضتها ويبنى اسس نهضتها الفكرية ، وحسها الوجداني والجمالي ، فان القصائد التي نشرتها انتساعة في مختلف المجالات العربية وجمعتها في ديوان « العودة من النبع الحالم » تعطي الدليل على انها شاعرة انشيق شعرها من خضم حياتنا الصاعدة ، التزمت فيه صدق التعبيرات عما يخالج ضمير امتها العربية من الام وامال . وهي اذا كانت قد جدت في الشكل والمضمون الشعريين . الا ان شعرها ظل يصدق بملاحم العروبة وتجارب امتها العربية وسط بحران الحياة المعاصرة ومحاولتها التزود بكل جديد ومفيد دون ان تفقد اصالتها او تمحي شخصيتها . وهي واحدة من شاعرات العرب التي ولدت وعاشت في مهد النكبة القومية بفلسطين ، ثم جالت في ديار العروبة والعالم الخارجي . واستقر بها المطاف اخيرا في دمشق ، ترنو الى الثرى المقدس فتصدق وتنشد : معبرة بشعرها عن حياتها وحياة الملايين من امة العرب من اجل غد حافل بالرفعة والسمو ، لادبنا العربي وحياتنا العربية وهجسد العروبة الظافرة .

علي بنور

حمص



صورة بين الشعر القديم والشعر المعاصر

بقلم إيليا الحارثي

لما يشخص فيه من تحديد وتفرس ، وتوسلوا ، حيناً بالتشبيه ذي الطرفين البعيدين ، وحيناً آخر بالاستعارة والرمز .

التشبيه ذو الطرفين البعيدين .

إن آفة التشبيه إذن هي في الوضوح والتفسير اللذين يتولدان منه ، فيحيلان دھول الشعر الى وضوح النثر . إلا أن التشبيه قد يفدو اقل اضعافاً للتجربة ، إذا تباعد طرفاه ، والتبس وجه الشبه ، فلا يمسود فكرة تفهم وتستنقج في الذهن ، بل يفدو حالة تعانيتها النفس ، تتقبلها وتتأثر بها ، دون أن تفهمها . وهكذا ، فإن آفة الوضوح في الشعر ، قد تتضائل ، أو تنعدم دون التعليل والتفكير . ولقد تردد الشعراء المعاصرون على هذا النوع من الشعر ، إذ باعدوا بين طرفيه وجعلوا وجه الشبه يستقيم على الشعور والاحوال النفسية . ولعل القارئ الذي يتلوه لا يفهم معنى معيناً ، مقررًا ، كالمعنى الذي نراه في تشابيه امرئ القيس بل يعاني منه حالة نفسية ويختلج بشعور لا يدري كنهه ، يجعله أكثر تألفاً مع نفسه واعمق نشوة ورضى . فصالح لكي يعتمد الى التشبيه في كثير من قصائده ، إلا أن تشبيهه ، قلما يكون حسياً ، منقولاً عن واقع العين والنظر ، بل يقلب أن ينقل عن واقع النفس والظلال الشعرية . فهو يقول خلال وصفه لليل :

أنا احوال ، في الربيع رقيق البث ، حلو المني ، كوجه بلادي

إن التشبيه هنا كالتشبيه الكلاسيكي ، له طرفان واداة . ولكن الاختلاف الجوهرى ، هو في وجه الشبه ، لأنه ليس نتيجة منطقية واضحة لمقدمتين ، بل إيهام غامض ، ذاهل للحظة نفسية خاطفة . والقارئ ، مهما حدق وتفرس ، لا يمكنه أن يخلص الى فكرة واضحة . إلا أنه بالرغم من ذلك ، اعمق تأثيراً من التشبيه الكلاسيكي المحدود ، لأنه يعبر خلال هالة من الغموض التي تدع التجربة شعوراً ، ولا تترجمها الى افكار جامدة ومعان شاخصة . وهكذا ، فإن الاختلاف بين هذين النوعين من التشبيه يتأتى عن الوضوح والغموض . إلا أننا إذ نتمتع بهذا الاختلاف ، يتحقق لنا أنه اختلاف في قدرة الشاعر على النقاط اللحظات النفسية ، وتجريد الشعور ، وتجسيده بشكل حسي ملموس . إن البلاد ليس لها وجه يرى بام العين ، وليس لها ايضاً حدود في الذهن تصور كما تصور الحدود الطبيعية ، بل تنسب الى حالة غامضة ، ارنع اليها الشاعر وجردتها من العواطف المختلفة التي سبق له أن غانها . وهكذا ، فإن الصور ، هنا اختلفت تمام الاختلاف عن الصورة القديمة التي كانت صنوا للمعنى أو للفكرة ، واصبحت نقلاً للخاطرة النفسية التي يباشرها الشاعر بحدسه ، قبل أن يصنفها المنطق بوضوحه والعقل بادراكه . فاية نسبة بين رقة الليل وحلاوة بشه ، ووجه لبنان ، لا شك أنه مهما عتونا واجتهدنا في ضبط تلك النسبة ، فإننا نشعر دائماً بأن ثمة شيئاً بارحاً ،

لا شك أنه لم يقدر للشعر العربي انطلاقة حية ، إلا في مطلع هذا القرن ، وبخاصة في شعر شوقي وحافظ ومطران . إلا أن طبيعة الصورة في شعر هؤلاء ، لم تكن تختلف عن طبيعة الصورة في الشعر القديم ، من حيث اعتمادها على الاطراف الواضحة ، والحدود الظاهرة ، كما أن معاني شعرهم ظلت ، تعتمد الافكار أو الشعور الواعي المدرك ، الشبه بالافكار لجموده ووضوحه . لهذا ، فإن شعرهم يختلف عن الشعر المعاصر في مفهوم الصورة ، وكانت وصفاً خارجياً لظهر حسي ، أم كانت تعبيراً وجدانياً عن حالة داخلية . ولعل هذا الاختلاف في مفهوم الصورة يعود الى اختلاف جذري في مفهوم التجربة ، بين الشعر القديم والشعر المعاصر . لقد كانت التجربة في الشعر القديم ، فضلاً عن شعر النهضة ، شبيهة بالافكار النثرية ، لوضوحها واستقامة حدودها . ففي شخص امام النظر بصفة دائمة ، لاتتغير ، أو تفشاهال الظلال . فالشاعر يعبر عما يفهمه ، مترجماً شعوره الى معان ، واشكال عامة مستقرة ، متسلطاً عليها من الخارج . وذلك ادى الى اضعاف التجربة ، وتغيير طبيعتها ، وربما امانتها . فالشعور الذي نعاينه ، يشتمل على حرارة تختلف بين الكثافة والشفافية ، لكننا ، فيما نحاول أن نعيه ، فإنه يفقد كثيراً من عمقه وحيويته ، ويفدو شلوا تافها لحالة متوهجة . إن التجربة الشعرية لاتصفو إلا في الذھول ، أي في تلك الحالة التي يتخدر بها الوعي المحسوق ، المتشبه بالوضوح ، حتى تطفئ النفس في الرؤيا . لهذا ، فإن الشعراء المعاصرين ، يميلون الى نقل التجربة نقلاً حديسياً ، دون ترجمة أو تأويل ، أو تفكك . وقد جعل هؤلاء يعتقدون ، أنه لا يتيسر للشاعر أن ينقل التجربة بصورة كلية ، إلا إذا توسل بالصورة ، لأن الصورة لاتجزئ التجربة وتحيلها الى اشلاء من الافكار بل تمكسها بما تنطوي عليه من ظلال وتوجعات تدنثر وتزول ، عندما يتسلط عليها الإدراك الذهني . هذا هو ظاهر التطور بين واقع الشعر القديم وواقع الشعر المعاصر . إلا أن الحقيقة تبدو اشد عمقا وتوغلاً ، مما تتخيل ظاهراً . فالصورة قد تبدو جليلة مستقيمة على طرفين واضحين ينبوان عن التجربة ، كأنهما فكرتان ذهنيتان ، لاذھول يفشاهما ولا ترنج . ماقيمة الصورة في قول امرئ القيس « له إبلا ظبي ، وساقا نعام » . هذه الصورة أكثر ذهنيًا وجفافاً من المعاني والافكار الشائعة المحددة . ولا فضيلة لها من فضائل الذھول الشعري بل ، على العكس ، فإنها ترهقه بتلك المقاتلة المنطقية الواعية . والواقع ، أن الصورة التي تقوم على التشبيه ، تخالف ، في الغالب ، طبيعة التجربة الشعرية ، لأن التقاط الشبه بين ظاهرتين مختلفتين يقوم اصلاً ، على نهج منطقي ينفذ من المقدمات الى النتائج بالتفكير والإدراك من دون الشعور والمعانة . ولعل التشبيه ليس سوى وجه من وجوه السيلوجيسم المنطقي . لهذا فإن الشعراء المعاصرين طفقوا يتنبكون عنه ،

وان ما قبلناه هو الجزء الاقل ، وان الجوهر الهام بقي مبهما . وعلى العكس ، فان النسبة بين ساقى الفرس ، وساقى النعامة ، هي نسبة علمية رقمية ، لا ظلال لها ولا تموجات هاربة دونها ، نعيمها ونفهمها ، لكننا لا نتأثر بها . هذا يعطينا فكرة ، وذاك يبعث فينا حالة .

وهذا النوع من التشبيه يختلف غموضا بالنسبة لابتعاد العلاقة او قربها بين طرفيه . فهناك تشابه ظلالية ، شفاقة شديدة الصلة بالواقع النفسي . وثمة تشابه كثيفة لان العلاقة التي تربط بين طرفيها تشتمل على غموض ، يكاد ان يدنو من المستحيل او الغرابة والذهنية اللتين تعنيان بانارة الدهشة . وهذا ما نشهده في بعض القصائد المعاصرة ، حيث تصيح الصورة غاية بعد ذاتها ، ومجالا لظهور البراعة في اكتشاف الاشكال الغريبة . من ذلك ما تراه في قول سعيد عقل ، واصفنا لبنان من خلال اغاني البحارة العائدين :

الى البلد العلو ، حيث الفمام بلون هديل الحمام
اجند بيضا واحلى اقراضا
وادنسى صلاه الى مسمع الله

انت ترى ان الشاعر يشبه لون الفمام بلون هديل الحمام . والواقع ان هذا التشبيه ينطوي في ظاهره على المستحيل ، لان الهدير نغم تتولاه الاذن ، من دون النظر ، بينما يشخص الفمام في النظر من دون الاذن . وهكذا فان التشبيه قد تناقض واختل ، ومهما اجتهدنا في تقصي حقيقة وجه الشبه ، فان ذلك يتعذر علينا . لا شك ان للصورة تاويلا . وذلك ان حواس الشاعر قد اختلطت بين تحسس الشعور في النفس ، وادراكه في اللحن ، فاصبح الشاعر يرى الهديل كما يسمعه . الا ان هذه الصورة بالرغم من ذلك ، قد اتفقت الغوية والتعبير الحي المباشر عن التجربة ، ولم يعد الشاعر يعنى بالتعبير عما يعاينه بل اصبح همه ، ان يبتدع صورة تثير القارئ وتدهشه بفرابتها واستحالتها . ولعله لا فرق بين هذه الصورة والصور البديعة التي كنا نطالعها في شعر ابي تمام ومسلم بن الوليد ، حيث تضاعف الصدى ، وتعاضلت البراعة في التعبير ، حتى طغى ذلك الحلق الخارجي على التوفل في المضاعفات النفسية . بيد ان سعيدا ذو قدرة خارقة على تداول المعاني ، لانه اعماق ثقافة ذهنية . فهو ينظم ما يعرفه او يحفظه في ذهنه من نظريات عن تداعي الافكار واختلاط الحواس وما اشبه .

وهكذا ، فان الصور مهما تعقدت وتباعد طرفاها ، فان قيمتها ليست في ذلك ، جميعا ، بل في تعبيرها الحي المباشر عما يعاينه الشاعر . فالصورتان اللتان شخصتا في شعر سعيد عقل وصلاح لبكي تنطلقان من مبدأ واحد ، وتعتمدان الحالة النفسية ، الا ان الصورة الاولى كانت اقرب الى النفس لانها حدثت حديثا ، بينما تزورت الثانية ، وابتعدت عن التأثير ، لانها وليدة الكد والحيل الذهنية . الاولى تبث فينا نشوة وليدة ، اما الثانية فانها تضعنا امام معجزة جعلتنا ندهش ونصعق ، بدون ان نشارك بالنشوة الانسانية . وهذا النوع من التصوير يمكن ان ندعوه تصويرا ذهنيا حيث يسرف الشاعر بصقل المعنى وتزويقه ، كان له جمالا خاصا به او كانه غاية بذاته . ولا مجال للاطالة بالتمثل على هذه النزعة في شعر سعيد ، لان ذلك يقتضى ابحاثا متعددة ، وانما نتجرت بعد ، بهذا المثل الاخر ، وهو البيت الاول من القصيدة الاولى من مجموعة رندلي :

المينيك ، تانى وخطر يفرش الفسوء على التل القمر
هذا البيت يبدو جديدا للوهلة الاولى ، لكننا عندما نفرس به ،

لا نعتن ان تطالعنا وراعه ملامح الصور القديمة . ذلك انه ليس للشاعر في هذا البيت سوى فضيلة التصاعد على المعاني وتجريدها ، بعد ان كساها من الخارج بحلة ذهنية ، او بزى عبارة جديدة . فهو يقول ان القمر مفرم بل متيم بحبيته ، حتى انه لا يطلع ولا يفرش ضوءه على التل ، الا لمينيتها . ان تميم القمر بحبيبة سعيد عقل ، هو نقل ذهني تجريدي لصور الشعر القديم . فقد طالما تداول الشعراء العرب الكواكب ، كالقمر والشمس ، في تشبيه جمال المرأة والى وجهها . والمعنى الذي الم به سعيد لا يختلف عن هذه المعاني ، كما ان سنة اسلوبه لا تختلف عن سنة التقليد في عمود الشعر العربي ، وفضيلة التجديد لديه ، لا تختلف عن طبيعة التجديد التي كان يدعي فضيلتها الشعراء العرب . ان القمر الذي تميم بحبيبة سعيد ، هو امتداد او تطور من القمر والشمس اللذين شابها وجوه حبيبات النابغة وطرفة وابي نواس وابن الرومي وسواهم . فالتميم ، هنا ، ليس سوى وجه اخر لمعنى التشابه القديم . انه بعث له يومهم بالجدة والابتكار . فسعيد لم يكتف باثبات الشبه ، مساويا بين الحبيبة والقمر ، بل جعل الحبيبة اجمل من القمر ، واكثر تأثرا منه ، حتى انه هام وتيمم بها . وهكذا ، فان آية هذه الصورة ليست في كونها تعبيرا عن واقع نفس الشاعر ، ووجدته ومعاناته ، وانما في التاويل والتعليل اللذين لاذ بهما ليستر الصورة القديمة ويز سائر الشعراء . والافة في هذا النوع من الشعر ، ان المعنى يكون فيه غاية بذاته ، بينما ينبغي ان يكون وسيلة للتعبير عن النفس . والواقع ان حبيبة سعيد عقل بقيت حبيبة وصفية ، اذا جاز التعبير . لقد بقي الشاعر ينظر اليها ويشاهدها من الخارج ، كما نظر اليها وشاهدها شعراء الغزل التقليدي . ان الشعر كالانسان ، لا يخلد الا بالروح ولا يصفو الا صلاة في النفس . والشاعر الذي يعنى بالمعنى للمعنى وبالصورة للصورة ، لا يعود ، ثمة فرق بينه وبين ادباء التقليد كالحريري واليازجي . ذاتك لامبان على حبال الالفاظ ، بينما يكون هو لاعبا على حبال المعاني . فالمعنى والصورة لا قيمة ، ولا جمال لهما بذاتهما ، وليس في الشعر معنى مطلق الجمال واخر مطلق القبح ، وانما هو يحمل او يقبح بالنسبة لتعبيره المباشر عن واقع النفس وما يستبد به من هذيان الشعور الذي قد تخالف طبيعته طبيعة الصورة والمعنى الصقيلين المحدودين .

ويقيني ان الشعر العربي ، لا يمكن ان يلحق بركب الشعر العالمي ، حتى يتحرر من هذا المركب الذهني الذي تقوم فصيلته على الكد والبهرجة والاصباغ الخارجية . واذا لم يتحرر من وطأة المعاني القديمة الموروثة ، ولبت يتماصفها ويبعث بها ، فسوف يبقى جدارا من الفسيفساء في متحف الدمى والتماثيل . ما هو سر الخلود في شعر شكسبير وراسين وبودلير ومن اليهم ؟ هل كان في تزويق المعاني وتنميتها ، ام في التعبير عن الجذور الفائرة في اعماق العتمة عبر النفس ؟ هؤلاء كانوا يبشون سمفونية النفس الوئيدة ، التلغفة بمصعب الآساة والوجود ، بينما كان الشعراء من بهلوانبي المعاني والصور يتلهون برسم الدمى ومزج الالوان والاصباغ التي لا حس فيها ، ولا انسانية لها . وذلك ، جميعا ، شعرنا بعظم الخطب والفجعة بموت اديب مظهر البكر . فقد كان اديب اول من حطم وثنى التقليد ، وعمود الشعر التناسخي ، عندما تصدى لمشكلة الوجود ، لتنازع الانسان وتخبطه بمصره . فمئذ الريم الثاني من هذا القرن ، عندما كان بشارة الخوري يتغزل بعرش الجمال والورد الذي يقتل نفسه في وجنة الحبيبة ، كان اديب مظهر بهتف بصيحة الانسان الموطوء ، المنسحق اثر الحرب الاولى ، اذ يقول :

اعد على سمعي نشيد السكون
واستبدل الانات بالادمع
فان تجواب عزيف النون
الليل سكران وانفاسه
تمر دوني ، زفرة زفرة
بالله ! هلا نفسم قائم
فان في اعماق نفسي صدى
اعد على سمعي نشيد السكون
فان تجواب عزيف النون

واستبقني بالله يا منشدي
واسمع عزيف اليأس في اضلعي
حلو كمر النسيم الاسود
تلفح اجفائي واحلامي
حاملة اكفان ايامي
على بقايا الوتر الدامي
مثل ديب الموت عبر الجفون
واستبقني بالله يا منشدي
حلو كمر النسيم الاسود

ارابت الى ما يقوله اديب ؟ ان اليوم الذي يمر يصبح كفا . فاين هذا الصدى الوجودي والحس العدمي المباشر ، ولتلمس الحي لانساة الوجود ، من تلك الحلقة الموات التي شهدناها لدى شعراء الصوور والمعاني ؟؟

لقد اختلفت اوتار الشعر ، جميعا ، هنا . . وتكاد لا تبصر فيه الملامح القديمة الهرمة . ذلك ان المظهر الخارجي اصبح نقلا لطايف الشعور الداخلي . انه مظهر للحولية بين ذات الشعر وذات الكون . فانفاس الليل ليست سوى احلامه الحرى الملتبة ، كما ان جحافل السواد ليست سوى مواكب عمره التي تحمل اكفان ايامه الماضية . ولعل الابعاد النفسية اصبحت قصية ، خلال ذلك الوصف ، كما ان العواس توحدت ، عبر العدس المغوي ، فجعل الشاعر يبصر انفاس الليل تمر حوله ، الا انها في الواقع تعبر في ضميره وذووله ، في حسه العدمي المتشائم الذي حول النفس الى كفن . هذا النوع من التصوير بلغ صفاء التجربة الشعرية ، لانه لم يعد نقلا لما تبصره الحدقة ، وتلهيا باكتشاف العور والتشابه الخارقة المروعة ، وعشا بتوليد المعاني وزخرفتها بل تجسيدا لطايف الوحشة الغريبة ، والشعور الوجودي التهاك ، والفجر الانساني تحت وطأة الحياة . انها الفيوبة المطبقة ، اي التجربة الشعرية الصافية ، التي تخلصت من الادراك وما يشمل عليه من معان عدة سابقا في الزمن . ولا بد لثامن التنبه الى ان اديبا تخلص ، احيانا ، من التشبيه في حدوده الكلاسيكية . فبدلا من ان يشبه اليوم الذي يمر بالكفن ، نراه قد خطف مباشرة الى رؤية اليوم كفنا بصورة ذاهلة مفاضة عن التجربة . ذلك انه ، خلال وصفه ، كان يعاني التجربة ، ولا يفكر بها او يفسرها بالنطق والنظريات . وهذه الفنائية الداهلة تغلب على وصفه ، جميعا . فهو يصف عالم الطبيعة الذي يحلم به بقوله :

هنالك حيث تحل الاماني غداؤها وتنام الطوب

ولا نحسن ان اديبا تخلص من التشبيه في شكله الظاهر ، جميعا ، بل نراه يتوسل به كسائر الشعراء ولكن دون اسراف وذهنية ، كما ان التشبيه لا يضعف الدهول لديه ، لانه ينبعث ويفيض من قلب التجربة . ولشدة توغل الشاعر بتشبيهه ، وانخطافه في التعبير عنه ، فانه يبتفينا حالة كالموسيقى ، توقف في ضميرنا مشاركة وجدانية ، وحالة من التالف تتفوق تفوقا عبر النفس . من ذلك قوله :

اعد على سمعي نشيد السكون
لا شك ان هذا التشبيه لا يجري في تيار التشابه العادية . وقد لا نكون له وجه من وجوه التصور ، لكنه لا قبل لنا بالتجاوز عنه ، لان المقابلة التي شخصت فيه ، تمثل ثورة في طبيعة الصورة الفنية التي تلازم ، غالبا ، اسلوب الشعر العادي . فهي تقوم اصلا على تداعب الحواس وتمجدها ، بحيث يرى الشاعر ما يلمسه ، او يسمعه . والواقع ان النسيم لا لون له ، واذا ما تخيل لنا بشكل من الاشكال ، فانه اقرب

الى الزهو منه الى الاسوداد . ولعل هذه الصورة تشتمل على ظاهرة المستحيل التي اسلفنا الحديث عنها في صورة الفمام الذي له لون هديل الحمام . الا ان الفرق بين الصورتين ، هو فرق داخلي ، لان تشبيه لون الفمام بلون الهديل ، هو تشبيه ذهني ، نتج عن المعرفة النظرية ، اما تشبيه مرور النغم بمرور الاسود ، فهو تشبيه نفسي ، يعبر عن الاسوداد والبؤس اللذين يعانيهما الشاعر تحت وطأة الاسى . ان الفمام وهديل الحمام ، كانا معنيين خارجيين ، اما النسيم الاسود ، فانه نسيم وجداني عبر الشاعر عن نفسه من خلاله . ومهما يكن ، فان واقع هذه الصورة ينبري امامنا كالمفاجأة ، لانه لم تيسر له مقدمات ، ولم تمهد له سنة سابقة في الادب العربي ، وان كان شديد التأثير بالرمزية والسريالية اللتين كانتا شائعتين في الادب الغربي . والواقع انه لا يمكن ان نتحدث عن علاقة الشعر المعاصر بالشعر القديم بقدر ما يمكن ان نتحدث عن علاقته بالشعر الغربي . فمذ سنة ١٩٢٥ ، طفق الشعراء يتقصون الثقافة الغربية ، ويحاولون ان يحذوا حذوها . وكان اديب مظهر أول من راد هذا التيار الفجائي الذي اوشكت ان تنقطع صلته بعمود الادب العربي . وقد غلبت على هذا التيار النزعة الرمزية .

الصورة في الشعر الرمزي

ذكرنا ان جماعة الشعر الحديث يعتقدون ان التجربة الشعرية لا تيسر للافكار والتعبير بالصور الواضحة البينة الحدود ، وان الغموض يوافق طبيعة الشعور الغامض القلق المتطور . وقد خلصنا ايضا الى ان التشبيه في تقريره المنطقي للشبه بين حالتين او مظهرين ، لا يبقى الا على اشلاء التجربة . لهذا فان الشعراء نزعوا الى نوع من التشبيه المبتور ، الذي سقط احد طرفيه ، او الذي توجد طرفاه ، فانقلبت المعنى او الصورة ، من كونها نتيجة للمقابلة بين مقدمتين ، واصبحتا يتولدان من النسبة ، وهي اقرب الى الرؤيا المباشرة من التشبيه . قال سعيد عقل في وصفه لنظرة الاغواء التي رانت بها المجذلية عندما التقت المسيح :

فجرت في سماء جبهتها الحام وارتخت في ناظرها الصفاء !

ان قوله « سماء الجبهة » اكثر تعبيرا عن واقع التجربة من قوله ، ان الجبهة رحبة كالسماء . ذلك ان نسبة السماء الى الجبهة بهذا الاسلوب المباشر متجاوزا عن اداة التشبيه ، انما يضيء على العبارة بعض التموه الذي يفشى المعنى بكثير من الشفافية والظلال . والواقع ان رؤية الشبه مباشرة تضعف من اثر المنطق او تخفيه ، دون ان تزيله ، فيظل مستترا يبت الواقعية واليقين دون ان يبدد ما يشيع من التموجات والاطياف العاطفية التي تتسرب الى النفس وتؤثر فيها ، بقدر ما ينفذ الوضوح الى ذهنه ويدرك فيه . لهذا ، فان الاستعارة اكثر استيفاء للتجربة لانها اقرب الى طبيعتها . الا انها لا تبلغ الصفاء الفني والوجداني ، ولا تنفذ الى الاعماق ، لانها تظل مقيدة بحدود ، تفضل بين المستعار والمستعار له . وقد كان طبيعيا ان تنزع التجربة الشعرية الى الرمز ، لانه يؤدي الى الحولية التي توحد بين الاشياء وتنزع عنها حدود المنطق والتحديد العلمية الشائعة . ولعل الرمز هو اصفى الاساليب الشعرية واراقاها ، ولا قبل للبديهي به ، لانه يقتضي قدرة على التوغل بالاشياء يعجز عنها عقله الذي يفشى ظاهر الاشياء . فالشاعر ، خلال الشعر الرمزي ينكر المظهر المعلن ويعبر منه الى التأويل والتلميح ، اللذين يكشفان له عوالم الطبيعة والناس . ولئن كان امرؤ القيس جاهليا ، فقد

الم بقلدة من التصوير الرمزي حيث التبتست عليه صورة الليل مع صورة الجمل ، فتحدث عن الثاني كأنه يتحدث عن الاول ، وبأسلوب مباشر، متجاوزا عن المشابهة ، موحدا بين ذاتيهما في حلولية مطبقة :

فقلت له لما تمطي بصلبه واردف اعجازا وناء بكلل

انت ترى ان الشاعر لا يميز بين الليل والجمل ، فيذكر تمطيه وارداًف اعجازه ، وانحناءه بكلله ، دون ان يقابل بين الاثنين او ينسب للواحد ما يشخص للآخر ، بل نراه يوحد بين الاثنين ، كأنما خطر بلحظة من الثوة على واقع الشعر المنطقي التشبيهي المتردد .

الا ان هذه القلدة عابرة ، مما لا يعول عليه في ذلك الشعر المسرف بالمادية والذهنية والتقليد . ولعل الصورة الرمزية لم تظهر بوضوح الا في الشعر المعاصر ، مع اختلاف بين الشعراء في الصفاء والعمق . فصلاح ليكي لم يتخيل ان الليل لطيف ولم يستمر له اللطف (1) من شيء اخر بل جعله متحدا به ، او كأنما فيه ، يشخص عبره بالنسبة للشاعر ، كما يشخص الظلام بالنسبة لسائر الناس . ولا نحسب ان آية هذا الاسلوب في تجاوز الشاعر عن اداة التشبيه ، والمقابلة ، لان هذه الامور هي امور خارجية . اما الفرق الجوهرى الداخلى فهو في ان الرمز حالة ذاهلة ، اما التشبيه ، فهو حالة واعية مدركة ونحن نعلم ان الشعر ليس تقنيا او تفسيراً او ابتداء ، وانما فيض ليقين لحظة من اللحظات النفسية وبذلك ينتفض مفهوم الصورة ، وفقا لتحديده القديم ، فلا يبقى نقلا

(1) اي رب يا ليل انت رؤوف بتجني الورى ورجس العباد
ما كسوت الوجود لطفك الا خجل الشوك بالرؤوس الحداد

دار مكتبة الانلس ببيروت تقدم

تاريخ الامة العربية

اول واوسع كتاب للتاريخ العربي المجيد عبر العصور

بقلم العلامة المرحوم
الدكتور محمد اسعد طلس

بعد عصر الانبثاق - تاريخ العرب قبل الاسلام
» » الانطلاق - سيرة الرسول (س)
» » الخلفاء الراشدين - سيرة الخلفاء الاربعة
» » الاساق - تاريخ بني امية

صدر اليوم

عصر الازدهار

تاريخ الدولة العباسية منذ عهد ابي العباس السفاح
الى نهاية عهد المعتصم بالله

للأشياء ، وتصيرا عن مظاهرها ، لان هذه الأشياء تفتقد حدودها ومبانيها ، وتمتزج او تتوحد مع ذات الشاعر وتصبح المظاهر وسيلة خارجية مادية للتعبير عن الحالات النفسية ، كما ان الحالات النفسية تغدو وسيلة لحياء المظاهر الطبيعية الموات ، وبعثها عبر وحدة عامة تشتمل على الكون والناس جميعا . اين الحدود بين المظهر الخارجى ، والحالة الداخلية ، في قول اديب مظهر :

الليل محموم وانفاسه تلمح اجفاني واحلامي
بالله ، هلا نغم قانم على بقايا الوتر الدامي

هل النغم الذي يتحدث عنه ، هو النغم الذي تسمعه الاذن ام النغم الذي يفيض من اعماق الوحشة في ظلمة النفس ؟ والوتر هل هو الوتر الذي نضربه ونوقع عليه ، ام هو وتر القلب الذي يسيل دمه . هذان النغم والوتر تعبيران حسني عن حالات نفسية ، ونداءات مبهمه ، فيها من الشدة والحرارة ، ما تمجز عنه الاساليب الواضحة .

وهكذا ، فان النزعة الرمزية تنقض وظيفة الصورة الوصفية لانه ليس نمة ، فرق بالنسبة للشاعر الرمزي بين العالم الحسي ، والعالم النفسي .

الصورة في الشعر السريالي

لئن كانت الاستعارة والرمز تطورا من الاسلوب المنطقي ، فان السريالية هي نقض له وثورة عليه . وقد جعل هؤلاء يرون بتأثير علم النفس ، ان الحالات الوجدانية كثيرة التحول والتعقيد ، وانها تكاد لاتعبرف الشخوص والاستقرار . فاللحظة النفسية التي نطلق عليها احد الاسماء، انما هي تعبير مخادع ، يكاد لا يلم بشيء من حقيقة المعاناة النفسية . والواقع ، ان اللحظة النفسية التي تشخص امامنا ، هي مؤلفة تأليفا ممتدا من ذرات اللحظات الاخرى التي تتلمح تلمحا ، او تخطف خطفاء، وهي لشدة تحولها ، وسرعة هروبها ، توهم الدهن بغط واضح ، يفسى الفلذات الفامضة الواهمة . لهذا ، فان السرياليين يعتقدون ان التعبير الواضح الذي تستقيم فيه حدود المنطق ، او الذي يتيسر للمقابلة والتقرير ، لا يوحى بحقيقة التجربة ، لانه لا يقبض الا على مظهرها الزائف . وقد طفق هؤلاء يحاولون ان يقبضوا على اللحظة النفسية فيما هي تخطف ، وقبل ان يقبضها الادراك ويجزئها الى معان . فاللحظة التي نعانينا تشتمل على تناقض ولع وهذيان ، لا يمكن ان يحلل تحليلا منطقيا . لهذا فان الصورة السريالية هي ، غالبا ، مجموعة من الفلذات التي تغلب عليها الغوضى والتفكك . الا انها في مجملها تبث حالة كثرة الدهول ، عميقة الافوار . وبذلك تكون السريالية تطورا من الرمزية واسرافا بها . كما ان تسميتها بما فوق الواقعية لا نفي بدلالاتها. فالما فوق واقعية لا تعني انها ثورة على الواقع ، بقدر ما هي ثورة على المنطق الواضح الذي يستبد به ويسيره .

وقد تمثلت هذه النزعة ، غالبا بشعر البياتي والسياب والحاوي . الا ان البياتي اسرف بها واعتراها بواو العطف وكاف التشبيه ، اللتين حولتا الصورة الى معادلة مفككة متراكمة . وذلك يدل على يسر التجربة ، غالبا لديه وقبوله بالوهلة الاولى ، دون ان يعمد الى التكنية العميقة القائمة التي لا ترد الصورة من قلبها بالقساوت وبلغ بل تفيض فيضا بوحدة حية . الا ان فضيلته كانت في سبقه الى تحطيم القوالب القديمة، وقيامه بمحاولات جديدة لتجارب جديدة . وفيما يلي نبذة من قصيدة

يصف بها سوق القرية :

طوى القتلى ومرا .
عبرتنا محنة النار ،
عبرنا هولها قبرا فقيرا ،
وتلفتنا الى مطرح ما كان لنا
بيت وسمار وذكرى ،
فاذا اهللنا صمت صخور ،
وفراغ ميت الافاق ، صحرا ..
واذا نحن عواميد من الملح ،
مسوخ من بلاهات السنين ،
ان تذكر عابر الدرب بحال الميتين .
فهى لا تذكر ، جوفاء ،
بلا يوم ، بلا امس ، وذكرى .

ومما يكن ، فان محاولات الشعر المعاصر تنقص التصوير في مفهومه
الشائع ، لانها اوشكت ان تعدم الحدود بين عالمي المادة والنفس . فهي لا
تشخص امام الظواهر لتنتقلها ، بل تفل الى قلبها لتنحل وتذوب فيه .

ايليا الحاوي

دارالمعارف بلبنان

بنابة الميلي صاحبة رياض الملمح م.ب. ٢٦٧٦

قصة عبقرية فتان زاهر الوان المناب في حرفة المبادئ الانسانية النبيلة
وتعزس بأفان المل العليا حتى بلغ ذروة المجد .

الرافعة لعلالية الفهم وتتميزها
الكارمية السكولم بجائزة
بولس ناداب

عذاب النفوس الكبيرة

اد جان كريستوف

تأليف
رومان رولان

عذاب النفوس الكبيرة



تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

الشمس والحمر الهزيلة والذباب - وحذاء جندي قديم - يتداول
الايدي - وفلاح يحرق في الفراغ - « في مطلع العام الجديد - يداي
تمتلئان حتما بالنقود - وسأشتري هذا الحذاء » - وصياح ديك فر
من قفص ، وقديس صغير - ما حك جلدك مثل ظفرك - والطريق الى
الجحيم - من جنة الفردوس اقرب والذباب - والحاصدون النعيمون ..

انت ترى ان الشاعر يلم باللمع التي تخطف خطفا امام حدقته ، كما
انه يسجل الاصوات التي تنفذ الى سمعه ، دون ان يعنى بالترابط
المنطقي في صيغ العبارة . فهو لم يتخط بطة العبارة العادية ، وبلغت
الى الاصداء المتناثرة في نفسه . وهذا النوع من الشعر اختلف في
طبيعته عن عمود الشعر القديم ونسج على غرار الشعر الغربي ، خاصة
اليوت وازرابوند وابولينير ولتريامون .

ولعل المحاولات التي قام السياب كانت اقرب الى الصفاء الشعري
من محاولات البياتي، لان تجربته كانت اكثر عمقا ، وقدرته على التعبير
اشد احكاما ، الا انه يسرف بكاف التشبيه ، كما اسرف البياتي بسواف
العطف مما اعترى القصيدة ، احيانا ببعض اليسر والزعزعة . عاكه يصف
عرسا في القرية بقوله :

مثلما تنفض الريح ذات النصار

عن جناح الفراشة مات النهار

النهار الطويل

فاحصدوا يا رفاقي ، فلم يبق الا القليل

كان نقر الدراك منشد الاصيل

يتساقط مثل الثمار

من رياح تهوم بين النخيل

يتساقط مثل الدموع او كمثل الشرار

انها ليلة العرس بعد انتظار

ان ادوات التشبيه تتردد في هذه الابيات ، وتعترض ، الا انه بالرغم
من ذلك ، استطاع ان يدخل على الشعر العربي رعشة جديدة .

ولعل خليل الحاوي قد ادرك كيف يتخلص من وطأة هذه الحروف ،
متوسلا عنها بالافعال الخاطفة المتحركة من الداخل ، اسمعه يصف
خراب سدوم بقوله :

هي ذكرى ذلك الصبح اللعين ،

كان صبحا شاحبا انعس من ليل حزين ،

كان في القرية ضيق ،

ومخاض ناء بالفصا مكنوم الانين

كان في الافاق والارض سكون .

ثم صاحت بومة ، هاجت خفافيش ،

دجا الافق ، اكفهر ،

ودوت جلجلة الرعد فشقت سحبا حمراء حرى

امطرت ملحا وكبريتا وجمرا ،

وجرى السيل جعيما مستحرا

احرق القرية ، عراها ،

في وصلة الفولكلور العربي أبو زيد الهلالي والفول طر مسر بقلم شريف الراش



والادب الشعبي « ، قال :

« ان فهم البيئة أشد ما يكون لزوما لفهم الادبي والدس الادبي ...
وتلك واحدة من الدعائم التي يقوم عليها منهج الامناء في الدرس ، ويكون
له ما بعده من تقرير اقليمية الادب منهجا مصححا ، قد نافحت - يا عبد
الحמיד - عنه ، بحديثك عن مصطنعي البحث عندنا ، ممن لا يعينهم الوعي
الصحيح على فهم هذه الاقليمية الادبية ، وضرورة اتخاذها اصلا علميا
لفهم الادبي والدرس الادبي ، فذكرت انهم لا يزالون يمشون على منهجهم
القديم الساذج في النظر الى رقعة المتكلمين بالعربية على انها وطن
واحد متجانس الخصائص والصفات ، وان الناس الذين يضطربون في
هذه الرقعة مقيمين ومتنقلين ، وان تلبلت الستهم وتباينت منازعهم
وطبقاتهم ، واختلفت قسماتهم وملامحهم ، تضمهم ارومة واحدة . الى
نهاية تلك الدعوة الخاطئة .. فكانت دراستك هذه متممة لطريقك في
التمكين لهذه الفكرة اقليمية . »

ولا يهمننا ، ونحن نبقي البحث عن الحقيقة ، ان يكون قائل هذا القول
« كبير الامناء » او احد تلاميذه « الامناء » ، وانما يهمننا ان نتحرى الدقة
والموضوعية لنندرا عن انفسنا غضب الكبار .. كما لن نتزلف الدكتور عبد
الحמיד يونس - حسب الطريقة اللئيمة الدارجة اليوم - وانما سنكشف
له عن خطاه صراحة ودون مواربة ، فهو رجل سيكون له اثر كبير في

الفنون الشعبية تعبير جمالي صادق عن روح عامة هي روح الجماعة ،
وهو تعبير عفوي مباشر يعطي الصورة الصادقة الاولى عن الجماعة التي
تنبهه ، وهذا سر استمراره ..

واذا كانت مظاهر هذا التعبير - كفنون الانشاء ورواية الملاحم
والقصص الشعبي والرسم والزخرفة والصناعات الشعبية والرقص
وكافة الفنون الشعبية الاخرى - واحدة لدى فئات الشعب العربي
في جميع اقطاره ، فان الروح الجماعية التي ابتدعت هذا التعبير روح
شعبية واحدة ، لانه - كما قلنا - تعبير صادق عفوي مباشر ، بـريء
عن الزيف .. ومعنى هذا ان ثمة دعامة واقعية جبارة تؤكد وحدة الشعب
العربي ، هي وحدة فولكلوره . وهي كواقع حي ، اقوى سندنا واعرق
جنورا من كافة الدعوات السياسية او الفكرية التي « تؤمن » بالوحدة
العربية .

وبمغزل عن الدوافع القومية جميعا ، انا ادعي بان الفولكلور العربي
يكون كلا واحدا ، من المحيط ، الى الخليج ، وحتى في مناطق عربستان
التي تسيطر عليها ايران اليوم ، وفي كيلكية ولواء اسكندرون الخاضعين
للحكم التركي اليوم ، في كافة اقطار الوطن العربي وقراه ، يعيش
ويستمر فولكلور واحد ، وتسود في الحياة عقلية واحدة ووجهة نظر
واحدة ، وتتبدى سبل في التعبير الفني - على المستوى الشعبي -
واحدة ايضا . ولا اعتبار لاختلاف الايقاع التعبيري للفنون الشعبية
العربية بين قطر وقطر وتنوع مظاهره ، بل ان هذا الاختلاف وتنوع
وتعدد التلونات المظهرية في الفولكلور العربي - على مدى اتساع رقعة
الوطن وتنوع بيئاته الجغرافية - انما كل ذلك مظهر غنى تكاملي
رائع لهذا الفولكلور الذي ادعي بانه يصدر عن نبع واحد ، وعن
ايدولوجية تكوينية عامة واحدة.

وهذا الادعاء ، او هذه الدعوة ، لم تتمكن لدي بسبب من اتصالي
المباشر بمدد كبير من الفنانين الشعبيين العرب ، او بسبب من اهتمامي
بمتابعة اشكال الفولكلور في اكثر الاقطار العربية وتدفوقها ومحاولة درسها
ومقارنتها بمثيلاتها ، فحسب ، وانما تمكنت لدي الدعوة - او الادعاء -
لوحدة الفولكلور بفضل دعاة الاقليمية بهذا الخصوص ، وما اكثرهم . كما
ان المحاولات المائلة التي اصبحت عريقة ناجزة ليوم لدى شعوب عديدة ،
كاللبنان والفنلنديين ، والتي دفعت بعض الفولكلوريين اللان - مثلا - لان
يلاحقوا مظاهر فنونهم الشعبية القومية في غابات الهند ، كل ذلك اثر
في دعواي .

واتا لا ازال الح على كلمة « دعوى » في دعوتي للكشف عن اصول
ومظاهر وحدة الفولكلور العربي لان دعاة الاقليمية الفنية يريدون ذلك ،
وبالحاح ايضا ، كما ورد في المقدمة التي وضعها الاستاذ الجليل امين
الخولي بين يدي كتاب الدكتور عبد الحميد يونس : « الهلالية في التاريخ

البحر الابيض المتوسط من ايطاليا واسبانيا وجنوبي فرنسا ، بحيث
ادخل عنصرا جديدا يستطيع ان يقف الى جانب العنصر اللاتيني ، بل
يقبله في بعض الاحيان » .. أما في العصور الحديثة فقد أصبح الفولكلور
العربي مصدر الهام سخي لعدد كبير من فناني العالم .. ولا نأتي بجديد
اذا قلنا ان أبرز محفوظات الادب الشعبي العربي هي السيرة الهلالية
بفصولها اجزائها العديدة والسير - او الملاحم ان شئتم - : سيف
ابن ذي يزن ، والظاهر بيبرس « المصري الشرطي الذي حوله الشعب
الى عربي قح ثم آمن به » .

وقد يصح الخلاف في عروبة اي من هذه السير او الملاحم الا لسيرة
الهلالية فهي تستعصي على اي خلاف من هذا النوع وتتمتع على الانسحاب
نحو الاقليمية تمنع استحالة .

فالسيرة الهلالية لا ترافق رباب الشاعر في مقاهي القاهرة العتيقة
فحسب . ولا تتناقلها اللسان في سهرات الصعيد وقرى الدلتا فحسب ،
وانما هي تروى ويصغى اليها في كافة القرى والمجتمعات الشعبية المنتشرة
في ارجاء الوطن الواسع ، في مراكش وفي الجزائر وفي تونس . وفي
جنوب الجزيرة وفي الشام والعراق ، لا بل ان قبائل عربستان لا يزالون
يسمرون على ملحمة بني هلال ، ولم يصل الى علمنا انهم استسافوا
السمر على حكايات الشاهنامة « الايرانية » . وكذلك الامر في كيليكية
والاسكندرون ، حيث لا تزال حلب تصدر اليهما - تهربا - القصص
الشعبية ، لا بل ان الشاعر الكبير الاستاذ سليمان العيسى ، حين كان
فتى من فتیان انطاكية ، حاول ان يقلد ملاحم الهلالية بابداع ملحمة شعبية
تقص حكاية الفلاح البطل « جميل الحابك » . معنى هذا ان السيرة
الهلالية كانت في انطاكية اكثر انتشارا واقوى ازدهارا وتأثيرا منها في
مصر ، مثلا ..

اذن فحجتنا الاولى على عروبة السيرة الهلالية ، وبراءتها من الاقليمية
الزيفة ، كونها لا تزال منتشرة في كافة ارجاء الوطن الكبير ، متغلغلة
في ضلوع كل مجتمع شعبي عربي ، نشيطة في اداء وظيفتها الفنية
كتراث يضم قيما اخلاقية وجمالية عربية محضة .

هذا أولا ..
واذا كان مبدع هذه السيرة او مبدعها ، من سكان اقليم مصر في القرن
السادس او السابع للهجرة ، وهي قضية لا يمكن اثباتها ، فان ذلك دليل
ثان على عروبة هذا الشعب الذي انتج ادبا شعبيا عربيا محضا ، عربيا
بحيث ينتشر في كل قطر ويذهب ويعشش في كل القلوب .. ثم ان المجتمع

من منشورات دار الآداب

الحي اللاتيني (رواية) للدكتور سهيل ادريس
الخنديقي الفميق (رواية) للدكتور سهيل ادريس

دار الآداب ص.ب ١٢٣

مصر الفولكلور العربي بعد ان حصل على كرسي خاص لتدريس هذه
المادة في جامعة القاهرة . وهو قد كان جريئا وصريحا حين قال : « ..
للاسف الشديد راينا فريقا من الباحثين عندنا لا يزالون على منهجهم
القديم في النظر الى رقعة التكلمين بالعربية على انها وطن واحد متجانس
الخصائص والصفات ، وان الناس الذين يضطربون في هذه الرقعة ،
مقيمين ومتنقلين ، وان تبلبت السننهم ، وتباينت منازعهم وطبقاتهم ،
واختلفت قسماتهم وملامحهم ، تضمهم ارومة واحدة ، ولم يصبهم في
طرائق الفكر والشعور تبدل او تحوير خلال العصور والاجيال ، فآثرنا
ان نتابع طريقنا في التمكن لهذه الفكرة الاقليمية من ناحية ، والعمل
على مسطرة النهضة القومية الديمقراطية من ناحية اخرى » .

ولهذا الغرض درس الدكتور يونس « قريبة بني هلال » ، احدى اهم
 ذخائر الفولكلور العربي ، وبذل جهودا واسعة لتأكيد اقليميتها وتبيان
« مصريتها » ، وليطلب اليها ان نسلم بان « بقاء الخطوط البارزة في
السيرة الهلالية على حالها انما يعني مسطرة هذه الخطوط للروح
القومي المصري من ناحية ، وللفلسفة الحياة التي درج عليها المصريون
في جميع عصورهم من ناحية ثانية ، وملاءمتها للتقاليد القصصية المتوارثة
في هذه البيئة من ناحية ثالثة » .

وتساهل الدكتور يونس احيانا في عروبة المساكين ابطال سيرة بني
هلال فيقول : « وان كانت البيئة المصرية قد احتفظت لاشخاص هذه السيرة
باسمائهم وكناهم وبعض ملامحهم ، فانها مصرتهم ، وقد مر بنا ان الاحتفاظ
بأزيائهم العربية سمة من سمات الشعور بالذاتية المصرية المستعربة
المفارقة للترك ومن لف لفهم من الحكام » .

وقبل ان نضع يد الدكتور يونس على الاراء العفوية - ولذلك كانت
سليمة - التي وردت في كتابه والتي تعد حجة لعدة وحدة الفولكلور
العربي ، لا حجة عليهم ، احب ان اذكر بان ، بعد البحث الطويل ، استطاع
ان يربط السيرة الهلالية بما يسميه العقلية المصرية لان السيرة « تحدد
العدد في الافراد والمجموع بمضاعفات الرقم تسعة . فنذكر ان خليفة
الزناقي قتل من امراء الهلالية تسعين فارسا ، وان جيش الهلالية كان
اربع تسعينات الوف ، وهكذا . والرقم تسعة كما هو معروف من الارقام
المستقرة في اخلاص المصريين منذ عهد جد قديم » .

هذه اقوى حجج الكاتب علىصرية سيرة بني هلال .. وهي حجة
قد تذكرنا بذلك الكاتب الذي اراد ان يبين « خصائص
الشعب المصري » فقال مما قال : الشعب المصري
يحب السلام .. اسلام » . سامحه الله ، وسامح ايضا الكاتب الاخر
الذي كشف عن « القومية المصرية » في قدر الفول « لانهم جميعا ياكلون
الفول الممس » .. الخ



لا خلاف في ان الادب الشعبي عموما ، والمأثورات القصصية المتداولة
خصوصا ، من اهم اعمدة الفولكلور وافصحها بيانا عن عقلية الشعب
ومعتقداته وابعدا اثرا في ذوقه وتصوراته الجمالية والاخلاقية .
ومعروف عن المجتمع العربي انه من افنى المجتمعات بالثروة الفولكلورية
القيمة ، ومعروف ايضا ان ادبنا الشعبي من افنى الاداب المائلة واشدها
تميزا وافصاحا عن روحه البدعة الغلة ، - وهذا سر انتشاره عالميا -
اذ ان ادبنا الشعبي فيه « من الحرية والمرونة والقدرة على الاخذ والعطاء
ما يجعله يتحدى الخلاف الديني والخصام الحربي والمفارقة العنصرية .
ومن الملاحظ ان تيار الادب الشعبي العربي كان قوي التأثير في اقاليم

العربي في القرن السادس او السابع كان مجتمعا متمائلا في كافة الاقطار ، يعتقد عقيدة واحدة ويؤمن بقيم ومثل في الحياة واحدة وبواجه مشاكل واحدة ، الامر الذي لا يحتاج الى عناء في اثباته .

ولكن لم كل هذه الحجج وهذا العناء ، والسيرة الهلالية ذاتها بين ايدينا صريحة في سماتها ودمائها العربية ، اكاد اقول سماتها ودمائها البدوية الصحراوية الجاهلية؟؟.. انني ان اعرض اهم هذه السمات من خلال اجتهادي ، وانما ساعرضها كما وردت في اجتهد الدكتور عبد الحميد يونس ذاته كي نحسم المشكلة اولا . ونضع يد الدكتور على اخطائه ثانيا ، ونبين للقارئ فشل كل محاولة فكرية في اقلمة اية ظاهرة عربية ، وفي الفولكلور خصوصا .

فالهلاليون ، كما جاء في كتاب « الهلالية في التاريخ والادب الشعبي » قبائل عربية ، من بدو الجزيرة ، معروفو النسب ، كان لهم ايام الجاهلية شان وخطر ، ومنهم قبائل وعشائر هاجرت الى بلاد الشام ومصر قبل الاسلام . وكان لهم ايام الدعوة الحميدة وفي حروب الردة والفتوحات شان وخطر ، وازدادت هجراتهم الى المناطق المفتوحة ايضا . ثم كانت هجرتهم - او تقريبتهم - التاريخية الواسعة بعد ذلك الى العراق والشام ومصر وليبيا وتونس ، وقد تركوا بعضا منهم في كل قطر مروا به ، ومنهم من اثر البقاء في الصعيد . اذن فهم عرب انتشروا في الجو العربي الجديد الواسع ، لا بل انهم كانوا « من المعينين في البداوة ، المعترزين بالعصية ، لانهم كانوا يقاومون عوامل الاستقرار والاندماج . وانهم لم يتغيروا في جميع المسارح التي حلوا فيها . فقد كانوا قسي نجد والعراق والشام ، كما كانوا في مصر وافريقية وبلاد المغرب » ص ٧٨ . ومن صفاتهم العربية انهم يعتزون بخيولهم ويغالون في ذلك « حتى

مجموعة اعلام الموسيقى

تعرض حياة عباقرة الموسيقى وأثر المرأة في حياتهم

صدر منها

٢٠٠

- ١ - بتهوفن ترجمة : الدكتور علي شلق ١٨٠
- ٢ - شوبان « : خليل الهنداوي ١٧٥
- ٣ - تشايكوفسكي « : الدكتور فؤاد أيوب ١٥٠
- ٤ - كورساكوف « : « « « ١٥٠
- ٥ - ليست « : بهيج شعبان ١٥٠
- ٦ - موزارت « : « « ١٥٠
- ٧ - باغانيني « : « « ١٥٠
- ٨ - فاغنر « : الدكتور فؤاد أيوب ٢٠٠
- ٩ - شوبرت « : بهيج شعبان ٢٠٠
- ١٠ - الفن الغنائي عند العرب تأليف : نسيب الاختيار ١٥٠

الناشر : دار بيروت

اصبحت هذه العلاقة الحيوية بين الفرسان والخيل ادنى الى القرابة ، فيها من التعاطف والحب ما بين الاقرباء . ودونت الكتب اسماء كثير من خيلهم المشهورة كالاحزم والازور واعوج الاكبر ، اشهر خيول العرب واعظمها ذكرا على الاطلاق . . وقد بلغ من وثوق الصلة بين الخيل واصحابها ان الفارس منهم كثيرا ما كان يعرف بفروسه لابقسماته وزيه « ص ٨٩ . - ويقال : « ان ديابا لم يبك احدا من بنيه كما بكى فروسه عندما نفقت ، وظل يذكرها حتى اذا حضرته الوفاة كانت وصيته ان يدفن الى جانبها في المكان الذي اختار لها » ص ١٧٢

ومن صفاتهم العربية ان الفارس منهم كان يحافظ على سلاحه محافظته على حياته ، ويهتم في ان « يصونه من التلف ، وان يتمهده بالمصقل والاصلاح حينما بعد حين . وكانوا يتصورون هذه الاسلحة وكأنها كائنات تنبض بالحياة ، سكبوا عليها من نفوسهم شعورا ووعيا ، ووصفوها بالتميز ومعرفة العدو والاقدام والحماسة ، وما الى ذلك من اوصاف الفرسان عندهم » ص ٩٠

ثم يقول : « تعد سيرة بني هلال من اروع القصص في هذه البيئة الغابرة « يقصد المصرية » لبيتها الاولى التي انشأتها « يقصد العربية » ... فما الذي مكن لهما من الحياة في هذا المحيط ؟؟ » ص ١٧٧ .

اليكم جوابه الذي يكاد يكون اعترافا وتسليما ، قال :

« لقد تسلمت البيئة المصرية سيرة بني هلال وغيرها من السير ، بعد العصر الفاطمي ، او بعبارة اوضح ، بعد ان اصبح السلطان في يد غير العرب . ولهذا دلالة على تلك الخصيصة العامة التي تريد ان تتيبها ، فان الشعب المصري ، قد تم استعراجه واسلامه ، اصبح يقف من النول الحاكمة موقف الشاعر بلدياته ، المحتاج في الوقت نفسه الى التعبير عن هذه الذاتية . فدفعه ذلك الى انتخاب احداث بعينها تصلح للترجمة عن مشاعره القومية وهي كما نعلم ملونة بالعروبة ، فاهتدى الى عنثرة والى سيف بن ذي يزن والوزير سالم والى بني هلال . وهذا يدل على ان القومية المصرية ذات الطابع العربي لم يكن يعينها التفريق بين عدانية وقحطانية بقدر ما تعينها الصفة العربية العامة . بل ان هذا الشعور القومي كان يطبع العناصر غير العربية بطابعه كما فعل مع الظاهريين ، اذ انتزع من الجركس ووصله بالعرب . وعلى هذا فالخصيصة الاولى التي اعانت على تمصير السيرة الهلالية هي انتصار عروبتها » ص ١٧٨

ارايتم الى انزلاقات الدكتور في هذه الفقرة ؟

ارايتم الى تاكيده عروبة شعب مصر الذي احتضن اثرا ادبييا شعبيا وحافظ عليه ووجد فيه مثله ومطامحه وصورة لنفسه ومشاعره ؟ ان الدكتور عبد الحميد يونس يقع في مثل هذه التزاليق الغيبية التي تخرج به عن نطاق الاقليمية المصطنعة الى ميدان القومية العربية الرحب الواضح ، في كثير من صفحات كتابه عن الهلالية . اما الهلالية ذاتها فتظل مستعصية على التأقلم والتضييق والتصغير . . وقد ثبت نهائيا ان ابازيد لم ياكل فولا مدمسا ، وكذلك الزناتي ودياب والجازية ، تلك البدوية التي احبت كل مصرية ان تكون مثلها . .

وبعد ، فان لدعاة الاقليمية في الادب الشعبي العربي خصوصا ، وفي كافة مظاهر الفولكلور العربي عموما ، فضلا كبيرا في انهم يبينون لناس استحالة تفتيت هذا الفولكلور ، وبناء منظومات فولكلورية اقليمية . . على ان الفولكلور العربي لم يصبه اي اذى من محاولات التفتيتية ، اذ انه لا يزال ترانا غنيا هائلا ، لم تطله الدراسات الجدية بعد .

شريف الراس

القاهرة

مناقشات

ملتزمون ام متعصبون؟؟!

بقلم مطاع صفدي

لا كحلية جديدة في موجة مودة مستحدثة ، ولكن نحيائها كازمة وجود وحرية لا تفتأ تعمق هوانها بقدر ما يفتح امامها عالم النصر .. كيف نبعد عن انساننا هذا القلق وهو يرى الى انتصاراته الكبرى تحقيق بها اخطار جديدة يبتكرها الاعداء في ذات الحظورة التي لانتصارتنا على مصالحهم .. ما هذه السهولة واليسر والنمومة التي تراها نازك في ثوريتنا ، وهي ثورية تشقت عظمتها كلها من كونها مخاطرة كلها ولا ضمان لها الا تصميمنا ، الا شعورنا بحريتنا الجديدة .. وهي حرية متممقةمناقة على اصحابها عندما يعون حقا مهمتهم الاصلية ..

ليس ، يا نازك ، كالواقع العربي مدعاة لليأس والتمرد معا ، ليس كالريف كالمدينة كالبيت كالصنع كالوظيفة كالسينما والمثلي والقهى في معطيات حياتنا اليومية ، محرضا على النعمة ، على الاستمئزاز ، على التنبيه العميق لمعنى مأساتنا ، وبالتالي على الثورة الاصلية ..

انه جذر حقيقي لبطلنا ، كونه اولا بطلا بدون ضمان ، كونه ثوريا بدون عدة للثورة ، كونه مهذبا قاسيا ، ينحت من الصخر ، صخر الواقع الفاسد ، ينبوع الحياة الجديدة ، التي لم يعرفها بعد ، التي لا يدرك بعد ما هي وكيف ستكون ، الا انه ارادة على الحرية الكبرى ، على المعاهدة المتجاهدة .. والثائر هو اولا يأس ، واليأس معناه رفض كلي لجميع مظاهر الواقع وقيمه وتحجراته . فمشروع ان نكتب عن الجانب المظلم ، ان نترف بالامنا ، ان تكشف عن ازماتنا ، ان نفصح اقيبتنا ، ومشروع ان نقدم نماذج الى اسفل ، لنعلم بعد ما هو الاعلى ..

واما ان نحدد موضوع فننا بان يكون فن سعادة وطيبة وعقل وتوازن وتفاؤل ساذج ، فهذا هو التعصب لعقيدة لا نفهمها حق الفهم بعد ، وهذه هي المنهجية التي تقبر الحرية ، وهي روح دعوتنا الحقيقية ، وهذه هي الماركسية في شكلها القسري والعنفي المصطنع ، ولكنها تتحدث الان بكلام عربي .

واخيرا فلنعد نازل الى تجربتها الشعرية منذ (عاشقة الليل) حتى (قرارة اوجة) لتبحث من جديد لماذا كان ذاك شعرا ، ولماذا كان ذاك (الشعر) ينبجس من سمفونية السواد واليأس والتمرد معا ، ولماذا اثر في قرائها ، وكان ذلك الاثر ما جعلها شاعرة حقا . نحن لا نريد ان نطلي ببريق زائف واقعا المتناقض المشوه في اكثر من وجه له المضطرب ، المنذفع القلق ، لا زاد له الا كونه تمردا مطلقا من اجل ضوء صمغ نحيل في فضاء مطلق بالسواد والصمت .

واخيرا ليست كلمتي هذه ردا (1) على نقد من نازك الملائكة . ولكنها تنبيه - قد يكون عنيفا قليلا - لدرب وعرة اخشى على كتابنا ذوى النية الحسنة تجاه عقيدتهم القومية ، ان ينجرقوا في وعورتهم ، عندما يطلبون ، بدافع من التفاؤل والتفاضي المتكبر ، من الفنان نوعا من المنهجية المادسة في وقت بدأت فيه تجربتنا الادبية الشاب تلامس شيئا فشيئا رسالتها

لفت انتباهي في نقد القصص خلال الاعداد الماضية من الاداب ، وخاصة العدد الاسبق ، ان لهجة معينة قد بدأت تبرز في تقسيم المضمون القصصي ، واستطيع ان ادعوها لهجة (متعصبة) تدعي لنفسها ما يدعيه احيانا غلاة المتدينين من حق في تكفير الناس ، وما كان يدعيه الى زمن قريب غلاة الدين الجديد ، اعني به الماركسية ، في فرض منهجية ضيقة خانقة على الكتاب . ولكن الخطر في هذا الطابع الجديد من التعصب ، الذي اعنيه هنا ، هو ان يكون باسم اكبر دعوة للحرية الحقيقية وهي قوميتنا العربية .

لقد قرأت آراء غريبة في فهم الالتزام لآثري في النهاية الا لشل التجاوب الحقيقي بين الاديب وبين الواقع العربي الذي يلتزمه عفووا ودون جمعة ومحاولة لفرض (العلمية) في (العقيدة العربية) . فمثلا حاولت الانسة نازك الملائكة في العدد الماضي ان تركز نقطة اساسية في مهاجمتها لقصتين احدهما لمي يتيم واخرى لذكريا تامر ، وهي مسألة المضمون القومي والاخلاقي للشخصيات المتحركة في هاتين القصتين . ولقد عجبت حقا ان تصدر مثل هذه الآراء عن كاتبة او شاعرة لامعة كنازك كان لها نصيب وافر في كشف جانب من سوداوية البطل العربي المعاصر ، تناولته من خلال التجربة الانثوية وقصة تمردا في واقعا الشوري .

وانا اقول لننازك ان فهمها للانسان العربي على انه كائن عاقل ايجابي ، محب لمدينته ، يحيا بسلام مع الله والتقاليد والشارع ، وانه بطل ، قوة كله ، تفاؤل كله ، فتح مبين دربه ، عالم من الشعر والصبح والزهر واقعه ، هذا الفهم لبطلنا يجعل منه بطلا عسكريا ، كروتونيا ، نقدمه الى اطفالنا في مدارسنا الابتدائية . انه في الواقع نوع من (العناترة) الجدد التي لا تعيش الا في مخيلة سكونية لا علاقة لها بمأساة البطل العربي الحقيقي . تماما كما فعلت نازك في محاولتها لكتابة القصة ذات العنوان (منحدر التل) (1) ، فقدمت لنا عائلة من عرب فلسطين داهمتها الكارثة ، والعائلة ريفية ، فاذا بها تصبح ، بالنسبة لوعي القاصة الجديدة ، عائلة يحيا افرادها في غرف مستقلة ، او في بيت تقام فيه العلاقات الاسرية كما تقام في بيت لورد اقطاعي في انكلترا - وفي قصة قصيرة ذات ثلاث صفحات هناك اعطاء لاكثر من خمسة او ستة اشخاص ، يطل كل واحد منهم من نافذة عابرة .. انهم اشخاص مختلفون ، سكونيون ، واحساسهم بالكارثة يشبه احساس صاحب (كاديلك) بثقب عجلة من مجلاتها ... وعندما يفرون امام اليهودي لا يشعرون ان يصحب كل واحد منهم (بطانيته) .. هذا في عائلة ريفية من عرب فلسطين ..

ثم من قال لك يا نازك ان العقيدة العربية لم تخلق من اليأس الكادح المدمر ، من قال لك ان العرب قد حلوا جميع مشاكلهم واصبحوا قسي راحة مطلقة يبحثون عن الجمال والرفاه وكيف يمكن ان يكون انسانا الفنان مجرد شاعر غنائي و (السجل) في (بغدادك) والقلق ذو الالف مقلب في نفوس الطليعة العربية في كل مكان التي تعاني المأساة من داخل ، نشرت في عدد قريب من الاداب (1)

(1) وذلك لاني ما تعرضت للتعاطف العميق الذي احدها الكاتبة على القصص المنفردة ، بل انني اكفيت بنقطة فهم الشاعرة لبريعة المضمون القومي الذي نشر على كتاب القصة بينية والتعصب له .

الطبيعية ، وهي ان تعبر عن الانسان العربي كما هو في جديته الرائعة بين سواد مطبق وتمزيق للسواد في نفسه ، وفي عالمه .
دمشق
مطاع صفدي

عندما تدافع الفرعونية عن محمد !!

بقلم علي بدور

تعجبني في مقالات الاستاذ الصديق غالي شكري ، عناوينها المضيئة ، فهو مرة .. يصف العمامة بانها : تاج العرب .. ثم لا يلبث ان يلقي في اخر المقال بتاج العرب ، ارضا ، كما فعل بطل الخندق الفميقي للدكتور سهيل دريس .. ومرة يضع العنوان : دفاع عن محمد (١) .. ثم يبدأ من خلال المقال يبت افكاره وارهه .. في الرسل والرسالات والحضارات ، قديمها وحديثها ، بأسلوب حي ، ولكن لا يخلو من بعض الاراء الخاصة التي هي بحاجة الى وقفة ومناقشة .

نحن نود من الاستاذ غالي - ايمانا منه بمنطقه الفكري - ان تنسجم عناوينه مع كلام مقالاته . وان لا يقصد منها اثاره القاريء وتشويقه للقراءة .. كما تفعل بعض دور النشر حين تضع العناوين المثيرة للكلام التافه الفث .. والاستاذ غالي يظلم افكاره القيمة بعناوينه هذه .

والنقطة الوحيدة التي استوقفتني هي ان الاستاذ غالي يريد ان يفسر لنا موقف الدكتور الصديق نظمي لوقا ، تفسيراً يبعد كثيراً عن المعنى الذي قصده الدكتور لوقا . اذ ان الدكتور لوقا يعرض في كتابه « محمد الرسالة والرسول » الى قصة اتقانه اللغة العربية والادب العربي وفهمه بأداب اللغة العربية ، عندما كان صبيا على يد شيخ مسلم ، وهو المسيحي القبطي . ثم يتابع الدكتور عرض رايه في قصة الرسول ومعنى الرسالة . ولكن الاستاذ غالي ، من خلال منطقته وفهمه للاديان ، واللغة العربية والعرب ، يريد ان يشعرنا ان الدكتور نظمي انما كان يكتب قصة وليس بحثا له اصول واعراف . والا كيف نفسر ، اذن ، تفسيرات الاستاذ غالي، ان اخناتون - احسن الله اليه والى انصاره - قد تلاقى عنده ، محمد والمسيح ، كما تلاقى الشيخ المسلم ونلميذه القبطي ، على اعتبار انهما مصريان .. ينحدران من صلب اخناتون .. ان كان لاله المؤمنين بالفرعونية صلب ينحدر منه البشر !

ولا ادري اذا كانت عقدة نقص ما ، موجودة لدى بعض الناس ، الذين يمكن ان يسلموا بما جاء في افكار كاتب المقال ؟ ذلك انها متناقضة . فهي في بدايتها تفسر الاديان تفسيراً علمياً وتشترط لانبثاق دين ما ، عدم اغفال الظروف المادية الراهنة انذاك . هذه فكرة نسلم بها ميدنيا .. وهي فكرة الاستاذ غالي - ولكن كيف تستقيم هذه المقدمة مع جعل اخناتون - نعم اخناتون - اول موحد للعالم .. في العالم .. ورد فكرة التوحيد هذه الى طبيعة الشعب المصري الذي كان على حد تعبير الاستاذ غالي يعاني من المستبدين الانجليز والاثراك والمستبدين المصريين ، وكذلك (العرب) - كما يقول الكاتب - كلما اراد ان يكشف عن انسانيته الماضية التي اكتشفها اخناتون ، لتعحو مرارة التاريخ وتذيب رواسب القرون ... ولكن كيف يتخلص الشعب في مصر من الاسلام والمسيحية ، واللغة العربية ليصل الى اخناتون ؟ ان اهل الكهف ناموا ثلاثمئة سنة فلما استيقظوا

جهلهم الناس ، افلا يجهل اخناتون تلاميذ كلوب (٢) !!
ويتحدث الكاتب عن الوحدة الجنسية التي عرفها الشعب - المصري - بعد الغزو العربي - رغم نفيه لكل دعوى عنصرية - الا ان اواقع التاريخي ان العرب عندما ذهبوا الى مصر لم يذهبوا كعرب ولكن ذهبوا كمسلمين . هذه حقيقة مهمة . والمسلمون الذين ذهبوا الى مصر لم يفعلوا بافراط مصر ما فعل مسيحيو اسبانيا بالمسلمين هناك بعد تقوض دولتهم ، اذ اجبروهم على التنصر . ولا ادري كيف يمكن لاقباط مصر ان يتكلموا باللغة العربية ، دون ان يصبحوا مسلمين لولا سماحة المسلمين الذين اسماهم الاستاذ غالي غزاة !! تماما كالانجليز الغزاة ، الذين فتحوا الهند ! ولكن ماذا استطاع الانجليز ان يفرضوه على الشعب الهندي ؟ هل تكلم الشعب معهم في حياتهم اليومية ؟ هل فرض الانجليز البروتستانتية لغته على الهندي البوذي او المسيحي ؟ ولا نعلم ما هي حقيقة شعور بعض المثقفين من اخواننا الاقباط في مصر .. فهم رغم ايمانهم بالظواهر المادية في خلق المجتمع وفرض التطور على التاريخ ، لا يزالون يناقشون الامور المحيطة حولهم بروح قومية متعصبة لا يظهر الحياة التي يحيونها واللغة التي يتكلمونها ، ولا لدين مسيحي سمح كريم .. بل لحضارة فرعونية، يستمدون منها القيم والافكار ، والمثل ، والدافع لتبرير الحياة الحاضرة ، وتوزيع افضالها على العالمين . ولا اعتقد ان للفرعونية في مصر من النفوذ ، غير اثارها كالاهرامات وابي الهول الذي جذعت انفه العاديات وبعض الآثار المجموعة هنا وهناك .. ولا اريد ان اتساءل كيف يتعصب نفر متقف لحضارة انقرضت ، ليس لها لغة ، ولا مشاعر ، ولا روابط تشدد افرادها بعضهم الى بعض ، ولا طراز حياة ، في الماكل والشرب والتصرف العادي الذي يصبح عليه المواطن ويمسي ، في الوقت الذي يباهي به بعض الجاهلين ان الشعب المصري هضم اليهودية والمسيحية والاسلام ، وتمثل اليونان والرومان والعرب ، وظل فرعونيا رغم كل شيء ؟ .. ولكن لا بأس ان يستعير لغته من العرب ، وطراز حياته منهم ايضا ، وان يكون فيه المسلم والمسيحي واليهودي ، وان يظل رغم ذلك فرعونيا يحاول ان يستمسك بوحدته التي تصل به الى ابي التوحيد اخناتون كما يقول الاستاذ غالي !!

ومفهوم الاستاذ غالي للغة العربية مفهوم ساذج حقا . انه يتصور ان اللغة العربية ، وفدت الى مصر في عليا مبطنة بالحرير .. ضمن اثاث احد الطغاة الفاتحين الذين وفدوا على مصر ! لا يا استاذ .. ان اللغة العربية رغم انها كانت لغة لاسلام ، فانها لغة العرب الذين سكنوا مصر ايضا .. ولا اريد ان اعرض للاستاذ غالي نسب عرب الوجه القبلي والبحري ، والقاهرة التي بناها جوهر ، وكيف امتزج هؤلاء .. بهؤلاء ... وكيف ولد شعب جديد ، ليس له اية علاقة تربطه بالاحترام اخناتون .. ولا خوف .. ولا متفرع !! اللهم الا الذين ناموا نومة اهل الكهف .. ثم اردوا ان يستيقظوا في هذه الايام ليتحدثوا كما يتحدث الصديق الاستاذ غالي ، عن الغزو العربي والحكام العرب والطغاة العرب .. الى ما هنالك من معزوفة وضع الحائنها الاستعمار ورددها الخداعون والابرياء من بعده !

هل يدلنا الاستاذ غالي على مذهب للفكر يؤمن بالتطور المادي للتاريخ، وبالعنصرية التي تسمو على المسيحية والاسلام !! وبالكيان الاجتماعي

(٢) مطبق السياسة الاستعمارية في مصر ومخطط برنامج فصل مصر من العالم العربي وحياء الفرعونية !

الذي يريد أن يرجع لأصله مجرداً من اللغة ومظاهر الحياة وكل القيسم الاجتماعية المرعية !! ويؤرخ تطورا الشعوب وانصهار بعضها في بعض ، على انه غزو وطفيان الى ما هنالك من قبجج الصفات والنموت ! ويقف اخيرا ليناقش - ولا ادري بحسب اي مذهب نقدي - ويفسر حياة كاتب رواها بقلمه ، على انها رمز لكل ما في افكاره من معلومات عن المذهب الفكري الغريب العجيب الذي يؤمن به ويدعو اليه ؟ ام ان الصديق الاستاذ غالي منكم الان في اكمال ما توحيه مبادئ الدفاع عن حمد والعمامة تاج العرب ، وغيرها من عناوين هي اشبه بتيجان .. ولكن لاجسام من الافكار محنطة .. ميتة ، على طريقة من حنطهم التاريخ ، وبئس ما يحاول كل نافخ في رماد بارد ، ابرد من شعور بيت ، ووجدان كظيم !!

حمص علي بدور

حول

«مصارعة الثيران في السياسة الدولية»

بقلم نور الدين مصطفى

ليس اخطر (❖) على جيلنا العربي الراهن الذي تتألب ضده قوى عديدة هائلة من ان تتمزق قواه القومية او تتشكك في اهدافها الكبرى او تنقسم على نفسها او تفترسها الحيرة الشريرة المسمومة او تنحرف الى متاهات الحروب الجذلية حتى تضل سبيلها وتضيع .

ولا شك ان الشعب العربي سينكب بهذا الخطر لو فقد ايمانه بهذا الاتجاه التحرري الذي تدب به جماهير العروبة في شتى اقطارها وتطبعها بطابع جماعي موحد لأول مرة في تاريخها الحديث رغم اختلاف الانظمة السياسية التي تحكمها ورغم الاعداء الكثيرين الذين يتآمرون على تدمير روحها من وراء اقنعة مختلفة وبراقة احيانا ومزورة .

وليس اسهل ولا امكن في محاولة تمزيق الاتجاه العربي الثوري من الزعم بان هذا التيار الجماهيري الزاحف ان هو نزوة شخص او اشخاص معينين وليس روحا ملتزمة مؤمنة لا تقبل انحرافا ولا تطبيق جدالا .

والاستاذ كاتب مقال (مصارعة الثيران في السياسة الدولية) في آداب الشهر الماضي لم يتعرض في مقاله لذكر البلاد العربية بصراحة ، ولكنه دون شك لم يكن يعني اسرائيل في غمزه وتهكماته ، ولا يعني كذلك سويسرا ولا امريكا ولا روسيا ، بل يعني اطراف النزاع في معركة القومية العربية ، وهو سيحاول التوصل حينما نمسك بخنقه هنا وربما يدعي انه لا يعني مقاله شيئا ولا احدا .

يقول الاستاذ الكاتب « ان الانسان يصاب بالذهول حينما يرى شعبا يتحول الى جهاز دعابة » وهو كما نصر ونكرر لا يقصد الا العرب . انه يتفزز من هذا الشعب الذي تقوده روح واحدة ، ولكنه لا يقول ذلك بصراحة بل يجمل اجمالا فيشير الى شعب ما بأنه تحول الى جهاز دعابة ، وسواء علينا اكان الكاتب يقصد العرب ام يقصد مجتمع واق

(❖) ملاحظة من التحرير : نعتقد ان الناقد هنا قد حمل كاتب المقال اكثر مما يحتمل فانه لم يخطر لنا ببال انه يقصد في مقاله الذين يظنهم الناقد ، وانما اعتقدنا انه يتكلم بصوت عامة من غير ان يفهم احدا .. ومع ذلك فنحن ننشر هذا النقد حرصا على حرية الفكر ، ولا شك في ان لدى الكاتب ما يرد به على الناقد «الاداب»

الواق فان الامة العربية تعيش عصرا عربيا ثوريا . كعصر الثورة الروسية وعصر الثورة الفرنسية وهو عصر خاص بالثورة العربية متبني من طبيعتها وتاريخها وظروفها والروح العربية الثائرة سلالة منحدره من كل ومضة اكنفت آمال العرب والامم وتجاريهم ومعاركهم منذ اقدم العصور حتى عصر الاستعمار الغربي . انها لمغالطة مفضوحة ان يقال ان هذا التيار العربي انهال الذي انحدر اليه من الاف الينايبسج الاصلية ما هو الا اسلوب من اساليب السباب تحاقق به حاكم ما فساد راءه الناس جميعا (وتحولوا كلهم طفرة مثل صدى ذليل يكررون وينشدون بنفس واحد الخ) والواقع اننا في كل ما يتعلق باهدافنا العربية الرئيسية لا نتحول الى جهاز دعابة ولا نسب وراء هذا الجهاز ، بل نحن الشعب نسب الدعاية العربية في خطوطها العريضة ونفرضها ونوجهها ونرغمها على ان تلتزم غاياتنا .

ولا محل للعجب من سب الشعب العربي في تيار واحد ، فكل الثورات الكبرى في التاريخ وكل الحركات الدينية والقومية والاشتراكية كان اهم طابع يميزها انها تفر القاعدة الشعبية بروح واحدة ، وهذه الروح هي التي فجرت الطاقات الانسانية الخلافة ، وصنعت التاريخ ، ولو نزعنا هذا السر في حياة الانسان لرجعنا به آلاف السنين الى عهود الظلام .

ان هذه الروح الموحدة قد استخدمها احيانا طفاة اشرار في التاريخ وقد يصنعونها او يضلونها ، ولا نكران لذلك ، ولكن شأنها في ذلك شأن كل التراث الانساني الرفيع الذي استخدمه الاخيار والاشرار ، ومع ذلك لا يستطيع منكر مستنير ان يدعوا الناس الى نبذ هذا التراث لانه استخدم لاغراض شريرة والا لطالبنا بمحاربة العلم والفاء الحضارة والمدنية لانها كلها قد استخدمت في وقت ما ضد الانسان .

وعقيدتنا العربية المتحررة الشاملة الموحدة تراث تاريخي امتلات به روح العروبة الحديثة وتسلحت به ضد اعدائها الكثيرين في معركة النصير ، وان الدعوة الى نبذ هذه الروح والتشكيك في قيمتها واهميتها لا تختلف عن دعوة الجيش الذي يدافع عن نفسه بالقاء سلاحه امام عدو لا يلقى السلاح .

ان قادة العروبة المتحررة لم يصنعوا هم هذه الروح ولم يتحكموا فيها ، بل هي التي صنعتهم وتحكمت فيهم .

لقد كان عبد الناصر مثلا حاكما في يوما ، وكانت بيده كل اجهزة الدعاية والسلطان وراياته ذات يوم قبل ان يعرفه الشعب معرفة اكيدة وهو واقف واجم امام هتافات معادية له تهدر كالرعد ولم يدع الشعب لصحافته ولا لاذعته ولم يثأر بها في قليل ولا كثير حتى وهي تزف اليه امنيته الكبرى في « صك الجلاء » ذلك لان الشعب لا يعطي ثقته بسهولة وليس من اليسير ان يلحق الثقة والعقيدة عن طريق اذاعة او صحافة لانه كان لا يزال غير مطمئن الى اجهزة الدعاية ذاتها فكان يتشكك فيما تأتي به ولو كان حقا .

ولم يؤمن الشعب بجمال عبد الناصر ولم يتخذ منه رمزا للقيادة المتحررة الا بعد ان جاء بالمعجزات الكبرى التي لا تدع مجالا للشك وفي قمتها « تأميم القناة » .

وبعد ذلك ماذا حدث ؟

لقد تفجرت الطاقات العربية الجماهيرية الغافية من قرون وراحت تعبر عن نفسها بالسر وراء هذه القيادة التي افلحت في تقديم الدليل القاطع بالانجازات الضخمة لا بالدعاية والتفريغ .

انه ليست القيادة العربية المتحررة هي التي تملك اجهزة دعاية وحدها ، ان جميع اعدائها العرب وغير العرب يملكون نفس الاجهزة وهي في مجموعها اكبر من تلك واكثر ومع ذلك فان الجماهير العربية لم تكن تعرف الا طريق التحرر ولا تسير الا وراء قائلتها التي امنت بها .

وليست القوة ولا السلطان ولا الفهر هي التي تقود الروح العربية المتحررة او تصنعها فانا نجد الغالبية العظمى للجماهير العربية من الخليج الى المحيط تسيطر عليها هذه الروح رغم ان هنالك اقطارا محكومة بالحديد والنار موجهة كل قواها الرسمية ضد تيار القومية العربية وهي في بعض الاقطار تضطهد وتجلد وتشنق لكي تتخلى عن ايمانها فلا تفصل .

حقا ان العرب كشان سائر الامم التي الهبتها عقيدة جديدة ودفعتها الى المعترك رسالة كبرى اصبحوا لاول مرة منذ البعث الاسلامي « يشهدون بنفس واحد واسلوب كاسلوب الصلاة رايأ معيناً وحكماً معيناً ومذهباً معيناً ومطالبة بسير في طريق معين » ولكن لا لان حاكمهم او قائدهم الروحي قال ذلك او رآه بل لانهم انفسهم كانوا انبعاثاً لتحقيق رسالتهم ارادوا ذلك وفرضوه على انفسهم وعلى قائدهم ودخلوا لاسباب موضوعية في معركة ضارية طويلة ليصنعوا مستقبلهم الذي ارادوه واختاروه رغم كل طغيان واغراء وتضليل ، فاذا شاء احد ممن لا يرتاحون لهذه الظاهرة العجيبة ان يصاب بالذهول او حتى بالاغماء فلا عليه ان يفعل ذلك فانه كاتب حر .

وانا لا ارى احتقارا لشعب ولا سطحية في تفكير كما احسه واره عند الكاتب الذي يلقي قدرة الشعب العربي الكبير على الفهم والادراك ، ويكفر بطاقاته النضالية في كل اقطاره وجماهيره ، ويحاول ان يوهننا بان كل تحركات هذا الشعب الضخم تسيرها ارادة فرد او افراد ويجهل ان يتجاهل ان هنالك عوامل تطويرية وتيارات كبرى هي التي تحرك التاريخ العربي كله بجماهيره وقاداته وحكوماته وجيوشه وان الاشخاص مهما كانت سلطتهم او قداستهم ليسوا الا رموزا لهذا الانجاه او ذاك ، واذا اردنا دقة اكثر فانا لا نطلق هذا الكلام على هذا النحو من التعميم بل نقرر ان هنالك تأثيرا او سلطانا متبادلا ، فالافراد اساسا تخلقهم تيارات شعبية وتسيرهم الى اهداف رئيسية وتجعل منهم امثلة

حية لتلك الاهداف وتعد نفسها مع ذلك للسعي وراءهم وتتخلى لهم عن بعض حرياتهم في سبيل الحصول على طاقات مركزية كبيرة تسير الشعب كله وراءهم دفعة واحدة الى اهدافه الكبرى فيصبح لهم من ثم قدرة هائلة على توجيه تحرك الملايين بمجرد صيحة في مذياع او عنوان مثير في صحيفة .

وهذا هو الفرق الحاسم الذي يميز هذا النمط من ابطال التاريخ عن الحكام العاديين الذين يحكمون بالورانة او بالصدفة او بالحيلة واسداهاء ثم يصبحون وهم في اوج سلطتهم لا يستطيعون الا ان يوجهوا الجيوش والمصفحات لحماية انفسهم من غضب الشعب .

وللمزيد من الدقة ، واحتراما لفهم القارئ ، لا نزع من ان قيادة التيارات الشعبية الكبرى معصومون من الخطأ ، انهم اعجز من ان يتجنبوا الخطأ ، واعجز من ان يبرأوا من عيوب البشر ، فلا بد من ان يرتكبوا بعض الاغلاط لا سيما اذا انغمسوا في معارك كبيرة ضد جبهات عديدة مازكة متربصة وفي ظروف تكتنفها المصاعب والتعقيدات . وانا لا ارى احتقارا لفهم القارئ ان يزعم له زاعم او يوهمه كاتب فيستدرجه لكي يحكم على قادة المعارك الطاحنة حكما صيبانيا ساذجا فيلزمهم وهم في اعصار المعركة ان يسبروا في سمات واحد وفي خطوات رتيبة فلا يتفرغوا بمنورة ولا خدعة ولا يخبثوا لهم كميناً وراء اكمة ولا حصن ولا يكرؤ ولا يغفروا ، وانما يضعون اقدامهم في طريق ممرود مصقول وراء نفم جنائزي يسير على رتابته حتى الموت .

ان هؤلاء القادة غير معصومين من الاخطاء في تفاصيل القضايا ومنعرجات المعارك وهباتها ومضطرباتها ، ولكنهم بعد ذلك - وهذا اهم صفاتهم البارزة - يعجزون عجزا تاما عن ان ينحرفوا عن الخطوط العريضة لاتجاه الشعب واهدافه الرئيسية الكبرى ، تلك الاهداف التي تنازل الشعب في سبيل ضمانتها عن بعض منطلقاته وتحركاته .

وعلينا بعد هذا ان نصحو قليلا من الاندفاع في هذا النقاش فربما كنا نؤمى الى مجرد الفراغ بمناقشة كاتب المقال العتيد ، فقد يكون هذا الكاتب كما يبدو من مقاله لا يقصد شيئا ولا يريد شيئا ومن ثم لا يقنعه شيء ، فنحن في جلدنا هذا نزع بالعقل وبالحرركات التاريخية الكبرى ويقضاي الانسان ومثله وبارادة الشعب العربي ومصر ومستقبله بينما هذا الكاتب ربما كان كما يبدو في فقرات عديدة من مقاله لا يرتبط باي منطق منبثق من هذه الحقائق الانسانية الضخمة .

نور الدين مصطفى

القاهرة

بغداد والموت !!

بقلم عبد اللطيف قطيش

لقد بات من المألوف ان يرتبط الموت ببغداد ، ارتباطا يكاد يكون غصوبا ، والى الابد ، لولا فسحة من امل واثق ، نابى ان ترى لبغداد مصيرا غير المصير المحتوم .. في ان تكون جزءا من الوطن العربي الكبير .. حيث تعيش في امن ، وحب ، وسلام .. بعيدا عن الحقد ، والحبال . والموت . ففي عصرها الحديث ، عاشت بغداد ، زمنا طويلا في السجن الرهيب الذي بنته ايدي دمي قصر الرحاب ، وجلاديه ... كمد الاله ونوري السعيد .. في هذه الفترة الكالحة من حياة شعبنا هناك .. عرفت

من وراء الستار الحديدي في العراق

يدوي صوت المناضل العربي

الدكتور شاكر مصطفى سليم

ليفضح اساليب التعذيب والارهاب

في سجن العراق الكبير

في كتابه الرائع

من مذكرات قومي متأمر

صدر عن دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت

وعن هذا الانحراف ، تتكلم قصتنا : « الخائن » للدكتور عبد السلام المجيلي . و«سلمى» للاستاذ مطاع صفدي . . الاداب - العدد الاول ١٩٦
ففي القصة الاولى - الخائن - وهي عبارة عن دفاع ضابط يحمل على كنفه ثلاثة نجوم ، امام هيئة المحكمة . ليرد عن نفسه تهمة الخيانة التي الصقها به النائب العام العسكري . . لا حيا بالحياة . . اذ ان حب الحياة لم يخلد احدا في الحياة « بل وربما طلبا للموت » احب الي ان افارق الحياة وانا في ذروة القدرة على التمتع بها . كل النفوس الكبيرة لم تجد في العمر الطويل الا الاسى ، بل انها وجدت النل احيانا . . . بل لان الخيانة « سبة تلحق روحه بعد الموت ، وتلصق باسمه عين لا يبقى على وجه الارض العنصر المفضل . . ومن شهود الاثبات في قضية الضابط حبيبته سلمى التي تمثل العنصر المفضل ، المدسوس على الثورة . . والذي انقلب عليها . . وانحرف بها . . بعيدا عن اهدافها الاصيلية . . العنصر الذي شكل « جموع اهل الاعمدة ، والحبال ، والسواوير » ، « ليقتلوا ابناء الشعب ، ولتحيا ثورة الشعب . . »

وهذا مادفع الضابط لان يحمي الثورة من الانتهازين المخربين ، فيحاول نفخ النار في شعلتها ، وتنقية نور الشعلة من الدخان والرماد والارجاس . . وهذا ، بالذات ، ما فاده الى قفص الاتهام . . والى « حكم بسيط قاطع ، يقضي برميهِ بالرصاص ، وحتى الموت » .

في هذه القصة الرائعة ، يحكي لنا الدكتور المجيلي كيف « ان رياحا تكباء هبت على شعلة ثورتنا من جهات الارض الاربعة ، فحرفت نور الشعلة . . »

ولست ارى كبير فرق بين هذا الضابط البطل ، وبين العقيد الشهيد

بغداد نوعين من السجون : النوع الاول وهو البناء المعروف . . ذو الاسوار العالية . . والجدران السميكة . . والغرف المظلمة التي لا يدخلها النور الا بمقدار . . والنوع الاخر وهو ظروف الواقع . . وقد زجوا فيه كل ما تبقى من الشعب خارج السجون التقليدية . . لقد حبسوه في واقع اليم ، وفي ظروف قاسية . . يصعب على الانسان العيش فيها ، دون ان يشعر بالمدلة والهوان . . وحتى بالقرع من الحياة . سجنوه . . وتركوه يعمى ، ويهرىء . . بل ارادوا له ذلك . . . واوكلوا به الشرطة ترميه ، في السوارع والازقة ، كلما حاول ان ينفض عنه الغبار . . . او يتخلص من عن مستنقع حياته الاسنى . . .

وفي هذين النوعين من السجون ، كان الموت القاسم المشترك لشعبنا في بغداد . . وبدلت ابعاد هذا الشعب عن معارك التحرير القومية . . ولم يسهم في اي منها . . بل واكثر من ذلك : كانت ارضه المطار الاستعماري الذي نفع منه المؤامرات لفضاء على القوة الدافعة في تلك المعارك . .

وحسبنا ان الوضع باق . . وان بغداد قد الفت الصمت . . وبات من المسير ان نعلم . . وكنا بذلك ، نفكر بعكس ماتجري عليه طابع الامور . ولبن افانون الصحيح عاد ليثبت صحته : بان الثورة لا تندلع الا لتغلب واقفا فاسدا . . تخش وتكلس . . وتصف فيه . . وتغير معالمه البالية وتعيده الى وضعه الطبيعي السوي . . تماما كما لايفضل ثوب الا عندما يتنسخ . . .

وهكذا كان ذلك الواقع : العيش بين الجدران السميكة المظلمة . . والبحث عن الخبز في المستنقعات والوحول . . بعيدا عن الاشتراك في المعارك القومية كان ذلك الواقع خيمرة للثورة . . ومطلقا لها . .

وهكذا ، ايضا ، كان الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ . . وكانت الثورة في صبيحة ذلك اليوم الاخر . . نتيجة تخمر خفي ، بطيء مستمر لارادة اصيلة ، صادقة في الانقلاب على الفساد المستحكم . . والتغيير الجذري الشامل لركائزه . . وعلى جميع المستويات . . واختلطت اصوات جماهير الشعب بازيز رصاص الجيش . . وتألقت بداية سمفونية الثورة الهادرة ، الصافية . . وانفتحت ابواب سجون العهد البائد . . وتدافع المساجين « سابقا » بمنابكهم عند الباب الضيق . . حيث تركوا حلقات اغلالهم الصلدة . . وراحوا - بعدئذ - يلوحون بايديهم ، وفي كل الاتجاهات هاتفين للثورة . .

والشعب في اعياده . . وفي فرحته الكبرى . . والخارجون من السجون في بدو تخلصهم من الرطوبة الباردة ، وتمتعهم بالدفء والحرية . . وقادة الشيوعيين خارج العراق ، وداخله يتأمرون على اغتيال فرحة الشعب ، وحرية . . ويخططون لاستغلال الثورة . . واجهاضها . . ونفريقها من مضمونها القومي البناء . . وتطبيق « تكتيكهم » المكياقلي الرخيص . . وبدا التنفيذ . . بلباقة .

ونجحت خطة التآمر . . الى حين . .

نجحت خطة التآمر الرهيبة . . فخنفوا فرحة الشعب واحالوها الى غصة . . وعلى الخارجين من السجون ، فاعادهم من حيث اتوا . . وكان يدعم التنفيذ . . بل كان التنفيذ ذاته ، حبالا مستعدة في كل لحظة لان تجرد في الشوارع جثث المعارضين ومحكمة - اصبحت الان مشهورة - تقدم ، بين الحين والحين ، للاعدام . . شنقا . . رميا بالرصاص . . حتى الموت كل من لا يؤمن بالمادية الديالكتيكية . . ويتعمد القوميات والامم في كل حي من احياء بغداد . .

وانحرفت الثورة . . بعيدا عن الثورة . .

دار مكتبة الاندلس ببيروت تقدم
القسم الثالث من

زينب ملكة تدمر

- اروع روايات التاريخ العربي قبل الاسلام .
- العرب وعاداتهم وتقاليدهم وحروبهم .

بقلم الكاتب المعروف

اميل حبشي الاشقر

صاحب مجلة الليالي

يطالب من جميع المكتبات في العالم العربي

عيد الوهاب الشواف الذي اعطى ساعده للثورة - كما فعل الضابط منهم - حين اصطدم « انصار السلم » ، ولقتل ، والسجل بجماهيرى الشعب الاعزل .. في ابوصل .. والذي لو قدر له ان يصل الى قاعة محكمة « المهادوي » ، لما كان دفاعه غير دفاع الضابط البطل ، ولما كانت نهايته غير نهايته ..

ورغم ما بذله الدكتور المجيلي ، من جهد ، بـ « فريق مابين مفهومين للثورة : الثورة للوطن .. والثورة للشعب .. ولفلسفة الانحراف ، والفوضى على جبهه الفكرية فان الفوضى والالتباس ، ما يزالان يشويانها .. وكقدمة لبدء رأينا لورد ما يراه الكاتب في الموضوع .. قال : « ان الوطن هو القيمة المعنوية للكمية المادية التي اسمها الشعب » . وقال ايضا : « اننا نرنا على اناس كانوا يمتنوننا بالرفاه وبالتقدم في مستوى حياة الشعب ، لاننا رايناهم يسعون الى ذلك على حساب عزة الوطن وكرامته . »

ان نفهم « الشعب » على انه كمية مادية وحسب ، ابقاء للمفهوم المردود الذي يعتبر المجتمع مجموعة افراد ليس اكثر .. ناسيا ما ينتج عن هذه المجموعة من صلات وعلاقات ومصالح وازواضع تعلق على الكمية المادية لها .. تماما كما لو امتزج الاوكسجين والهيدروجين لتنتج عنهما الماء وهو جسم اخر يعلو على عناصره .. واما ان يكون التبرير الوارد اعلاه سببا للثورة ودافعا .. فاننا نرى فيه شيئا من التناقض .. اذ لم يحدث ان كان رفاه وتقدم في مستوى حياة الشعب على حساب عزة الوطن وكرامته .. فمصر - مثلا - كانت - في عهد الاحتلال والملكية - فاقدة عزتها وكرامتها وكان شعبها ، في نفس الوقت فاقدا لرفاهه وتقدمه المعيشي .. واستعادت مصر عزتها وكرامتها .. فاستعاد شعبها في نفس الوقت ، الرفاه والتقدم في مستوى حياته .. فالتلازم بين السيادة القومية والنهضة الاقتصادية ، يكاد يكون دائما ، اذا توافرت الشروط والظروف اللازمة ..

ولهذا نرى ، ما يراه الاستاذ الكبير ميشيل عفلق في التفريق بين مفهومين للثورة الاول ، وهو الصحيح ، اعتبار الثورة للشعب ووضعها في خدمته وافادته .. والاخر .. اعتبار الشعب للثورة .. ففي الاعتبار الاول يكون الشعب الوسيلة والغاية .. يكون اداة التنفيذ وهدفه .. واما الاعتبار الاخر فيرى الشعب الوسيلة فقط .. واداة فقط ..

وفي القصة نفسها ، وعلى لسان الضابط ، المؤمن « بالثورة للوطن » يرد ما يؤيد مذهبنا اليه ، ويدعمه .. قال الضابط ، في سياق دفاعه ، : « ... ان احدا غير سلمى لا يستطيع ان يميز بين الثورة التي خنتها وتلك التي لا تزال لها مخلصا . » .. يرد هذا القول ، والضابط في قفص الاتهام ، نتيجة لوضوح الخلاف في مفهوم الثورة ، واتساع الشقة الفاصلة فيما بينهما ، يوما بعد يوم ... ومع ذلك تبقى الثورة على التمييز بين المفهومين وفقا على سلمى .. لماذا ؟ ..

ولعل الاسلوب الرفيع البعيد عن التكلف ، هو ما يعوض عن الارتباك في بعض المفاهيم .. والمقدرة القصصية التي وجدناها في « سالي » و « الحب النفسي » لاتدمعا القصة الجديدة « الخائن » ..

✱

واما القصة الثانية « سلمى » ، فتعالج الانحراف على مستوى اشمل واعم .. وتسمى المسميات باسمائها (بعكس القصة الاولى التي لم يرد فيها غير اسم واحد لخطبة الضابط - سلمى) .. وتحيط بجميع ابصار الازمة تقريبا .. فتروي لنا تاريخ الثورة في بغداد حتى يومنا هذا ..

ولسنا بحاجة لذكر مضمون القصة .. اذ ان المتتبع لاحداث العراق يعرف الشيء الكثير عن مضمونها ..

وبطلة القصة « سلمى » هي - كما نرى - رمز لرأي الاستاذ مطاع صفدي في مشكلة العراق .. ذلك لان تحميل الطليعة القومية الواعية مسؤولية كل ما يحدث من نكسات تقريبا .. هو ما يؤمن به الاستاذ مطاع .. وهو يطابق نفس الرأي الذي ابداه لنا يوما في نكسة اخرى اذ حمل الحركة القومية خطا عدم المبادرة عندما كان في يدها زمام المبادرة ..

وعلى لسان مجيد - احد أبطال القصة ، واحد شباب الطليعة - الذي ادرك مخاوف « سلمى » بعد فوات الاوان ، يرد الاتهام صريحا : « .. ينبغي ان نتهم انفسنا ، نحن ابطال ! صحيح . نحن صنعنا الثورة ! نحن هدمنا صرح الطفيان . ولكن نحن لم نعمل على استمرار الثورة فتحولت الى فوضى ، الى طوفان .. واخيرا الى وحول ومستنقعات . »

ونحن لانذهب بعيدا مع الاستاذ مطاع فيما ذهب اليه من تحميل « الطليعة » وحدها مسؤولية كل ما يحدث من نكسات .. ذلك لان عوامل كثيرة تتشابك وتتداخل فتؤلف شبكة قوية تحمي الواقع وتعمل لارجاعه - في كل لحظة ، وبكل قدرتها - الى ما كان عليه في حال تغيره ..

✱

تلك هي قصة بغداد مع الموت .. مع الجبال والسواوير .. وتلك هي القصة الرهيبة .. قصة الشيوعيين في محاولتهم « لالغاء شخصية شعب بكامله .. واتهامه بهويته .. وشنق حريته فسوق رأسه » .. وفي بداية تنفيذ المحاولة .. ترى ، بعد ان عادت بغداد الى الصمت من جديد .. ترى هل ستتكم ؟ ..

ان ماقرناه في بدء عجالتنا هذه ، من ان الثورة لاتندلع الا على واقع غير طبيعي فتهدم وتبني .. ان هذا الذي ينبغي بان الوضع لن يطول .. وان حكم الطغاة منه .. لا ريب .. ومهما ضلل الشيوعيون بمبادئهم .. فان التضييل سيكون الى حين ..

تستطيع ان تخدع كل الناس بمضى الوقت .. وتستطيع ان تخدع بعض الناس كل الوقت .. ولكن من المستحيل ان تخدع كل الناس ، كل الوقت .. نعم ، من المستحيل ! ..

عيناتا - لبنان عبد اللطيف قطيش

متى يعود المطر ؟

اول قصة من نوعها

قصة حياة الريف العربي بكاملها

قصة الظلم الاقطاعي

قصة الفلاح المكافح

قصة النضال من اجل الاشتراكية

بقلم : اديب نجوي

اصدرتها دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

أزمة الأدب في لبنان

منذ أيام ، تبادت فئة من الذين يعنون بالأدب في لبنان إلى عقد اجتماع يبحثون فيه قضية الأدب اللبناني . ولا شك في أن الدافع الذي كان يستكن في الصدور لعقد هذا الاجتماع ، وعقد اجتماعات كثيرة تالية ، هو الشعور بأن الأدب في لبنان يعاني أكثر من عام أزمة ما لابد من تحليلها وتشريحها للدرس مصادرها وأسبابها في سبيل معالجتها ، والقضاء عليها ان كان إلى القضاء عليها من سبيل .

فما هي هذه الأزمة قبل كل شيء ، وما هي مظاهرها ؟

يرى البعض أن النتاج الأدبي قد انعدم أو كاد ، وأن النشر في لبنان يقتصر الآن على كتب الأدباء الواردة من البلاد العربية المجاورة ، بحيث أن لبنان أصبح ناشراً لما ينتج الأدب ، لا منتجاً لما ينشر منه .

وهذا الرأي صحيح إذا كان المقصود بالانتاج آثار الأدباء اللبنانيين الكبار الذي أصبحوا يشكلون اليوم جبل الشيوخ من الأدباء ، والذين كانت لهم معين . أما الآن فقد انقطع معظم هؤلاء الأدباء عن الانتاج وعن الأدب بصورة عامة . إذ اختطفتهم ميادين أخرى ، كان أكثرها استثنائاً بهم ميدان السياسة والدبلوماسية ، أو أقعدهم العجز والشيخوخة ، ولولا أن أدبنا الكبير ميخائيل نعيمة ما يزال يقضي أدبنا بروائع من آثاره كان آخرها كتاب سيرته « أربعون » لظوبنا صفحة الأدباء الشيوخ في لبنان .

على أن ذلك الرأي قابل للمناقشة حين نواجه انتاج الجيل من الأدباء الشباب في لبنان ، فإن هؤلاء ينتجون ويبدلون الجهد الذي يطبقون ، ويعطون ما يملكون . وقضية تقييم هذه الآثار قضية أخرى ، فإن انتاج الشيوخ أنفسهم لا يمثل مستوى واحداً من الجودة ، وبطل أمر قيمته موضع خلاف ونقاش . غير أن ما لا نستطيع إنكاره أن هذا الانتاج الحديث لم يستطع بعد أن يفرض نفسه في حركة التاريخ الأدبي ولم يدفع أدبنا اللبناني بطابع جديد ينم عنه ويتسم به ، ومرد ذلك في رأينا ، أن هذه الآثار الجديدة ما تزال براعم ، وأن الوقت الذي انقضى على ولادتها لا يتجاوز السنوات العشر ، فهي ما تزال في بدء الطريق ، ولا بد من مرور وقت كاف ليتاح لها أن تأخذ مكانها في السد الأدبي .

ولكن ماهو أهم من ذلك وأخطر ، هو أن هذا الجيل من الأدباء الشباب مدعو إلى خلق أدب جديد يكاد لا يمت إلى الآثار السابقة بصله ، ويوشك أن يحمل من الخصائص والميزات ما يحقق به مرحلة فريدة جديدة كل الجدة ، في تاريخ الأدب اللبناني .

أن أدب هذا الجيل الحديث بعاش اليوم مرحلة حاسمة من تاريخ لبنان خاصة ، وتاريخ البلاد العربية عامة . وهذه الفترة هي فترة انتقال بين وضع يتميز بالخمول والجهود ، ووضع يتميز بالتحفز واليقظة والانتقال . ولا بد للادب من أن يتأثر بهذا الوضع ، كما أن لا بد له في المستقبل من أن يؤثر فيه ، وليس من اليسير أن يعكس أدبنا مظاهر هذه الفترة الانتقالية التي تضطرب بالأحداث وتجيش بالهموم

والمشاغل ، وتسمى إلى تمييز نفسها وعلان هويتها . من أجل هذا كان انتاجنا الحديث قلقاً مضطرباً ، وفي هذا تكمن ميزته بالذات لأنه لا يفعل إلا أن يعكس بصدق وإخلاص وضعنا الحياتي كله .

وهكذا نرى أننا لسنا بحاجة إلى الذعر والخوف مما نحسب أن حالة الأدب في لبنان قد آلت إليه ، ولسنا بحاجة إلى اليأس وإلى إطلاق صيحات الخطر ، فكل ما في الأمر أننا في فترة انتقال ، وأن الجيل الجديد يتحفز للانطلاق ، وأنه إذا كان الآن في حالة انتظار وترقب ، فهو يتمخض بالكثير ويتربص بالفرصة المناسبة ليقدف بأثاره الجديدة ، بيد أن ذلك لا يقعه ولن يقعه عن السعي والبلل والاهتمام فالواقع أن الحركة الأدبية ، بمظهرها النشري حية شديدة الحيوية في لبنان . أن دور النشر ناشطة أشد النشاط وهي تتلقف الخطوط من كل قطر عربي ، بالإضافة إلى لبنان طبعاً ، لتقذف بها كتباً أنيقة المظهر ، رائجة السوق في كل مكان ، وأن المجلات الشهرية ما فتئت تحمل آثار أدباء الطليعة وتنتشر في كل ناحية ، محافظة على هذه الشعلة التي تضطرم في تبادل الاقطار بين الأدباء والقراء . والندوات والمحاضرات لا تكاد تنقطع في قاعاتنا ونوادينا ، وفيها دليل على أن الفكر ما يزال بخير وأن الحركة المادية لن تستطيع أن تقتل الهموم الروحية والعنوة في أقطار المواطنين عندنا .

غير أنه لا بد لنا من أن نشير إلى أن لبنان يكاد يكون من البلدان القلائل التي لا يعنى المسؤولون فيه أية عناية بالأدب وبالانتاج الأدبي من غير أن يمنهم ذلك من الإشادة بآثاره والتحدث عن إشعاعه ! صحيح أن ميلفاً من المال كان يرسم التشجيع الأدبي يوم كانت جمعية أهل القلم قائمة . ولكن إذا أسئ استعمل هذا المال في تلك الفترة وذهب في غير مارد له ، فليس ذلك بكاف لتبرير الفاء ذلك المبلغ ، أو التخلي عن مبدأ التشجيع . أن بوسع وزارة التربية الوطنية أو وزارة الأنباء أن تعلن عن جوائز أدبية تمنح لأفضل المؤلفات اللبنانية في ميادين الشعر والقصة والبحث وتشرف هي بنفسها على تنظيم المسابقات والسهر على أن تبتعد عن جو المساومات والترصيات وسوء الاستعمال . فالواقع أن هذه الجوائز ضرورية لتشجيع الأدباء على الانتاج ولتنشيطهم على استقلال مواهبهم في ما خلقوا له . والحق أن كثيرين ممن بدأوا حياتهم بالانتاج الأدبي لم يلبثوا أن انصرفوا عنه إذ تيقنوا أنه سيكون عاجزاً عن تأمين معيشتهم الضرورية فالتفتوا إلى مورد آخر وخنقوا في نفوسهم موهبتهم الأدبية فلو أن هناك جوائز للدولة تفريهم بالانتاج لكرسوا له وقتهم ، وتأملوا دائماً في أحراز إحدى هذه الجوائز مما سيكون سبباً في شق آفاق واسعة من الشهرة امامهم وفي انصرافهم النهائي إلى هذا الميدان الذي سيفتني بهم ويؤمن للادب النجاح المرجو . أن انعدام مثل هذا التشجيع يشكل الجانب الأخطر من أزمة الأدب عندنا فإن التماش الجوا الأدبي يقتصر إلى المنافسة التي يقضيها بين الأدباء أملهم في كسب جائزة تضمن لهم شهرة كبيرة تكون السبيل الأولى إلى رواج أدبهم وانتشار كتبهم .

فهل تعود الحكومة اللبنانية إلى الاهتمام بالأدب الذي ما فتئ يشكل عنواناً من عناوين المفاخر اللبنانية ، فلا ينقضي العام القادم إلا وتندفق

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الاتار الادبية الجديدة القيمة وتخف حدة الازمة في الادب اللبناني ؟
((الاداب))

المهرجانات العربية المتحدة

لرسل ((الاداب)) محيي الدين محمد
رواية نجيب محفوظ الاخيرة

لعل رواية من الروايات العربية الحديثة لم تثر الضجة التي اثارها « اولاد حارتنا » لنجيب محفوظ . والغريب ان هذه الضجة اثيرت بالرغم من ان العمل الفني لم يبرز وجهه مرة واحدة في كتاب جامع ، وانما قرىء متفرقا في جريدة يومية ، مع ما يؤدبه ذلك من نسيان للملامح ، ومن فواصل زمنية ، ومن تشتت ، ومن فقدان للخيوط الرئيسي الذي يلملم الشخصيات ويعطيها الطابع الانسيابي الحياتي . وقد تدخلت اصابع الربح التجارية لادارة الصحيفة ، في ضغط الجزء المنشور يوما الى اصفر حد ، غير مراعية اية فاصلة بين نهاية اليوم وبداية اليوم التالي ، وذلك بالطبع يعني زيادة عدد الايام المخصصة لنشر هذه الرواية . واذا قارنا هذه العملية الاغتصابية بما يجري في صحف الغرب ، نلاحظ ان الصحيفة هناك تجري فعلا وراء الربح ، ولكنها تضع في اعتبارها ايضا رغبة القارئ في الخروج بقيمة يومية معينة ، وذلك يعني ان تزداد المساحة المخصصة للرواية المنشورة ، ومن جهة اخرى يصح ان يكون الجزء اليومي عملا قائما بذاته متصلا من حيث الانسياب الروائي ، ومنفصلا من حيث البناء القصصي . وهكذا نجد ان احترام القارئ والرغبة بالربح ، يعطيان الصحافة الغربية هذا الوجه الجدي القدر المستول .

وسر الضجة التي اثيرت يعود اساسا الى رموز هذا العمل الروائي فقد قام بعض المسؤولين في الازهر ، وبعض النقاد في الصحف اليومية والندوات ، بربط شخصيات الرواية بالرجال العظام في التاريخ كالانبياء موسى وعيسى ومحمد ، بل واستطاع البعض ان يربطوا بين الشخصية الرئيسية وبين الله نفسه ، بقدر فضيل من الذكاء ، لان الرموز التي استعملها نجيب محفوظ لم تكن مضحكة بما يكفي لافلاق العمل الفني ، وهكذا وقعت الشخصيات من سماء الفن الى وحل التاريخ .

هجوم الازهر يستند الى ما سميته تطاول الروائي على مقدسات الامة العربية ، مسلمين ومسيحيين ، ويرفض ان تكون شخصية الرسول مرسومة بهذه الالوان « الضحلة » التي لادلالة لها سوى الرغبة في السخرية من الاديان ...

اما هجوم النقاد فيستند الى نوعية اكثر نضجا ووعيا ، فالبعض اقام في ذهنه مقابلة بين هذا العمل الروائي وبين امثاله في الغرب ، ودافعهم الى اقامة المقابلة هو رغبة شخصية لنجيب محفوظ بان يكون كاتباً على غرار توماس مان ، كروائي انساني ، على ان يكف نهائيا عن مجرد التصوير الحرفي لحياة الطبقة الوسطى في المدينة . فهم يقابلون بين هذا العمل الذي يزعم البعض انه حكاية البشرية ، وبين اعمال توماس مان او دوستوفسكي في الغرب ، فيجدون البون شاسعا جدا ، لان رموز نجيب محفوظ ساذجة ، ويستطيع اي تلميذ في الثانوي ان يكشفها ، على

حين تظل رموز الجبل السحري ، او الموت في البندقية اعلى وارفع من المحاولات النقدية التي تحاول كشفها ..

واذن ، ففي اذهان هؤلاء النقاد شيء من اثنين : اما ان يكون الزعم بان شخصيات « اولاد حارتنا » هي شخصيات التاريخ ، زعما باطلا ، واما ان يكون صحيحا . فاذا كان الزعم صحيحا ، سقطت الرواية وفشلت ووجب ان تقيم على انها محاولة تبسيطية سرديّة لحكاية تاريخية البشرية . فلا بد للرمز الروائي ان يكون ابعد بكثير من المحاولات التشريعية للنقد ، والا فماذا يعني ان تتفق كلمة النقاد على ان هذه الشخصية تساوي كذا ، وتلك تساوي كيت .. ماذا يعني ذلك ؟! ولماذا لم يكتب نجيب محفوظ كتابا تاريخيا يحكي فيه قصة الانسانية اذا كان غرضه كذلك ؟!..

ان على الرمز ان يكون ساميا بحيث يظل النقد بصفة مستمرة ، اقصر باعا ، واقل قدرا على كشفه دفعة واحدة والانهاء من تقييمه .. وذلك يعني ان يكون الكاتب اكثر انفتاحا واعماقا وكشفا لطبائع البشر وقوانين الاشياء عن الرجلين : العادي والثقّف . وذلك يعني ان يصيح الروائي في مرتبة النبي من حيث هذا الوضوح الحاد للبصيرة ، وهذا البصر الحدسي المذهل لمستقبل الانسان وحاضره .. ولنتصور شخصية هملت ، وقد كتب عليها : هذا هو الشكل العام للقلق والتردد !! افكنا نستطيع ان نقرأ هذه المسرحية العظيمة لو لم يكن فيها هذا الامتلاء النادر الشخصي بعشرات من الاحساسات المختلفة والعواطف التي لا يمكن امساكها ؟! اكان يمكننا ان نخضع لتفسير واحد لشخصية هملت ، نستريح عليه ، ونهدأ

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب ٦٥٦ - تلفون ٢٧٦٨٢

نحن ورمه والفاتيكان	الدكتور اسد رستم
لبنان في التاريخ	الدكتور فيليب حتي
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (٢)	الدكتور فيليب حتي
حياته وادبه وفكره	الدكتور جميل جبر
هنيئيل (١)	جورج مصروعة
كتاب الذخائر والتحف	الرشيد بن الزبير
رسائل ١٨٩٦ - ١٩٤٠	امين الريحاني
عند قدمي غاندي	برازاد
اللاعنف	شاديا فيتويا
الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث	انيس المقدسي
تحت المجر	ابراهيم عبده الخوري
فن الوصف	ايلى حاوي
اول جلسة وقصص اخرى	سامي الشقيفي
سلمى الخضراء الجيوسي	العودة من النبع الحالم

النشاط الثقافي في الوطن العربي

في حفنسه ؟.

واذن ، فلا يعني الرمز المكشوف الا قصر ذيل العمل الفني ، وبداية الفنان ، وسطحية اطلاعه .. واذا كان الزعم خاطئا وجب ان نرفض هذا التقارب الشديد بين احداث الرواية واحداث التاريخ ، وان نبني من جديد على التفصيلات هذه المرة - القيمة المعنوية للرواية ، وذلك يتطلب ان نقرأ في كتاب ، موحدة ، ملمومة ، كاملة ...

لقد توصل البعض من النقاد الى الحكمة الغالية التالية : الصبر اجدى بكثير من الوقوع في الخطأ ... والبعض الاخر يظن ان مجرد رغبة نجيب محفوظ في الافلاخ عن الكتابة للطبقة البورجوازية ، والتحول الى الانسانية ، يعني فعلا ان التحول ممكن ، مادامت الارادة مستعدة !! ان هذا التفكير نفسه ، تفكير بورجوازي اصلا ، وهو التشديد على ان الفكر وحده يمكن ان يحقق التطور والاندفاع والثورة ..

فاذا كان نجيب محفوظ يظن ان القفزة من مجرد التعبير عن الطبقة الى مطلق التعبير عن الانسان قفزة تطويرية لغته ، وجب على البعض من هؤلاء النقاد ان يكشفوا استحالة ذلك وان يقيموا البراهين على ان مجرد الارادة في جهلها لن يعني التحقيق بحال من الاحوال ..

لان الكاتب اساسا ، مسؤول عن طبقته وعن وطنه ، ومسؤول عن فقر امته ، وعن ترددها في الجهل والمرض . مسؤول لانه صوت شعبه الوحيد ، ولانه لا يمكنه ان ينسى مذلات امته ، وان يثرثر في مشكلات لاتعني اخوته . وباعتقادي ان « اولاد حارتنا » محاولة لتكثيف واقع الامة العربية في شكل مبسط من اشكال الرواية .

من هذه الناحية كان على نجيب محفوظ ان يكتب روايته هذه ، ومن هذه الزاوية بالذات كان على النقد ان يحاول تفهم العمل الفني ، لا من حيث انه تسجيل للانسانية والتاريخ ..

فالوطن العربي امة مؤمنة ، مسلمة بالله وبالرسل وبالاقطاع ، وهذا التسليم يركن بها الى الضعف والخضوع والرضى بالحاكم وبالمذلة والطغيان ، ومقدم العلم الذي يعني العربة والاشتراكية ، والذي يظهر في الرواية على شكل ساحر يمكنه ان يفهم كل شيء وان يفك رموز كل مجهول ، هذا العلم يأتي في النهاية لتنبعث في الارض العربية مقدرات التحرر والثروة والسعادة ..

فنجيب محفوظ لم يقفز بعمله الفني الى المستوى الانساني . انه مغمور مازال في وحل شرقنا العربي ، يحاول ان يداوي امراضه ، ويشفي قروح .. والظن الساذج يرجع في نهاية الامر الى انخداع بعض هؤلاء النقاد برموز الرواية وتسرعهم في الاستنتاج على حساب شرف الكشف الاول .

واستعانة الروائي بشخصيات التاريخ لا يمكن ان يفهم منها انها محاولة للسرد ، اكثر مما يفهم منها انها محاولة لتكثيف خطا الوسيلة التي تردى فيها الشرق اكثر من مرة بعدد الانبياء والرسل والمصلحين الذين ظهروا في تاريخه ..! ان الجواب لابد ان يكون عصريا وعلميا للغاية .. يقفز بالعربي الى منتهى التحرر واللامبودية ..

واذن فنجيب محفوظ لا يحاول البتة ان يكون نسخة من توماس مان او كافكا ، بليل هذا الاستغراق في فحص حياتنا العربية ، وبديل هذا

الانكباب على تصوير ملامحنا العربية .. واذا شاء ناقد لم يجد عظمة دو ستويفسكي عند محفوظ ان يهمل لما يسميه فشل الرواية وتقصيرها عن ان تلحق عملا غربيا عظيما ، فان له ذلك . على ان يتحول هو شخصيا عن الالتزام بارضنا وتاريخنا وحياتنا ..

نحن لانقول ان نازك او الجيوسي او السياب او جيلي او عبد الصبور او حجازي ، احسن من اليوت وباوند وماريان مور .. نحن لا يمكننا ان نقول ذلك ، ولكننا نطلب من مفكرنا هؤلاء ان يكونوا صوتنا . بكل مايتطلبه ذلك من وعي وتصميم ورغبة وارادة ، وتجهيل بهذا الحس العظيم للضرورة والوجود والتقدم ..

وعليه : فلا بد قبل هذا الانكباب على الاستنتاج ، والتسرع في الحكم ، ان تدرس الرواية جملة وتفصيلا ، ولن يتأتى ذلك ، الا اذا صبرنا حتى تخرج كاملة في كتاب خاص ..

وفاة ادهم وانلي

فن التصوير في مصر لايلقي قبولا ، لا من الجمهور ولا من خاصة المثقفين . والسبب في ذلك هو نفسه السبب الذي يجعلنا في شرقنا العربي لانهم بالزهور في منازلنا ، ولا بالفسق الالهي العظيم . السبب نفسه الذي يمنعا عن التمتع بحياتنا وعطلانا الاسبوعية والسببية .. هذا السبب الكريه الشائن الذي اسمه الفقر ، ونتيجته الحتمية المؤكدة: انعدام الوعي ..

منذ كان التصوير في مصر ، كانت الاستعانة بالغرب ، وبمدارس الغرب الفنية ، ومحاولاتها كشف الانسان ، والتعبير عن قلقه وسخطه ووحدته واقتراق الجنود فيه عن تطلعه الفصني لافاق جديدة .. وكان ذلك يعني ان مصر العربية لاتجد الرسام الذي يعطيها من ذاته الالامع نفسها التي استعارها منها . وكان الفن المستورد يأتي باخر النظريات البلاستيكية ، ويقتلها في ابهاء رسم لايتردد عليها سوى طائفة ترندي معاطف الفرو ، وتتعطر باخر مستحدثات فيري وماكس فاكور . وكانت فئة اخرى من الرسامين المصريين يمثلها حامد ندا ، تحاول ان تبرز اللامعات العربية الصرفة ، خلال شكل متوتر ومملوء رمزية وطلاسم ، وكانت المحاولة تموت ، لان بهو الرسم ما زال بعيدا عن ذهن رجل الشارع ..

اسباب هذا العقم التصويري عديدة ، ومحاولة القفز من استمالة وجود جواب له ، الى توضيح هذا الجواب ، يفترض ان نشارك الدولة هذه المسؤولية الجسيمة ..

- 1 - لماذا يصير الرسامون على عرض مصوراتهم في ابهاء فخمة يستحيل على الرجل الشعبي ارتيادها ، كالإلييه ، والكونتنتال وقصر المانسترلي؟ لماذا لا تبني الدولة دارا تختص بعرض لوحات الرسامين ، برسم زهيد؟
- 2 - لماذا لاتشتري الدولة حق طبع نسخ من اللوحات الجيدة ، ويبيعها للجمهور ؟ اذا علمنا ان هذه العملية سوف تسهم لا محالة في خلق ذوق فني للشعب ، وتساعد الرسام من جهة اخرى ماديا ؟
- 3 - لماذا لا تساهم الدولة بانشاء معاهد فنية في المدن والريف ، تحقق لآلاف الهواة والمبدعين ، فائدة الدراسة والاستمتاع ؟
- 4 - لماذا لا تقيم الدولة معارض متنقلة لآلاف اللوحات الكندسة في مخازنها ومراسم المصورين ؟

النشاط الثقافي في الوطن العربي

٥ - لماذا لا تنشئ الدولة مجلة فنية خاصة بالفنون البلاستيكية ؟
٦ - لماذا تصر الدولة على اعتبار فن الرسم في المعاهد الدراسية علما جانبيا لا يضر ولا ينفع ؟
٧ - لماذا يسكت الرسامون على ذلك ؟

وقد كان هذا التجاهل ، وهذه الحفرة الكبيرة بين الدولة والرسام ، وبين الرسام والتذوق ، عنصرا فعلا جدا في قتل فن الرسم ، هذا القتل البطيء المنسل الذي يرهقنا ويكبد اعصابنا ويبتز فينا الامل .

منذ اسابيع قليلة مات ادهم واثلي ، احد اخوين يعملان معا في الاسكندرية ويرسمان منذ اعوام كثيرة . وكتبت الجرائد - كالعادة - عن موته .. ثم انتهت من ذلك ، كانه الذي مات هو احد خيول السباق . وبعد اعوام لا يعلم الا الله مداها ، قد يتذكر احد المسؤولين ان فنانا عظيما قد مات وان لوحاته ترقد في مرسمه المعلق بالاسكندرية ، فتهب الصحافة ويتسارع انصاف المسؤولين ، فيزيلون عن اللوحات التراب والجهل ، ويسمون شارعا باسم الفنان ، ويقومون له تمثالا نصفا ، وبلقون عشرين محاضرة تخليدا لاسمه .. يذهب اليها ناس مضحكون ، يلبسون الاردية الفامقة ، وربطات العنق السوداء ، ويطبعون ملايح الاسف والحزن على وجوههم .. وتنتهي المأسفة كما بدأت .. وتعود اللوحات الى مخزن الوزارة بعد ان كانت في مخزن الرسام نفسه ..

لماذا لا تزيل الدولة التراب عن ذهنها ذاته ، فتبدأ عملية تقييم للفنان اثناء حياته ، لا بعد وفاته ؟ .. لماذا لا يتقارب هذا الذي يحتاج جمهورا ، مع بقية الناس الذين يجهلونهم لقروهم الخاصة ؟ . ان وفاة ادهم ، هي بقية السلسلة التي بدأت بوفاة محمود خليل ، والوفاة الفنية لاهر رائف ، ومسعوده ، والجزار ، وحامد عبدالله ، وبقية المدرسة المصرية في الفن ..

ان دعوة الى انقاذ فن الرسم قديمة ، قدم الدعوة الى انقاذ انفسنا .. فلماذا لا نجرب ان يكون استشهداونا في سبيل انفسنا ، متمما لوجوب استشهداونا في سبيل فن ما زال مقيما ؟؟

باليه لينتجج راد

قد تكون الاوبرا كذلك ، غير ان الباليه وحده يظل داخل النسيج الشعبي كامنا فيه ، وساميا عنه معا .. لان هذا الفن الراقص الصوفي المرتبط الى سحر الموسيقى بذلك الرباط التوافقي الاسر ، لا يفترض ان يكون المتلقي على علم لا بفن الباليه كتقنية ، ولا بعلم الموسيقى .. وعلم الناظر ان يعتمد سياحة باطنية لهذا الرقص العلوي ، تكون مادتها الانغام ، وهذه الليونة للجسد الانسان الذي يتفتح ويشتم وبفترق امامه ..

الفرق الإيطالية الفئائية تحضر الى دار الاوبرا فتقدم الناي السحري وعابدة وامكو فرنتر وتوسكا .. الخ .. ، بأسعار خيالية هائلة لانها بالاتفاق مع المسؤولين في دار الاوبرا ، يعفون الطقة التي تتدد علم هذه الاوبرات ، وهذه الطقة الارستقراطية بالتضامن مع الحالة الإيطالية ، ونسبة نادرة من المتذوقين المصين لا يشكلون سوقا تجارية على الاطلاق وارتفاع اسعار الدخول شيء طمعي جدا وموافق عليه ، لان هذا الفن بالذات لا يعم الشعب ولا يعم ذوقه ..

وفي هذا الموسم ، وفدت على دار الاوبرا في القاهرة ، فرقة باليه

لينجراد لتقدم بحيرة البجع وجيزيل ، وبعض المقطوعات الاخرى ، وظلت اسعار الدخول خيالية جدا ، بل لقد فاقت في نسبتها اسعار الاوبرات !! ان وزارة الثقافة التي تبنت دعوة هامة جدا ، هي اقامة حفلة صباحية كل جمعة لفرقة القاهرة السيمفونية بسعر خمسة قروش ، ولاقت نجاحا هائلا ، لا بد لها ان تقع في ذهنها ان فن الباليه ليس كالاوبرا ، ولا بد ان يعرفه الجمهور ، ولن يتاتي له ذلك الا اذا كانت اسعار الدخول هادئة الوقع ، وليست في السماء .

لقد حظي هذا الفن البسيط غير المعقد بحماسة شعبية عظيمة في البلاد الاشتراكية جميعا ، ويكفي ان نعلم ان العامل الروسي يعرف عن هذا الفن خيرا مما كان يعرفه القيصر نفسه ، بقليل من الاهتمام والتوجيه قدمتهما الدولة له ..

والشخصية الروسية التي كنا نعرفها في روايات دوستوفسكي وتولستوي وجوجل ، فجة وغشيمة وحيوانية ، تترقى الان وتذهب فجاحتها وخشونتها بهذه الاصطدامات التتالية بفن يرقى الحس ، ويرفع المستوى الشعوري ، ويعمق البصيرة ويهدبها .

ان على وزارة الثقافة ان تزيل هذه اللحظة الارستقراطية ، وان تشرك الشعب تلوق هذه الاعمال الممتازة جدا ، بعملية بسيطة جدا : ان الجائزة التي تدفعها الدولة الى بعض الكتاب الكبار ، ومقدارها خمسة الاف جنيه ، يجب ان تكون جائزة رمزية ، كنوط او ميدالية ذهبية ، فالادباء الكبار غير محتاجين لهذا التقدير العيني . على ان تستعين الوزارة بهذه المبالغ التي تفيد البعض النادر ، على دعوة الفرق الموسيقية ، وفرق الباليه الكلاسيكية والشعبية ، مضحية بأسعار الدخول التي اوهى حد .. فتسهم من ناحية بترقية اللوق الشعبي ، ومن ناحية اخرى بتأمين ربح كبير لهذه الفرق .. اما عن دار الاوبرا الحالية ، فقد فشلت كدار حديثة ، ويجب على المسؤولين ازالته او تحويلها متحفا ، على ان تنى دار حديثة تتوفر فيها المطالب العصرية ، من مسرح دوار ، الى تكييف للهواء ، الى صالة واسعة مريحة ، وعناية بالاضاءة اوفر ..

ان امام وزارة الثقافة سدودا كثيفة يجب ان تزال فورا ..

محبي الدين محمد

القاهرة

دراسات قومية

من منشورات دار الاداب

معركة المصير الواحد	ميشال عفلق
دروب القومية العربية	عبدالله عبد الدائم
القومية والانسانية	عبدالله عبد الدائم

دار الاداب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

أزمة الأدب في لبنان

منذ أيام ، تبادت فئة من الذين يعنون بالأدب في لبنان إلى عقد اجتماع يبحثون فيه قضية الأدب اللبناني . ولا شك في أن الدافع الذي كان يستكن في الصدور لعقد هذا الاجتماع ، وعقد اجتماعات كثيرة تالية ، هو الشعور بأن الأدب في لبنان يعاني أكثر من عام أزمة ما لابد من تحليلها وتشريحها للدرس مصادرها وأسبابها في سبيل معالجتها ، والقضاء عليها ان كان إلى القضاء عليها من سبيل .

فما هي هذه الأزمة قبل كل شيء ، وما هي مظاهرها ؟

يرى البعض أن النتاج الأدبي قد انعدم أو كاد ، وأن النشر في لبنان يقتصر الآن على كتب الأدباء الواردة من البلاد العربية المجاورة ، بحيث أن لبنان أصبح ناشراً لما ينتج الأدب ، لا منتجاً لما ينشر منه .

وهذا الرأي صحيح إذا كان المقصود بالانتاج آثار الأدباء اللبنانيين الكبار الذي أصبحوا يشكلون اليوم جبل الشيوخ من الأدباء ، والذين كانت لهم معين . أما الآن فقد انقطع معظم هؤلاء الأدباء عن الانتاج وعن الأدب بصورة عامة . إذ اختطفتهم ميادين أخرى ، كان أكثرها استثنائاً بهم ميدان السياسة والدبلوماسية ، أو أقعدهم العجز والشيخوخة ، ولولا أن أدبنا الكبير ميخائيل نعيمة ما يزال يقضي أدبنا بروائع من آثاره كان آخرها كتاب سيرته « أربعون » لطينا صفحة الأدباء الشيوخ في لبنان .

على أن ذلك الرأي قابل للمناقشة حين نواجه انتاج الجيل من الأدباء الشباب في لبنان ، فإن هؤلاء ينتجون ويبدلون الجهد الذي يطبقون ، ويعطون ما يملكون . وقضية تقييم هذه الآثار قضية أخرى ، فإن انتاج الشيوخ أنفسهم لا يمثل مستوى واحداً من الجودة ، وبطل أمر قيمته موضع خلاف ونقاش . غير أن ما لا نستطيع إنكاره أن هذا الانتاج الحديث لم يستطع بعد أن يفرض نفسه في حركة التاريخ الأدبي ولم يدفع أدبنا اللبناني بطابع جديد ينم عنه ويتسم به ، ومرد ذلك في رأينا ، أن هذه الآثار الجديدة ما تزال براعم ، وأن الوقت الذي انقضى على ولادتها لا يتجاوز السنوات العشر ، فهي ما تزال في بدء الطريق ، ولا بد من مرور وقت كاف ليتاح لها أن تأخذ مكانها في السد الأدبي .

ولكن ماهو أهم من ذلك وأخطر ، هو أن هذا الجيل من الأدباء الشباب مدعو إلى خلق أدب جديد يكاد لا يمت إلى الآثار السابقة بصله ، ويوشك أن يحمل من الخصائص والميزات ما يحقق به مرحلة فريدة جديدة كل الجدة ، في تاريخ الأدب اللبناني .

أن أدب هذا الجيل الحديث بعاش اليوم مرحلة حاسمة من تاريخ لبنان خاصة ، وتاريخ البلاد العربية عامة . وهذه الفترة هي فترة انتقال بين وضع يتميز بالخمول والجهود ، ووضع يتميز بالتحفز واليقظة والانتقال . ولا بد للادب من أن يتأثر بهذا الوضع ، كما أن لا بد له في المستقبل من أن يؤثر فيه ، وليس من اليسير أن يعكس أدبنا مظاهر هذه الفترة الانتقالية التي تضطرب بالأحداث وتجيش بالهموم

والمشاغل ، وتسمى إلى تمييز نفسها وعلان هويتها . من أجل هذا كان انتاجنا الحديث قلقاً مضطرباً ، وفي هذا تكمن ميزته بالذات لأنه لا يفعل إلا أن يعكس بصدق وإخلاص وضعنا الحياتي كله .

وهكذا نرى أننا لسنا بحاجة إلى الذعر والخوف مما نحسب أن حالة الأدب في لبنان قد آلت إليه ، ولسنا بحاجة إلى اليأس وإلى إطلاق صيحات الخطر ، فكل ما في الأمر أننا في فترة انتقال ، وأن الجيل الجديد يتحفز للانطلاق ، وأنه إذا كان الآن في حالة انتظار وترقب ، فهو يتمخض بالكثير ويتربص بالفرصة المناسبة ليقدف بأثاره الجديدة ، بيد أن ذلك لا يقعه ولن يقعه عن السعي والبلل والاهتمام فالواقع أن الحركة الأدبية ، بمظهرها النثري حية شديدة الحيوية في لبنان . أن دور النشر ناشطة أشد النشاط وهي تتلقف الخطوط من كل قطر عربي ، بالإضافة إلى لبنان طبعاً ، لتقدف بها كتباً أنيقة المظهر ، رائجة السوق في كل مكان ، وأن المجلات الشهرية ماثلاً تحمل آثار أدباء الطليعة وتنتشر في كل ناحية ، محافظة على هذه الشعلة التي تضطرم في تبادل الاقطار بين الأدباء والقراء . والندوات والمحاضرات لا تكاد تنقطع في قاعاتنا ونوادينا ، وفيها دليل على أن الفكر ما يزال بخير وأن الحركة المادية لن تستطيع أن تقتل الهموم الروحية والعنوة في أقطار المواطنين عندنا .

غير أنه لا بد لنا من أن نشير إلى أن لبنان يكاد يكون من البلدان القلائل التي لا يعنى المسؤولون فيه أية عناية بالأدب وبالانتاج الأدبي من غير أن يمنهم ذلك من الإشادة بمآثره والتحدث عن إشعاعه ! صحيح أن ميلفاً من المال كان يرسم التشجيع الأدبي يوم كانت جمعية أهل القلم قائمة . ولكن إذا أسيء استعمال هذا المال في تلك الفترة وذهب في غير مارد له ، فليس ذلك بكاف لتبرير الفاء ذلك المبلغ ، أو التخلي عن مبدأ التشجيع . أن بوسع وزارة التربية الوطنية أو وزارة الأنباء أن تعلن عن جوائز أدبية تمنح لأفضل المؤلفات اللبنانية في ميادين الشعر والقصة والبحث وتشرف هي بنفسها على تنظيم المسابقات والسهر على أن تبتعد عن جو المساومات والترصيات وسوء الاستعمال . فالواقع أن هذه الجوائز ضرورية لتشجيع الأدباء على الانتاج ولتنشيطهم على استقلال مواهبهم في ما خلقوا له . والحق أن كثيرين ممن بدأوا حياتهم بالانتاج الأدبي لم يلبثوا أن انصرفوا عنه إذ تيقنوا أنه سيكون عاجزاً عن تأمين معيشتهم الضرورية فالتفتوا إلى مورد آخر وخنقوا في نفوسهم موهبتهم الأدبية فلو أن هناك جوائز للدولة تفريهم بالانتاج لكرسوا له وقتهم ، وتأملوا دائماً في أحراز إحدى هذه الجوائز مما سيكون سبباً في شق آفاق واسعة من الشهرة امامهم وفي انصرافهم النهائي إلى هذا الميدان الذي سيفتني بهم ويؤمن للادب النجاح المرجو . أن انعدام مثل هذا التشجيع يشكل الجانب الأخطر من أزمة الأدب عندنا فإن التماش الجوا الأدبي يفتر إلى المنافسة التي يقضيها بين الأدباء أملهم في كسب جائزة تضمن لهم شهرة كبيرة تكون السبيل الأولى إلى رواج أدبهم وانتشار كتبهم .

فهل تعود الحكومة اللبنانية إلى الاهتمام بالأدب الذي مافتيء يشكل عنواناً من عناوين المفاخر اللبنانية ، فلا ينقضي العام القادم إلا وتندفق

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الاتار الادبية الجديدة القيمة وتخف حدة الازمة في الادب اللبناني ؟
((الاداب))

المهرجانات العربية المتحدة

لرسل ((الاداب)) محيي الدين محمد
رواية نجيب محفوظ الاخيرة

لعل رواية من الروايات العربية الحديثة لم تثر الضجة التي أنارتها « اولاد حارتنا » لنجيب محفوظ . والغريب ان هذه الضجة أثرت بالرغم من ان العمل الفني لم يبرز وجهه مرة واحدة في كتاب جامع ، وانما قرىء متفرقا في جريدة يومية ، مع ما يؤدبه ذلك من نسيان للملامح ، ومن فواصل زمنية ، ومن تشتت ، ومن فقدان للخيوط الرئيسي الذي يلملم الشخصيات ويعطيها الطابع الانسيابي الحياتي . وقد تدخلت اصابع الربح التجارية لادارة الصحيفة ، في ضغط الجزء المنشور يوما الى اصفر حد ، غير مراعية اية فاصلة بين نهاية اليوم وبداية اليوم التالي ، وذلك بالطبع يعني زيادة عدد الايام المخصصة لنشر هذه الرواية . واذا قارنا هذه العملية الاغتصابية بما يجري في صحف الغرب ، نلاحظ ان الصحيفة هناك تجري فعلا وراء الربح ، ولكنها تضع في اعتبارها ايضا رغبة القارئ في الخروج بقيمة يومية معينة ، وذلك يعني ان تزداد المساحة المخصصة للرواية المنشورة ، ومن جهة اخرى يصح ان يكون الجزء اليومي عملا قائما بذاته متصلا من حيث الانسياب الروائي ، ومنفصلا من حيث البناء القصصي . وهكذا نجد ان احترام القارئ والرغبة بالربح ، يعطيان الصحافة الغربية هذا الوجه الجدي القدر المستول ..

وسر الضجة التي أثرت يعود اساسا الى رموز هذا العمل الروائي فقد قام بعض المسؤولين في الازهر ، وبعض النقاد في الصحف اليومية والندوات ، بربط شخصيات الرواية بالرجال العظام في التاريخ كالانبياء موسى وعيسى ومحمد ، بل واستطاع البعض ان يربطوا بين الشخصية الرئيسية وبين الله نفسه ، بقدر فضيل من الذكاء ، لان الرموز التي استعملها نجيب محفوظ لم تكن مضحكة بما يكفي لافلاق العمل الفني ، وهكذا وقعت الشخصيات من سماء الفن الى وحل التاريخ .. هجوم الازهر يستند الى ما سميته تطاول الروائي على مقدسات الامة العربية ، مسلمين ومسيحيين ، ويرفض ان تكون شخصية الرسول مرسومة بهذه الالوان « الضحلة » التي لادلالة لها سوى الرغبة في السخرية من الاديان ...

اما هجوم النقاد فيستند الى نوعية اكثر نفجا ووعيا ، فالبعض اقام في ذهنه مقابلة بين هذا العمل الروائي وبين امثاله في الغرب ، ودافعهم الى اقامة المقابلة هو رغبة شخصية لنجيب محفوظ بان يكون كاتباً على غرار توماس مان ، كروائي انساني ، على ان يكف نهائيا عن مجرد التصوير الحرفي لحياة الطبقة الوسطى في المدينة . فهم يقابلون بين هذا العمل الذي يزعم البعض انه حكاية بشرية ، وبين اعمال توماس مان او دوستوفسكي في الغرب ، فيجدون البون شاسعا جدا ، لان رموز نجيب محفوظ ساذجة ، ويستطيع اي تلميذ في الثانوي ان يكشفها ، على

حين تظل رموز الجبل السحري ، او الموت في البندقية اعلى وارفع من المحاولات النقدية التي تحاول كشفها ..

واذن ، ففي اذهان هؤلاء النقاد شيء من اثنين : اما ان يكون الزعم بان شخصيات « اولاد حارتنا » هي شخصيات التاريخ ، زعما باطلا ، واما ان يكون صحيحا . فاذا كان الزعم صحيحا ، سقطت الرواية وفشلت ووجب ان تقيم على انها محاولة تبسيطية سرديّة لحكاية تاريخية بشرية . فلا بد للرمز الروائي ان يكون ابعد بكثير من المحاولات التشريحية للنقد ، والا فماذا يعني ان تتفق كلمة النقاد على ان هذه الشخصية تساوي كذا ، وتلك تساوي كيت .. ماذا يعني ذلك ؟! ولماذا لم يكتب نجيب محفوظ كتابا تاريخيا يحكي فيه قصة الانسانية اذا كان غرضه كذلك ؟!..

ان على الرمز ان يكون ساميا بحيث يظل النقد بصفة مستمرة ، اقصر باعا ، واقل قدرا على كشفه دفعة واحدة والانهاء من تقييمه .. وذلك يعني ان يكون الكاتب اكثر انفتاحا واعماقا وكشفا لطبائع البشر وقوانين الاشياء عن الرجلين : العادي والثقّف . وذلك يعني ان يصيح الروائي في مرتبة النبي من حيث هذا الوضوح الحاد للبصيرة ، وهذا البصر الحدسي المذهل لمستقبل الانسان وحاضره .. ولنتصور شخصية هملت ، وقد كتب عليها : هذا هو الشكل العام للقلق والتردد !! افكنا نستطيع ان نقرأ هذه المسرحية العظيمة لو لم يكن فيها هذا الامتلاء النادر الشخصي بعشرات من الاحساسات المختلفة والعواطف التي لا يمكن امساكها ؟! اكان يمكننا ان نخضع لتفسير واحد لشخصية هملت ، نستريح عليه ، ونهدأ

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب ٦٥٦ - تلفون ٢٧٦٨٢

نحن ورمه والفاتيكان	الدكتور اسد رستم
لبنان في التاريخ	الدكتور فيليب حتي
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (٢)	الدكتور فيليب حتي
حياته وادبه وفكره	الدكتور جميل جبر
هنيئيل (١)	جورج مصروعة
كتاب الذخائر والتحف	الرشيد بن الزبير
رسائل ١٨٩٦ - ١٩٤٠	امين الريحاني
عند قدمي غاندي	برازاد
اللاعنف	شاديا فيتويا
الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث	انيس المقدسي
تحت المجهر	ابراهيم عبده الخوري
فن الوصف	ايلى حاوي
اول جلسة وقصص اخرى	سامي الشقيفي
سلمى الخضراء الجيوسي	العودة من النبع الحالم

النشاط الثقافي في الوطن العربي

في حفنسه ؟.

واذن ، فلا يعني الرمز المكشوف الا قصر ذيل العمل الفني ، وبداية الفنان ، وسطحية اطلاعه .. واذا كان الزعم خاطئا وجب ان نرفض هذا التقارب الشديد بين احداث الرواية واحداث التاريخ ، وان نبني من جديد على التفصيلات هذه المرة - القيمة المعنوية للرواية ، وذلك يتطلب ان نقرأ في كتاب ، موحدة ، ملمومة ، كاملة ...

لقد توصل البعض من النقاد الى الحكمة الغالية التالية : الصبر اجدى بكثير من الوقوع في الخطأ ... والبعض الاخر يظن ان مجرد رغبة نجيب محفوظ في الافلاخ عن الكتابة للطبقة البورجوازية ، والتحول الى الانسانية ، يعني فعلا ان التحول ممكن ، مادامت الارادة مستعدة !! ان هذا التفكير نفسه ، تفكير بورجوازي اصلا ، وهو التشديد على ان الفكر وحده يمكن ان يحقق التطور والاندفاع والثورة ..

فاذا كان نجيب محفوظ يظن ان القفزة من مجرد التعبير عن الطبقة الى مطلق التعبير عن الانسان قفزة تطويرية لغته ، وجب على البعض من هؤلاء النقاد ان يكشفوا استحالة ذلك وان يقيموا البراهين على ان مجرد الارادة في جهلها لن يعني التحقيق بحال من الاحوال ..

لان الكاتب اساسا ، مسؤول عن طبقته وعن وطنه ، ومسؤول عن فقر امته ، وعن ترددها في الجهل والمرض . مسؤول لانه صوت شعبه الوحيد ، ولانه لا يمكنه ان ينسى مذلات امته ، وان يثرثر في مشكلات لاتعني اخوته . وباعتقادي ان « اولاد حارتنا » محاولة لتكثيف واقع الامة العربية في شكل مبسط من اشكال الرواية .

من هذه الناحية كان على نجيب محفوظ ان يكتب روايته هذه ، ومن هذه الزاوية بالذات كان على النقد ان يحاول تفهم العمل الفني ، لا من حيث انه تسجيل للانسانية والتاريخ ..

فالوطن العربي امة مؤمنة ، مسلمة بالله وبالرسل وبالاقطاع ، وهذا التسليم يركن بها الى الضعف والخضوع والرضى بالحاكم وبالمذلة والطغيان ، ومقدم العلم الذي يعني العربة والاشتراكية ، والذي يظهر في الرواية على شكل ساحر يمكنه ان يفهم كل شيء وان يفك رموز كل مجهول ، هذا العلم يأتي في النهاية لتنبعث في الارض العربية مقدرات التحرر والثروة والسعادة ..

فنجيب محفوظ لم يقفز بعمله الفني الى المستوى الانساني . انه مغمور مازال في وحل شرقنا العربي ، يحاول ان يداوي امراضه ، ويشفي قروح .. والظن الساذج يرجع في نهاية الامر الى انخداع بعض هؤلاء النقاد برموز الرواية وتسرعهم في الاستنتاج على حساب شرف الكشف الاول .

واستعانة الروائي بشخصيات التاريخ لا يمكن ان يفهم منها انها محاولة للسرد ، اكثر مما يفهم منها انها محاولة لتكثيف خطا الوسيلة التي تردى فيها الشرق اكثر من مرة بعدد الانبياء والرسل والمصلحين الذين ظهروا في تاريخه ..! ان الجواب لابد ان يكون عصريا وعلميا للغاية .. يقفز بالعربي الى منتهى التحرر واللامبودية ..

واذن فنجيب محفوظ لا يحاول البتة ان يكون نسخة من توماس مان او كافكا ، بليل هذا الاستغراق في فحص حياتنا العربية ، وبديل هذا

الانكباب على تصوير ملامحنا العربية .. واذا شاء ناقد لم يجد عظمة دو ستويفسكي عند محفوظ ان يهمل لما يسميه فشل الرواية وتقصيرها عن ان تلحق عملا غربيا عظيما ، فان له ذلك . على ان يتحول هو شخصيا عن الالتزام بارضنا وتاريخنا وحياتنا ..

نحن لانقول ان نازك او الجيوسي او السياب او جيلي او عبد الصبور او حجازي ، احسن من اليوت وباوند وماريان مور .. نحن لا يمكننا ان نقول ذلك ، ولكننا نطلب من مفكرنا هؤلاء ان يكونوا صوتنا . بكل مايتطلبه ذلك من وعي وتصميم ورغبة وارادة ، وتجهيل بهذا الحس العظيم للصيرورة والوجود والتقدم ..

وعليه : فلا بد قبل هذا الانكباب على الاستنتاج ، والتسرع في الحكم ، ان تدرس الرواية جملة وتفصيلا ، ولن يتأتى ذلك ، الا اذا صبرنا حتى تخرج كاملة في كتاب خاص ..

وفاة ادهم وانلي

فن التصوير في مصر لايلقي قبولا ، لا من الجمهور ولا من خاصة المثقفين . والسبب في ذلك هو نفسه السبب الذي يجعلنا في شرقنا العربي لانهم بالزهور في منازلنا ، ولا بالفسق الالهي العظيم . السبب نفسه الذي يمنعا عن التمتع بحياتنا وعطلانا الاسبوعية والسببية .. هذا السبب الكريه الشائن الذي اسمه الفقر ، ونتيجته الحتمية المؤكدة: انعدام الوعي ..

منذ كان التصوير في مصر ، كانت الاستعانة بالغرب ، وبمدارس الغرب الفنية ، ومحاولاتها كشف الانسان ، والتعبير عن قلقه وسخطه ووحدته واقتراق الجنود فيه عن تطلعه الفصني لافاق جديدة .. وكان ذلك يعني ان مصر العربية لاتجد الرسام الذي يعطيها من ذاتها الالامع نفسها التي استعارها منها . وكان الفن المستورد يأتي باخر النظريات البلاستيكية ، ويقتلها في ابناء رسم لايتردد عليها سوى طائفة ترندي معاطف الغزو ، وتتعطر باخر مستحدثات فيري وماكس فاكور . وكانت فئة اخرى من الرسامين المصريين يمثلها حامد ندا ، تحاول ان تبرز اللامعات العربية الصرفة ، خلال شكل متوتر ومملوء رمزية وطلاسم ، وكانت المحاولة تموت ، لان بهو الرسم ما زال بعيدا عن ذهن رجل الشارع ..

اسباب هذا العقم التصويري عديدة ، ومحاولة القفز من استمالة وجود جواب له ، الى توضيح هذا الجواب ، يفترض ان نشرك الدولة هذه المسؤولية الجسيمة ..

- 1 - لماذا يصير الرسامون على عرض مصوراتهم في ابهاء فخمة يستحيل على الرجل الشعبي ارتيادها ، كالإليبي ، والكونتنتال وقصر المانسترلي؟ لماذا لا تبني الدولة دارا تختص بعرض لوحات الرسامين ، برسم زهيد؟
- 2 - لماذا لاتشتري الدولة حق طبع نسخ من اللوحات الجيدة ، ويبيعها للجمهور ؟ اذا علمنا ان هذه العملية سوف تسهم لا محالة في خلق ذوق فني للشعب ، وتساعد الرسام من جهة اخرى ماديا ؟
- 3 - لماذا لا تساهم الدولة بانشاء معاهد فنية في المدن والريف ، تحقق لآلاف الهواة والمبدعين ، فائدة الدراسة والاستمتاع ؟
- 4 - لماذا لا تقيم الدولة معارض متنقلة لآلاف اللوحات الكندسة في مخازنها ومراسم المصورين ؟

النشاط الثقافي في الوطن العربي

٥ - لماذا لا تنشئ الدولة مجلة فنية خاصة بالفنون البلاستيكية ؟
٦ - لماذا تصر الدولة على اعتبار فن الرسم في المعاهد الدراسية علما جانبيا لا يضر ولا ينفع ؟

٧ - لماذا يسكت الرسامون على ذلك ؟

وقد كان هذا التجاهل ، وهذه الحفرة الكبيرة بين الدولة والرسام ، وبين الرسام والتذوق ، عنصرا فعلا جدا في قتل فن الرسم ، هذا القتل البطيء المنسل الذي يرهقنا ويكبد اعصابنا ويبتز فينا الامل .

منذ اسابيع قليلة مات ادهم واثلي ، احد اخوين يعملان معا في الاسكندرية ويرسمان منذ اعوام كثيرة . وكتبت الجرائد - كالعادة - عن موته .. ثم انتهت من ذلك ، كانه الذي مات هو احد خيول السباق . وبعد اعوام لا يعلم الا الله مداها ، قد يتذكر احد المسؤولين ان فنانا عظيما قد مات وان لوحاته ترقد في مرسمه المفلق بالاسكندرية ، فتهب الصحافة ويتسارع انصاف المسؤولين ، فيزيلون عن اللوحات التراب والجهل ، ويسمون شارعا باسم الفنان ، ويقومون له تمثالا نصفا ، وبلقون عشرين محاضرة تخليدا لاسمه .. يذهب اليها ناس مضحكون ، يلبسون الاردية الفامقة ، وربطات العنق السوداء ، ويطبعون ملايح الاسف والحزن على وجوههم .. وتنتهي العاصفة كما بدأت .. وتعود اللوحات الى مخزن الوزارة بعد ان كانت في مخزن الرسام نفسه ..

لماذا لا تزيل الدولة التراب عن ذهنها ذاته ، فتبدأ عملية تقييم للفنان اثناء حياته ، لا بعد وفاته ؟ .. لماذا لا يتقارب هذا الذي يحتاج جمهورا ، مع بقية الناس الذين يجهلونهم لقروهم الخاصة ؟ ان وفاة ادهم ، هي بقية السلسلة التي بدأت بوفاة محمود خليل ، والوفاة الفنية لاهر رائف ، ومسموده ، والجزار ، وحامد عبدالله ، وبقية المدرسة المصرية في الفن ..

ان دعوة الى انقاذ فن الرسم قديمة ، قدم الدعوة الى انقاذ انفسنا .. فلماذا لا نجرب ان يكون استشهداونا في سبيل انفسنا ، متمما لوجوب استشهداونا في سبيل فن ما زال مقيما ؟؟

باليه لينتجج راد

قد تكون الاوبرا كذلك ، غير ان الباليه وحده يظل داخل النسيج الشعبي كامنا فيه ، وساميا عنه معا .. لان هذا الفن الراقص الصوفي المرتبط الى سحر الموسيقى بذلك الرباط التوافقي الاسر ، لا يفترض ان يكون المتلوق على علم لا بفن الباليه كتقنية ، ولا بعلم الموسيقى .. وعلم الناظر ان يعتمد سياحة باطنية لهذا الرقص العلوي ، تكون مادتها الانغام ، وهذه الليونة للجسد الانسان الذي يتفتح ويشتم وبفترق امامه ..

الفرق الإيطالية الفنائية تحضر الى دار الاوبرا فتقدم الناي السحري وعابدة وامكو فرنتر وتوسكا .. الخ .. ، بأسعار خيالية هائلة لانها بالاتفاق مع المسؤولين في دار الاوبرا ، يعفون الطقة التي تتدد علم هذه الاوبرات ، وهذه الطقة الارستقراطية بالتضامن مع الحالة الإيطالية ، ونسبة نادرة من المتذوقين المصين لا يشكلون سوقا تجارية على الاطلاق وارتفاع اسعار الدخول شيء طمعي جدا وموافق عليه ، لان هذا الفن بالذات لا يعم الشعب ولا يعم ذوقه ..

وفي هذا الموسم ، وفدت على دار الاوبرا في القاهرة ، فرقة باليه

لينجراد لتقدم بحيرة البجع وجيزيل ، وبعض المقطوعات الاخرى ، وظلت اسعار الدخول خيالية جدا ، بل لقد فاقت في نسبتها اسعار الاوبرات !! ان وزارة الثقافة التي تبنت دعوة هامة جدا ، هي اقامة حفلة صباحية كل جمعة لفرقة القاهرة السيمفونية بسعر خمسة قروش ، ولاقت نجاحا هائلا ، لا بد لها ان تقع في ذهنها ان فن الباليه ليس كالاوبرا ، ولا بد ان يعرفه الجمهور ، ولن يتاتي له ذلك الا اذا كانت اسعار الدخول هادئة الوقع ، وليست في السماء .

لقد حظي هذا الفن البسيط غير المعقد بحماسة شعبية عظيمة في البلاد الاشتراكية جميعا ، ويكفي ان نعلم ان العامل الروسي يعرف عن هذا الفن خيرا مما كان يعرفه القيصر نفسه ، بقليل من الاهتمام والتوجيه قدمتهما الدولة له ..

والشخصية الروسية التي كنا نعرفها في روايات دوستوفسكي وتولستوي وجوجل ، فجة وغشيمة وحيوانية ، تترقى الان وتذهب فجاحتها وخشونتها بهذه الاصطدامات التوالية بفن يرقى الحس ، ويرفع المستوى الشعوري ، ويعمق البصيرة ويهدبها .

ان على وزارة الثقافة ان تزيل هذه اللحظة الارستقراطية ، وان تشرك الشعب تلوق هذه الاعمال الممتازة جدا ، بعملية بسيطة جدا : ان الجائزة التي تدفعها الدولة الى بعض الكتاب الكبار ، ومقدارها خمسة الاف جنيه ، يجب ان تكون جائزة رمزية ، كنوط او ميدالية ذهبية ، فالادباء الكبار غير محتاجين لهذا التقدير العيني . على ان تستعين الوزارة بهذه المبالغ التي تفيد البعض النادر ، على دعوة الفرق الموسيقية ، وفرق الباليه الكلاسيكية والشعبية ، مضحية بأسعار الدخول التي اوهى حد .. فتسهم من ناحية بترقية اللوق الشعبي ، ومن ناحية اخرى بتأمين ربح كبير لهذه الفرق .. اما عن دار الاوبرا الحالية ، فقد فشلت كدار حديثة ، ويجب على المسؤولين ازالتها او تحويلها متحفا ، على ان تنى دار حديثة تتوفر فيها المطالب العصرية ، من مسرح دوار ، الى تكييف للهواء ، الى صالة واسعة مريحة ، وعناية بالاضاءة اوفر ..

ان امام وزارة الثقافة سدودا كثيفة يجب ان تزال فورا ..

محيي الدين محمد

القاهرة

دراسات قومية

من منشورات دار الاداب

معركة المصير الواحد	ميشال عفلق
دروب القومية العربية	عبدالله عبد الدائم
القومية والانسانية	عبدالله عبد الدائم

دار الاداب

فهرست

العدد الثاني - شباط (فبراير) ١٩٦٠ - السنة الثامنة

- | | | | | | |
|----|--|---------------------|----|--|--------------------|
| ٤٤ | الجواب الاخير لا (قصة) | الدكتور سلمان فطاية | ١ | سلاح الادب | «الاداب» |
| ٤٩ | عنكبوت (قصيدة) | وديع ديب | ٢ | قرأت العدد الماضي من الاداب | الدكتور عزة النص |
| ٥٠ | تطور الشعر العربي
واتجاهاته في حياتنا الجديدة | علي بدور | ٥ | انتصار بور سعيد (قصيدة) | عدنان الراوي |
| ٥٢ | الصورة بين الشعر القديم
والشعر المعاصر | ايليا الحاوي | ٦ | المعش والتعش
في الاغاني العراقية | نازك الملائكة |
| ٥٨ | ابو زيد الهلالي
والقول المدمس | شريف الراس | ٩ | وقد حدثتني ذات ليلة (قصيدة) | فدوى طوقان |
| | | | ١٠ | كامو والتمزق | الدكتور سهيل ادريس |
| | | | ١٢ | حامد (قصيدة) | امين نخله |
| | | | ١٣ | الشعر الانثوي وديوان
« العودة من التبع الحالم » | مطاع صفدي |
| | | | ١٧ | تموز الجديد | محيي الدين اسماعيل |
| | | | ١٨ | زهرة الى فيروز (قصيدة) | رفيق الخوري |
| | | | ١٩ | الاساة في مقصورة ابن دريد | صدقي اسماعيل |
| | | | ٢٤ | القمة والقاع (قصة) | فتحى زكي |
| | | | ٢٨ | الجليل الذي انصور (قصيدة) | نجيب طالب |
| | | | ٣٠ | الخبز والكتابة | محيي الدين صبحي |
| | | | ٣٣ | اليك يا مسافرة (قصيدة) | فاروق شوشه |
| | | | ٣٤ | ومضة برق (قصيدة) | الفة الادلبي |
| | | | ٣٦ | الهاربون من الحرية | غالب هلسا |
-
- | | | |
|----|--|-----------------|
| ٦١ | ملتزمون ام متعصبون ؟ | مطاع صفدي |
| ٦٢ | عندما تدافع الفرعونية عن محمد | علي بدور |
| ٦٣ | حول « مصارعة الثيران
في السياسة الدولية » | نور الدين مصطفى |
| ٦٤ | بغداد والموت | عبد اللطيف قطيش |
-
- النشاط الثقافي في الوطن العربي**
- | | | |
|----|---------------------------|---|
| ٧٣ | لبنان | أزمة الادب في لبنان ؟ |
| ٧٤ | الجمهورية العربية المتحدة | رواية نجيب محفوظ
الاخيرة - وفاة ادهم
وانلي-باليه ليننغراد |

قصص ومغامرات

السلسلة الحمراء

صدر منها حتى الآن :

- ١ - الفارس المجنون
- ٢ - عودة الى الصواب
- ٣ - القرصان الاحمر
- ٤ - رجل بين الاقزام
- ٥ - صارع الظباء
- ٦ - بعد المعركة
- ٧ - الجريمة الغامضة
- ٨ - الانتقام المريع
- ٩ - مستنقع الشيطان

منشورات المطبعة الطائوليةكية - بيروت

المستودع الوحيد - المكتبة الشرقية - ساحة النجمة - بيروت

من ٢٥ كانون الثاني

الى ٦ شباط

التصفية الكبرى عند نايلون سبور

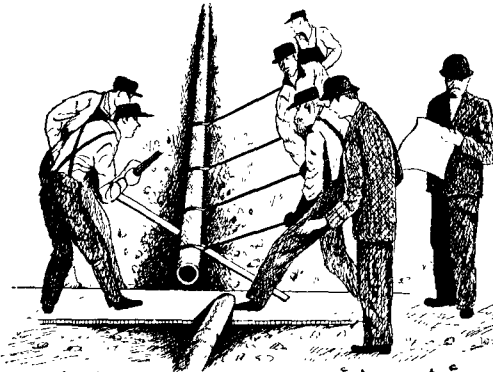
ملبوسات للرجال

شارع البرلمان - ليس له فروع ثانية

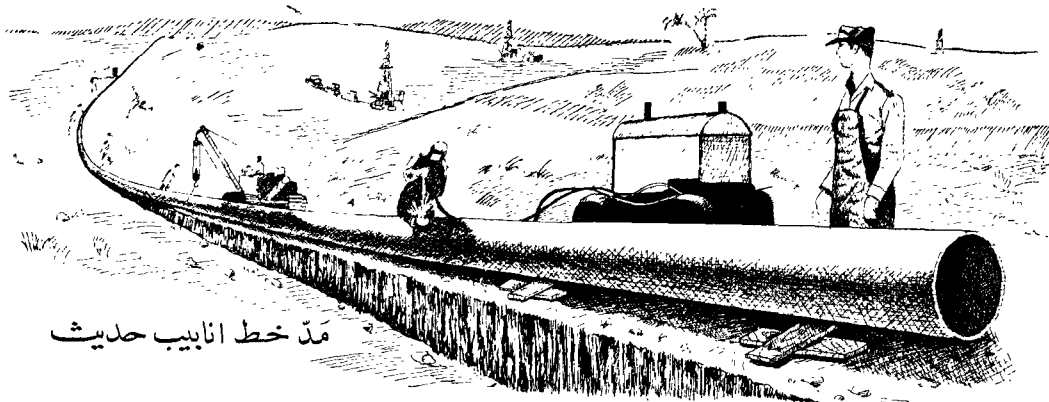
نقل النفط

نقل النفط في الانابيب
عملية أساسية في صناعة النفط

لقد ساهم مد الانابيب تقدم الصناعة
في الميادين الاخرى فتمت الانشطة
محل الأيدي في سبيل تقديم خدمات
اسرع توفر الكثير من المال والجهد.



أول خط أنابيب - عام ١٨٦٣



مد خط انابيب حديث

شركة نفط الكويت المحدودة

